جامعة سانت كلمنتس العالمية

كلية الآداب – قسم التاريخ

تأثيرات بلاد الشام الحضارية على نهضة قرطبة العمرانية في عصري الإمارة والخلافة الأندلسية

(138-422هـ/756- 1031م)

أطروحة مقدمة إلى مجلس جامعة سانت كلمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

من قبل الطالب

فليح حسن عزيز عباس السهلاني

- بإشراف -

الأستاذ المساعد الدكتور

قيس عبد الواحد السرمد

1433هـ 2012 م

المحتيات

خلاصـــــــة الأطروحة

تأثيرات بلاد الشام الحضارية على نهضة قرطبة العمرانية في عصري الامارة والخلاقة الاندلسية (138-422هـ/756-1031م)

تناولت هذه الدراسة الأحداث التاريخية التي امتدت من الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة (92-422هـ/711-1031م) وتسليط الضوء على تأثيرات بلاد الشام الحضارية كونها احد مراكز الحضارة العربية الإسلامية على مدينة قرطبة ، إذ يمكن مشاهدة الطابع الشامي بوضوح في المنشات العمرانية التي أُقيمت فيها، وان الامتداد الزمني للدولة العربية الإسلامية قد أدى إلى تطور الحضارة التي تعددت أشكالها وتنوعت بين المعارف والعلوم والأدب والعمران.

ويشكل العمران أهم المعالم الحضارية وتمثل في العمارة الدينية والمدنية ، وهو استجابة للحياة اليومية من جهة والتراكم الحضاري من جهة أخرى ، والمسجد الجامع يعني أساس العمران الديني ، ويُعد مسجد قرطبة من ابرز ما خلفه الأمويون من آثار وهو يمثل مرحلة من مراحل النضج والتطور الفني والمعماري من الطراز العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء والزخرفة ، وبذلك فانه من الناحية الفنية رمز شامخ ومن الناحية العلمية يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم المختلفة ، ويمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من الجامع الأموي بدمشق مثل العقود ووضع المئذنة وفي الممر الذي يصل المسجد بقصر الإمارة ، كما كان للكنائس والأديرة ارتباطاً بالعمارة الدينية .

إذ تمتع المسيحيون بالحرية الدينية ، وكانت لهم كنائسهم لإقامة شعائرهم ، لقد ازدهرت قرطبة في عهد الإمارة ، حيث زينتها القصور والمتنزهات ، ومن تلك القصور التي شيدت هي قصر الكامل ، والحائـــــر ،

والمبارك ، والمعشوق ، وكانت تحيطها الأسوار ذات الأبواب الكبيرة ، وبنى عبد الرحمن الداخل في شمال قرطبة قصراً صيفياً على سفح جبل سماه الرصافة محاكياً في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك الذي بناه خارج دمشق في بادية الشام عام (110هـ) ، حيث كان

الأمراء في بلاد الشام لا يحبذون البقاء في قصورهم طويلاً لذلك كانوا يتخذون لهم قصوراً ريفية يخرجون إليها للراحة بعيداً عن الحياة الرسمية وأمور الحكم .

لذلك نجد إن أمراء الأندلس قد تأثروا بهم ، إذ كان لبلاد الشام آثاراً واضحة على نهضة قرطبة العمرانية التي أصبحت زاهية بمنشاتها ومبانيها ، وقد حرص الأمراء والخلفاء الأمويون أن يشيع نمط العمارة الإسلامية فيها ، وعاشت الأندلس حياة متحضرة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إذ اتصلت مباني قرطبة والزهراء والزاهرة ويستطيع الإنسان المشي فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال ، حيث تميزت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من الدور المحاذية ، ولقد شهدت الدولة الأموية في الأندلس الفن العربي الإسلامي المعماري الذي جاء مصاحباً لمظاهر الترف التي أحاط الأمراء الأمويين فيها أنفسهم ، وقد بدأت الحركة العمرانية في عهد عبد الرحمن الداخل ونشطت وتوسعت بعد ذلك .

كما اهتم الأمراء والخلفاء في الأندلس ببناء المدارس في كل مدينة ، اذ انتشرت في قرطبة المدارس والجامعات مما أدى الى اتساع النشاط الحضاري فيها ، وتعد المدرسة المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي فضلاً عن العلوم الأخرى، وانتشر التعليم في الأندلس في حين ظلت أوربا متأخرة في ذلك الزمن.

إن قرطبة أصبحت في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر عروس الغرب ، وإنها تألقت في مكانتها العلمية فضلاً عن نهضتها العمرانية، حيث بلغت في عهدي الإمارة والخلافة الغاية في العمران واتسعت رقعتها بما انضم اليها من الارباض ويدور بها سور شامل وخندق لم تشهد له قرطبة نظير في عصورها السابقة، ومازالت تحتفظ بتراث كبير من ماضيها العربي الإسلامي المجيد الذي عجزت معاول الهدم وحوادث الأزمان أن تنتزع جذوره العميقة من ارضها، حيث أنّ آثار الإسلام فيها واضحة كل الوضوح في سائر مناحي حياتها ، ومع كونها من الآثار التي يفد لأجلها السياح الى اسبانيا من مختلف أنحاء العالم فهي سجل خالد لتراث العرب المسلمين في بلاد الأندلس، وأكد علماء أوربيون على فضل العرب

المسلمون على أوربا في مختلف جوانب الحضارة وقد ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال قرون عديدة وانتشرت مآثرها في معظم أنحاء العالم ، واحتلت دراستها مكانة بارزة في كتابات المؤرخين والباحثين لما حققته في بناء ورقي المجتمعات الإنسانية، وما أحدثته من تطورات في الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية ، وان أثرها في الشرق كان في الدين والفنون واللغة

أما أثرها في الغرب فكان في العلوم والعمران والفنون ، وحينما كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت المدارس والمكتبات منتشرة في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة كانت أوربا تعيش عصورها المظلمة ، فالإسلام بمبادئه وتعاليمه حرّر الإنسان من قيود كبلته وعرقلة دوره في التطور وحرّرت أفكاره من أساطير وعقائد مختلفة ، وذلك واضحاً في البلدان التي فتحها العرب المسلمين.

إن الدراسات التاريخية ارتبطت بتطور الوعي الذي يقوم على إدراك أهمية العناصر الرئيسة في صنع أحداث التاريخ وبناء الحضارة وهي الإنسان والزمان والمكان ، وكان للتاريخ العربي الإسلامي في الأندلس أثراً كبيراً على أوربا ، وقد أصبحت بلاد الأندلس قاعدة حضارية جديدة للعرب المسلمين بعد أن انتشرت في بلدان المشرق.

كان الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية له صدى وأهمية في نشر الإسلام بين الشعوب ، وقد شغل المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً، لما يمثله من التقاء الشرق بالغرب وكانت العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية لها أثرها في تحريك الأحداث ، وان هذا الفهم كان له أثره في صياغة المنهج ، وقد فرضت طبيعة هذه الدراسة أن أُمهد لها من الناحية الجغرافية والتاريخية ثم الدخول في اثر بلاد الشام الحضاري في تطور قرطبة العمراني .

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة التي تمثل اثر المشرق العربي الإسلامي على تطور قرطبة العمراني الى النتائج الاتية لإيضاح بعض معالم هذا المجهود وهي :

1/ أصبحت بلاد الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي طريقاً لانتقال الحضارة العربية الإسلامية الى أوربا ، إذ كان للعرب حضارة تمتد جذورها الى العصور القديمة ، وتزخر بأنواع العلوم والمعرفة ، وان بناة الحضارة العربية الإسلامية قد أسهموا في تطور الحضارة الإنسانية .

2/ ومن خلال عملية تحليل عوامل نشأة المدن الإسلامية في بلاد الأندلس ، نجد أنّ الأمراء والخلفاء اهتموا بتشييدها ويتوسطها المسجد الجامع وتنتشر فيها الدور الرسمية والعامة ، وذلك لإظهار عظمة الإسلام وقوة السلطة والشهرة وتمجيدهم ، لان العمران يبقى شاخصاً لزمن طويل ،واعتمدوا الصخور والأخشاب والمواد الأولية من البيئة المحلية في البناء ، واستعانوا بالعرفاء (المهندسين) الماهرين ، ويلاحظ التأثير الشامي في المنشات العمرانية لتجديد مظاهر الخلافة الأموية في المشرق ، حتى تكون استمرارا ً لها ومن أشهر المدن التي شيدت هي مجريط ، الزهراء ، سالم ، المرية ، وغيرها ، لان العمران يشكل أهم المعالم الحضارية التي لازالت شاهدة على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، وكان فتحها حدثاً حضارياً وعمرانياً وامتد أثره الى أوربا .

3/ اعتمد الفاتحون سياسة التسامح وحرية العقيدة الدينية مع السكان النصارى واليهود (لا إكراه في الدين) وشاطروا نصارى قرطبة كنيستهم وبنو مسجدا ً وتكييف بناءه حسبما

يتطلبه الدين الإسلامي ، وكان كل منهم يؤدي شعائره الدينية ، وقد دخل كثير من سكان البلاد الى الدين الإسلامي بعد تعرفهم على مبادئه التي كانوا يجهلونها .

4/ ويعلل الباحث سعي عبد الرحمن الداخل لإتمام بناء المسجد الجامع في قرطبة والذي بدأ به عام 169هـ/785م ، في أسرع وقت ممكن لأنه شعر بما يعانية المصلون من ضيق في المسجد وعدم استيعابه لهم ، وان الانجاز السريع له عام 170هـ/786م ، يعود الى الحصول على العناصر الأساسية لهذا العمل من أعمدة وتيجانها وأحجار منحوتة جاهزة من مباني قوطية ورومانية ، وكان يمثل مرحلة من مراحل النضج الفني والمعماري العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية بعضها انتقل الى الغرب الإسلامي من المشرق عن طريق العرب المسلمين الفاتحين ،وكان من الناحية الفنية رمز شامخ للدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، أما من الناحية العلمية فانه يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية ، وقد اجتمع المال والفن في بناءه ، وقد زاد فيه الأمراء والخلفاء زيادة بعد أخرى حتى بلغ الغاية في الاتساع والإتقان وكان شبيهاً بجامع دمشق حيث يمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من المسجد الأموي من حيث المئذنة والعقود المزدوجة والممر الذي يصل بقصر الإمارة.

5/ التأقلم السريع للمسلمين مع البيئة الأندلسية والذي يعود الى الطبيعة الجغرافية المتنوعة ، وقربها من المغرب العربي ومناخها المتأثر بالبحر الأبيض المتوسط الذي لا يختلف كثيراً عن المناخ في المشرق العربي الإسلامي ، فضلاً عن الحقبة الزمنية الطويلة للدولة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس .

6/ ومن خلال تتبع حركة الفتح العربي الإسلامي ، اتضحت فاعليته في اختلاط القبائل العربية من جهة وبينهم والبربر من جهة أخرى في ظل الإسلام

7/ كانت للفنون العربية الإسلامية في المشرق أثراً في تصميم الوحدة المعمارية في بلاد الأندلس ، وظهرت بأوضح مظاهرها في العمارة (فن البناء) وتخطيط المدن وبناء المساجد والقصور والمدارس والجسور والقناطر وفي المستشفيات والحمامات والقلاع والحصون وغيرها .

8/ أدى ازدهار الزراعة والتجارة والحرف الى تطور المدن والتحول من المراكز العسكرية الى مجتمعات حضرية تمارس مختلف الفعاليات المدنية .

9/ إنّ الغزوات التي يشنها أعداء الدولة العربية الإسلامية على سواحلها ، كانت دافعاً لتحصين الثغور للدفاع عن الحدود ، وجعلوا للمقاتلين المستقرين عطاء كبير .

10/ ان استقرار الدولة وقوتها وازدهارها الاقتصادي قد ادى الى توجه الوفود والسفارات الى الأندلس تطلب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها

11/ كانت رسوم الدولة الأموية في الأندلس امتداداً لرسوم دار الخلافة الأموية في المشرق الإسلامي ، ففي ولاية العهد مثلاً اتخذت الطابع الوراثي .

12/ أنّ الصراع على السلطة وقلة كفاية الخلفاء وقوة الممالك الاسبانية وتعاونها في الشمال والمساعدات التي تحصل عليها من الدول المجاورة ، دون تفكير من الحكام بالذي سيلحق بهم ، أدى كل ذلك الى خسارتهم حكمهم في تلك البلاد .

يقترح الباحث التوسع في الدراسات التاريخية عن بلاد الأندلس لاطلاع شعوب العالم عن حضارة العرب المسلمين ، وما أبدوه من تسامح ديني وحرية العبادة ، مما كان له أثره في دخول الكثير من أهل البلاد الأصليين في الإسلام.

وكذلك الاهتمام بالطابع الإسلامي والتراثي أثناء التوسع العمراني في البلدان العربية ، كما ينبغي المحافظة على البنايات القديمة التي تشمل على الفنون المعمارية المتمثلة بالمآذن والأقواس والزخارف والعقود والكتابات المتنوعة كونها تشكل تراثنا الحضاري عبر التاريخ الطويل وهي بصماته في ذاكرة الزمان .

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاي نحو ما قصدت إليه في دراستي المتواضعة هذه لإبراز اثر الحضارة العربية الإسلامية على بلاد الأندلس ، والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي حتى تأسيس الإمارة الأموية المستقلة

- **المبحث الأول : شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي**
  أولاً: لمحة جغرافية عن شبه الجزيرة الأيبيرية.
  ثانياً : أحوال شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي
- **المبحث الثاني: الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس .**
  أولاً: التخطيط لفتح الأندلس.
  ثانياً : اثر البحرية العربية الإسلامية في فتح الأندلس.
- **المبحث الثالث: مراحل الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس**
  أولاً: الحملات الاستطلاعية
  ثانياً: جهود طارق بن زياد في فتح الأندلس
  ثالثاً: استكمال موسى بن نصير فتح الأندلس
  رابعاً: نتائج فتح الأندلس
- **المبحث الرابع: عصر الولاة في الأندلس**
  أولاً: أشهر الولاة وإصلاحاتهم
  ثانياً: الأوضاع في الأندلس في عصر الولاة

الـمقـدمـــــــــــــة

تناولت هذه الدراسة الأحداث التاريخية التي امتدت من الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة (92-422هـ/711-1031م) وتسليط الضوء على تأثيرات بلاد الشام الحضارية كونها احد مراكز الحضارة العربية الإسلامية على مدينة قرطبة ، إذ يمكن مشاهدة الطابع الشامي بوضوح في المنشات العمرانية التي أُقيمت فيها، وان الامتداد الزمني للدولة العربية الإسلامية قد أدى إلى تطور الحضارة التي تعددت أشكالها وتنوعت بين المعارف والعلوم والأدب والعمران.

ويشكل العمران أهم المعالم الحضارية وتمثل في العمارة الدينية والمدنية ، وهو استجابة للحياة اليومية من جهة والتراكم الحضاري من جهة أخرى ، والمسجد الجامع يعني أساس العمران الديني ، ويُعد مسجد قرطبة من ابرز ما خلفه الأمويون من آثار وهو يمثل مرحلة من مراحل النضج والتطور الفني والمعماري من الطراز العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء والزخرفة ، وبذلك فانه من الناحية الفنية رمز شامخ ومن الناحية العلمية يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم المختلفة ، ويمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من الجامع الأموي بدمشق مثل العقود ووضع المئذنة وفي الممر الذي يصل المسجد بقصر الإمارة ، كما كان للكنائس والأديرة ارتباطاً بالعمارة الدينية .

إذ تمتع المسيحيون بالحرية الدينية ، وكانت لهم كنائسهم لإقامة شعائرهم ، لقد ازدهرت قرطبة في عهد الإمارة ، حيث زينتها القصور والمتنزهات ، ومن تلك القصور التي شيدت هي قصر الكامل ، والحائـــــر ،

والمبارك ، والمعشوق ، وكانت تحيطها الأسوار ذات الأبواب الكبيرة ، وبنى عبد الرحمن الداخل في شمال قرطبة قصراً صيفياً على سفح جبل سماه الرصافة محاكياً في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك الذي بناه خارج دمشق في بادية الشام عام (110هـ) ، حيث كان الأمراء في بلاد الشام لا يحبذون البقاء في قصورهم طويلاً لذلك كانوا يتخذون لهم قصوراً ريفية يخرجون إليها للراحة بعيداً عن الحياة الرسمية وأمور الحكم .

لذلك نجد إن أمراء الأندلس قد تأثروا بهم ، إذ كان لبلاد الشام آثاراً واضحة على نهضة قرطبة العمرانية التي أصبحت زاهية بمنشاتها ومبانيها ، وقد حرص الأمراء والخلفاء الأمويون أن يشيع نمط العمارة الإسلامية فيها ، وعاشت الأندلس حياة متحضرة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إذ اتصلت مباني قرطبة والزهراء والزاهرة ويستطيع الإنسان المشي فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال ، حيث تميزت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من الدور المحاذية ، ولقد شهدت الدولة الأموية في الأندلس الفن العربي الإسلامي المعماري الذي جاء مصاحباً لمظاهر الترف التي أحاط الأمراء الأمويين فيها أنفسهم ، وقد بدأت الحركة العمرانية في عهد عبد الرحمن الداخل ونشطت وتوسعت بعد ذلك .

كما اهتم الأمراء والخلفاء في الأندلس ببناء المدارس في كل مدينة ، اذ انتشرت في قرطبة المدارس والجامعات مما أدى الى اتساع النشاط الحضاري فيها ، وتعد المدرسة المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي فضلاً عن العلوم الأخرى، وانتشر التعليم في الأندلس في حين ظلت أوربا متأخرة في ذلك الزمن.

إن قرطبة أصبحت في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر عروس الغرب ، وإنها تألقت في مكانتها العلمية فضلاً عن نهضتها العمرانية، حيث بلغت في عهدي الإمارة والخلافة الغاية في العمران واتسعت رقعتها بما انضم اليها من الارباض ويدور بها سور شامل وخندق لم تشهد له قرطبة نظير في عصورها السابقة، ومازالت تحتفظ بتراث كبير من ماضيها العربي الإسلامي المجيد الذي عجزت معاول الهدم وحوادث الأزمان أن تنتزع جذوره العميقة من ارضها، حيث أنّ آثار الإسلام فيها واضحة كل الوضوح في سائر مناحي حياتها ، ومع كونها من الآثار التي يفد لأجلها السياح الى اسبانيا من مختلف أنحاء العالم فهي سجل خالد لتراث العرب المسلمين في بلاد الأندلس، وأكد علماء أوربيون على فضل العرب المسلمون على أوربا في مختلف جوانب الحضارة وقد ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال قرون عديدة وانتشرت مآثرها في معظم أنحاء العالم ، واحتلت دراستها مكانة بارزة في كتابات المؤرخين والباحثين لما حققته في بناء ورقي المجتمعات الإنسانية، وما أحدثته من تطورات في الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية ، وان أثرها في الشرق كان في الدين والفنون واللغة.

أما أثرها في الغرب فكان في العلوم والعمران والفنون ، وحينما كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت المدارس والمكتبات منتشرة في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة كانت أوربا تعيش عصورها المظلمة ، فالإسلام بمبادئه وتعاليمه حرّر الإنسان من قيود كبلته وعرقلة دوره في التطور وحرّرت أفكاره من أساطير وعقائد مختلفة ، وذلك واضحاً في البلدان التي فتحها العرب المسلمين.

إن الدراسات التاريخية ارتبطت بتطور الوعي الذي يقوم على إدراك أهمية العناصر الرئيسة في صنع أحداث التاريخ وبناء الحضارة وهي الإنسان والزمان والمكان ، وكان

للتاريخ العربي الإسلامي في الأندلس أثراً كبيراً على أوربا ، وقد أصبحت بلاد الأندلس قاعدة حضارية جديدة للعرب المسلمين بعد أن انتشرت في بلدان المشرق.

كان الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية له صدى وأهمية في نشر الإسلام بين الشعوب ، وقد شغل المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً، لما يمثله من التقاء الشرق بالغرب وكانت العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية لها أثرها في تحريك الأحداث ، وان هذا الفهم كان له أثره في صياغة المنهج ، وقد فرضت طبيعة هذه الدراسة أن أُمهد لها من الناحية الجغرافية والتاريخية ثم الدخول في اثر بلاد الشام الحضاري في تطور قرطبة العمراني .

تتألف هذه الأطروحة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ثم الملاحق والخرائط تناول الفصل الأول شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي حتى تأسيس الإمارة الأموية المستقلة ، وقد قسم على أربعة مباحث ، درس المبحث الأول شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي ، إذ أشار الى لمحة جغرافية عنها وأحوالها قبل الفتح العربي الإسلامي ، وأوضح المبحث الثاني الفتح العربي الإسلامي والتخطيط له واثر البحرية العربية الإسلامية ، وحدد المبحث الثالث مراحل الفتح والحملات الاستطلاعية وجهود طارق بن زياد وفتوحاته واستكمال موسى بن نصير الفتح ونتائجــه ،
ودرس المبحث الرابع عصر الولاة وإصلاحاتهم وأوضاع البلاد ودورهم في نشر الإسلام .

وخصص الفصل الثاني لدراسة أحوال الأندلس بعد وصول عبد الرحمن الداخل إذ أوضح المبحث الاول خطة عبد الرحمن الداخل وكيفية وصوله الى قرطبة ،وأشار المبحث الثاني الى موقف يوسف الفهري وما تحدث عنه المؤرخين على المواجهة الحاسمة بين الطرفين والتي شهدت منطقة المصارة القريبة من قرطبة وقائعها ، وجاء المبحث الثالث

ليوضح كيفية تأسيس عبد الرحمن الداخل الإمارة الاموية والمشاكل التي واجهته، وأشار المبحث الرابع الى أهمية قرطبة التي أصبحت عاصمة الإمارة الأموية في الأندلس ، وتناول المبحث الخامس علاقات عبد الرحمن الداخل مع الخلافة العباسية ودولة الفرنجة والممالك الاسبانية في الشمال لينصرف الى الشؤون الداخلية .

ودرس الفصل الثالث مكانة الحضارة العربية الإسلامية في العالم ، إذ أوضح المبحث الأول مميزاتها ومبادئها، وأشار المبحث الثاني الى انتقال الحضارة العربية الإسلامية الى بلاد الأندلس ، وتناول المبحث الثالث العلاقة بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين ، وأوضح المبحث الرابع التأثيرات في حياة السكان الأصليين في الميدان الأدبي والفلسفة والعلوم والفنون .

وجاء الفصل الرابع ليوضح اثر بلاد الشام الحضاري على تطور قرطبة العمراني في عصر الإمارة الإسلامي ، تناول المبحث الأول الأثر في مجال العمران الديني ، حيث يُعد المسجد الجامع مظهراً من مظاهر العمـارة
الدينية وهو مركز إشعاع ديني وعلمي واجتماعي لذلك اهتم الأمراء والخلفاء، كما كان للكنائس والأديرة ارتباطاً بالعمارة الدينية وتمتع سكان البلاد بالحرية الدينية ، كما أوضح اثر بلاد الشام الحضاري في مجال العمران المدني ، إذ اشتمل على القصور والدور الرسمية والعامة والمدارس والقناطر والجسور ، وكيفية إنشائها ، وأشار الى الأثر في العمران الحربي وتطرق الى الأسوار والأبراج والقلاع والثغور ، وتناول المبحث الثاني فن العمارة والبناء وتأثرهما بالفن العربي الإسلامي لبلاد الشام .

ودرس الفصل الخامس حضارة بلاد الشام وأثرها على نهضة قرطبة العمرانية في عصر الخلافة الأندلسية ، إذ درس المبحث الأول جهود عبد الرحمن الناصر في وحدة البلاد ، وأوضح المبحث الثاني العلاقات الدبلوماسية التي اتبعها عبد الرحمن الناصر مـــع الممالك الاسبانية والــدول

الأوربية ، وخصص المبحث الثالث لدراسة مظاهر الحضارة العمرانية في قرطبة والتي اشتملت على المساجد والجوامع والمدن والحمامات.

وتناول المبحث الرابع الصناع والحرفيين وأثرهم في ازدهار العمران في الأندلس ، حيث أسهموا إسهاماً بارزاً في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية.

تحليل المصادر والمراجع

كان الهدف الأساسي هو الخروج بدراسة موضوعية ، لذلك اعتمد الباحث على مصادر أولية متنوعة الى جانب المراجع الحديثة العربية منها والأجنبية وشملت معلومات المصادر الأولية فصول الدراسة وكانت ذات أهمية كبيرة ، ومنها كتاب (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/933م) وتناول كتاب (العقد الفريد) لأبن عبد ربه (ت 328هـ/939م) حكام الدولة الاموية في الاندلس واعمالهم وكتاب (تاريخ افتتاح الاندلس) لأبي بكر محمد القرطبي المعروف بأبن القوطية (ت 367هـ/977م) الاحداث التاريخية التي مرت بها الاندلس منذ الفتح العربي الاسلامي حتى وفاة الامير عبد الله الاموي سنة (300هـ) كما اوضح كتاب (المقتبس في اخبار بلد الاندلس) لأبن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1076م) تاريخ الاندلس من الفتح العربي الاسلامي سنة 92هـ/711م حتى خلافة الحكم المستنصر, وكانت من خصائص الكتابة التاريخية عنده الدقة والضبط وكان يخضع كل مايقرأه او يشاهده لميزان نقدي علمي حتى

انه كان يثبت التقويم الهجري ومايقابله من التقويم الميلادي للاحداث التاريخية ونبذه للأساطير والاحاديث الخرافية .

وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت630هـ/1223م) ,ومن المصادر التاريخية الأندلسية التي لا يستغنى عنها في أخبار الأندلس كتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م) ، وكتاب (أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) لابن الخطيب الغرناطي (ت776هـ/1274م) ، فقد تضمن معلومات كثيرة وفي جوانب متعددة عن بلاد الأندلس كما تضمـــن كتـــــاب (العبر ، ديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)لابن خلدون(ت808هـ/1405م) معلومات وافية عن الدولة الأموية في بلاد الأندلس ومن الكتب التي أغنت الدراسة في كل فصولها كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للمقري التلمساني (ت1041هـ/1631م) كونه جمع معلومات من كتب عديدة وقد شجعه على تأليفه شاعر الشام وأديبها احمد الشاهيني ، وأصبح لهذا الكتاب تعلق بالشام من وجوه عديدة ، أولها إن الداعي لتأليفه أهل الشام ، وثانيها إنّ الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ، وثالثها ان اغلب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا الأندلس وطناً ، ورابعها إن غرناطة نزل بها أهل دمشق سموها باسمها، وان هذا الكتاب وثيقة في تاريخ الأندلس وآدابها لإحاطته بكل ماله علاقة بالأندلس من الفتح حتى سقوط آخر قلعة إسلامية في أيدي الأسبان عام 897هـ/1492م ، وهو احد المصادر المهمة في مجال الدراسات الأندلسـية .

أما كتـــاب (أخبـــار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها) لمؤلف مجـــهول، فقـــد أفـــاد الدراســـة ، حيث تدور الفقرات التاريخية التي يتألف منها حول وقائع التاريخ الأندلسي من الفتح العربي الإسلامي الى خلافة عبد الرحمن الناصر ، ويعتقد بعض الباحثين بأنه من تأليف عدد من الأندلسيين من أبناء البيوت الكبيرة من العرب الموالين للبيت الأموي الحاكم تناوبوا على كتابته وسجلوا أحداثاً على جانب كبير من الأهمية

ولكتب الطبقات والتراجم اثر كبير في الدراسة ومنها كتاب (قضاة قرطبة) للخشني (ت361هـ/971م) ، حيث قدم فيه صورة للحياة الاجتماعية في قرطبة من خلال تراجم أشهر القضاة فضلاً عن بعض الفقهاء والعلماء ، وقد اعتمد في مادته على الخطابات المتبادلة بين الحكام والقضاة والوثائق المحفوظة عند بعض الأسر المتنفذة في البلاط الأموي ، كما كان لكتاب (طبقات الامـم) لأبـــي القاســـم صاعـد بن احمـــد (ت467هـ/1074م) ,

وكتاب (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لأبن ابي اصيبعة (ت668هـ/1269م) اهمية كبيرة في الدراسة ,وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت681هـ/1282م) ، فقد تضمن خطط المدن والتعريف بالرجال الذين برزوا في الأندلس وأعمالهم .

أما كتب الجغرافية والرحلات فقد تضمنت معلومات عن تحديد مواضع المدن والتعريف بالآثار الموجودة فيها وقد حفلت بكثير من المعلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية الى جانب العمران ، وقد أفادت تلك المعلومات الدراسة ومنها كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل (ت367هـ/977م) حيث أشار فيه الى أن الأندلس هي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما احتوته واشتملت عليه كونه زارها واطلع على

أحوالها في أول سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في عهد عبد الرحمن بن محمد ، وأوضح بان أكثرها عامر مأهول ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في جميع الأحوال .

وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ، فهي تتميز بسعة الرقعة وفسحة الأسواق ونظافة المحال وعمارة المساجد وكثرة الحمامات والفنادق وهي مدينة ذات سور من حجارة ، كما ذكر المسافات بين مدن الأندلس ، أما كتاب (جغرافية الأندلس وأوربا) لأبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م) فقـــد
تضمن معلومات أغنت الدراسة في جوانبها المختلفة عن العمارة والمساجد ، وتناول كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي (ت560هـ/1153م) معلومات عن بلاد الأندلس وبيئتها الجغرافية ومواردها الاقتصادية ومدنها ومساجدها من حيث البناء والتصميم ، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626هـ/1238م) ، فكانت أهميته كبيرة ، حيث وفر معلومات عن الأندلس ومدنها وعمرانها وآثارها .

أما كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) للحميري (ت723هـ/1326م) فانه وصف بلاد الأندلس بأنها تحيط بها المياه من جهاتها الثلاث وهي أقاليم عدة.

أما المراجع العربية الحديثة فقد أفادت الدراسة كثيراً ، ومنها كتاب (الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية) لمؤلفه شكيب ارسلان باجزاءه المتعددة ، فقد تضمن إنّ علم التاريخ له أهمية كبيرة في حياة الإنسان فضلاً عن الارتقاء ، والأسباب التي حملت العرب المسلمين على فتح الأندلس والأقوام الأولى الذين سبقوا الى سكناها وخططها أيام العرب المسلمين ، وذكر مدنها ومزايا كل منها ومـن نبغ مـن أهل العلم فيها ، وتنـــاول كتـــاب

(موسوعة تاريخ الأندلس ، تاريخ وفكر وحضارة وتراث) لمؤلفه حسين مؤنس ، فقد تضمن كيفية فتح العرب المسلمين لبلاد الأندلس ودور كل من القائدين طارق بن زياد وموسى بن نصير في ذلك وما حققه الفاتحين في المجالات العمرانية الدينية والمدنية ، وتضمن (معجم عمارة الشعوب الأسلامية) للمؤلف علي ثويني الركون الى حقيقة أنّ العمارة هي اقرب شجون الثقافة والفنون الى هواجس الإنسان ، فهي المدينة والدار والمسجد والمدرسة وغيرها كثير ، وان وصفت العمارة بأنها فن فهي الضرب المفيد من الفن وليس العابر والكمالي ، بل هي الضروري والفقه بها من مقتضيات تلك الضرورة ، وأشار الى صفة الإبداع الذي تتصف بـه عمارة المسلميـن ،

وأوضح كتاب (المرجع في الحضارة العربية الإسلامية) لإبراهيم سلمان الكروي وعبد الوهاب شرف الدين ، إن الحضارة العربية الإسلامية كانت أعظم حضارات العصور الوسطى ومن الواضح إن البيئة التي ظهرت فيها ونمت كانت موطناً لكثير من الحضارات القديمة المزدهرة ، فاخذ المسلمون من الحضارات التي سبقتهم ثم تناولوا ذلك القديم بالتصحيح والإضافة وظهر عن ذلك حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام ، وتناول كتاب (دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية) لسعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون بان تاريخ البشرية منذ أقدم العصور عبارة عن سلسلة من الحضارات وتزداد أهمية الحضارة بما تقدمه من إضافة بناءة لمسيرة البشرية وما تأتي به من إسهام فعال في رقي الإنسان فكرياً وروحياً ومادياً وخلقياً ، وكان كتاب (اثر العرب في الحضارة الأوربية) لمؤلفه عباس محمود العقاد قد أشار الى ان بلاد الأندلس لم تعرف عصراً ذهبياً في تاريخها كما عرفته أيام الدولة العربية الإسلامية ، حيث كانت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية تنتشر فيها ومن خلالها وصلت الى أوربا .

كما أفادت المراجع المترجمة الى العربية الدراسة في جوانب متعددة ومنها كتاب (في تاريخ اسبانيا الاسلامية) لمونتغمري وات ترجمة محمد رضا المصري الذي لم يقف عند حدود السرد والرواية بل كان رائده التحليل والتفسير ، حيث قدم موجزاً في تاريخ اسبانيا الإسلامية السياسي والحضاري ، ولا يبدو انه يحاول الإحاطة بكل حقب التاريخ الأندلسي

وحوادثها ، بل هو واضح من عنوانه تاريخ معين عُرض بطريقة خاصة ويقتصر على بعض الحوادث والظواهر التي تحكمت بمصير الدولة الأندلسية .

وتضمن كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه ، اثر الحضارة العربية الاسلامية على أوربا وازدهارها في الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي لها وتميز فن العمارة بأنه محدد الشكل تام الوضوح منظم مرتب وما أن انحسرت تلك الحقبة الحضارية عن اسبانيا حتى هوت تلك البلاد في سكون ، فليس هناك من دليل أوضح من هذا على قدرة العرب على الخلق والابتكار .

وأوضح كتاب (تاريخ العرب المطول) لفيليب حتي وآخرون حملات العرب المسلمين على شبه جزيرة أيبيريا مدخل أوربا الجنوبي والسرعة التي تمت والنجاح التي حققته، وكان لها مكانة فريدة في تاريخ الحروب في العصور الوسطى ، واستطاع الفاتحون أن يثبتوا أقدامهم في البلاد ويظلوا فيها قروناً طويلة ، وظهرت مآثرهم في شتى المجالات العمرانية والعلمية والأدبية والموسيقية وكانــوا الحملـة الرئيسيين لمشعـل الثقافة والمدنية فـي العـالـم اجـمع.

وأشار كتاب (الإسلام في المغرب والأندلس) للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي الى سياسة الحكام المسلمين الى السلم بدلاً من الحرب ومن الأمثلة على ذلك سفارة يحيى بن الحكم الغزال التي أوفدها الأمير عبد الرحمن الثاني الى ملك النورماند تيوفلس ، ويلاحظ فيها أعلى درجات التمثيل الدبلوماسي في اختيار شخصية الغزال المتميزة في الجانب الثقافي وما قـــام به من الالتـــزام بتعاليـــم الإســـلام .

كما تمت الاستعانة بالعديد من الكتب الأجنبية ومنها :

1- توريس ، بلباس ، المسجد الجامع بقرطبة وآثار مدينة الزهراء ، (مدريد ، 1952)، ص184.

2- سافدرا ، ادواردو ، دراسة عن فتح العرب لاسبانيا ، مدريد ، 1882م ، ص26.

3- اجوادو ، بلي ، المجمل في تاريخ اسبانيا ، ج1، مدريد 1947، ص500.
4- برادلي , هنري , القوط , (لندن , 1887م) ص 358

ومن المجلات والدوريـات التي أفادت الدراسة من خلال البحوث والمقالات :
(مجـلة دراســات تاريخيــة) ، (مجلة الجامعــة الإســلامية) ، (مجلة التراث الشعبــي) ، (مجلة جمعيــة المؤرخيــن والآثاريين) ،
(مجلة العربـــي).

هذه من المصادر والمراجع التي اعتمدتُ وظلّ منها الكثير لم يعرض له هنا واكتفاء إثباتها في الهوامش وإدراجها في الثبت الأخير التي تفرض التقاليد العلمية أن تختم بها الدراسات الجامعية.

شكر وتقدير

بعد إكمال هذه الدراسة لا يسع الباحث إلا أن يحمد الله المستحق وحده الشكر فمنه العون وبه نستعين ، ويقتضي الواجب والوفاء والعرفان أن أتقدم بالشكر والتقدير الى الأستاذ المساعد الدكتور قيس عبد الواحد السمرمد المشرف على الأطروحة ، إذ كانت لملاحظاته وتوجيهاته العلمية الأثر البالغ في انجازها .

وبامتنان صادق أتقدم بالشكر والتقدير الى الأستاذ المساعد الدكتور رعد هاشم عبود لمساعدتي في توفير المصادر والمراجع العربية والأجنبية فجزاه الله سبحانه وتعالى خير جزاء .

وباعتزاز أتقدم بالشكر والتقدير الى مكتب الجامعة في محافظة ذي قار ومسؤوله الزميل جمال شهد ، ولابد لي أن أقدم الشكر والتقدير الى موظفي مكتبة جامعة ذي قار وموظفي مكتبة كلية الآداب والمكتبة العامة في الناصرية والى كل من قدم لي العون والمساعدة سائلين العلي القدير ان يحفظهم جميعاً ، ومن الله التوفيق.

الباحث

شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي حتى تأسيس الإمارة الأموية المستقلة (92-138هـ/711-756م)

المبحث الأول : شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي

أولاً: لمحة جغرافية عن شبه الجزيرة الأيبيرية

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي من قارة أوربا ، يحدها من الشمال فرنسا التي كان العرب يطلقون عليها بلاد الفرنجة ، ومن الشرق والجنوب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب المحيط الأطلسي[1] ، وتتمتع بمناخ معتدل الحرارة وتنخفض كلما اتجهنا شمالاً وأمطارها شتوية ، وان "الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها" [2]، وتختلف جهاتها في هبوب رياحها وأمطارها وجريان أنهارها ، فالجانب الغربي منها تجري أودية إلى المحيط الأطلسي ، ويمطر بالرياح الغربية ، والشرقي تصب أوديته في البحر الأبيض المتوسط ويمطر بالرياح الشرقية [3]، وتضم مدناً كبيرة

1- الادريسي ، ابو عبد الله بن محمد (ت560هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتاب،ط1،ج2،بيروت1989م،ص525.

2- الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت710هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس،بيروت1980م،ص3.

3- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت626هـ)، معجم البلدان ، دار صادر ،ج4،بيروت1960م،ص195.

ففي وسطها قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة ، وفي شرقها مرسية ودانية وشاطبة وبلنسية وطرطوشة وبرشلونة وسرقسطة ، وفي غربها اشبيلية وماردة واشبونة [1]

.

وتتميز بخصوبة تربتها ووفرة خيراتها وكثرة أنهارها ، وفيها القلاع المنيعة والمدن الحصينة ، وتكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن المعروفة ما يصل إلى أربعين مدينة [2] .

وتتكون الأندلس من عدة أقاليم ويفصل بين شمالها وبلاد الفرنجة المجاورة لها شريط حدودي من السلاسل الجبلية (جبال البرت) والتي تتصف بصعوبة مسالكها[3] ، وصفة الأندلس مثلثة الشكل ركنها الأول في الموضع الذي يلتقي فيه البحر الأبيض المتوسط والمحيـط الأطلسي ، وركنها الثاني بيـــن مدينة اربونـــــة ومدينـة

1- المقري ، احمد بن محمد (ت1041هـ) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، ج1، بيروت،1995م، ص163.

2- المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار احياء التراث العربي ، ط2، ج1، بيروت 2011م ، ص110.

3- ابن حوقل ، ابي القاسم بن حوقل النصيبي (ت367هـ) صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1992م، ص105.

برذيل من بلاد الفرنجة وبينهما البر الذي يعرف بالأبواب وهو المدخل الى الأندلس ، وركنها الثالث في جليقية [1] ، وكانت بلاد الأندلس تمثل العدوة الشمالية من عدوتي البحر الأبيض المتوسط ، وكان القوط قد غلبوا على أهله قبل الفتح العربي الإسلامي .[2]

ثانياً : أحوال شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي.

كانت شبه الجزيرة الأيبيرية في التاريخ القديم تعرف بـ (اباريه) من وادي ابره (Ebro) الذي يقع شمال شرقها ، ثم اشبانيا من اسم احد ملوكها (اشبان)[3]، وان أول من عمرها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس نسبة الى أندلس بن يافث بن نوح[4] ، وقد اختطها بنو طوبال بن يافث بن نوح وسكنوها منذ قديم الزمان ، كما سميت فندليسيا والتي أخذها العرب من قبائل الوندال الجرمانية .

1- ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد (ت712هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال وكولان، ج2، بيروت 1950م، ص1.

2- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (ت808هـ) ، العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطن الاكبر ، دار احياء التراث العربي ، ج4، بيروت (د.ت)، ص121.

3- البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الارشاد ، بيروت 1968م، ص57.

4- القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ) صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ويوسف الطويل، دار الكتب العلمية ، ج5، بيروت 1987م، ص236.

وأصبح بعد التعريب الأندلس ، وأطلق العرب المسلمون على البلاد التي حكموها الأندلس[1]، وشهدت شبه الجزيرة الأيبيرية عبر تاريخها سلسلة من الهجرات والغزوات ، لما تتمتع به من الثروات المعدنية والإنتاج الزراعي الوفير والتجارة المزدهرة ، وقد أسس الفينيقيون في القرن العاشر ق.م عدة مستعمرات على السواحل الشرقية والجنوبية ثم الإغريق الذين أطلقوا على سواحلها أيبيريا .

وفي القرن الخامس ق.م خضعت الى حكم القرطاجنيين وازدهرت مدينة قرطاجنة التي أصبحت عاصمة لهم ، وفي عام (205 ق.م) تعرضت الى الغزو الروماني[2] الذي أنهى حكم القرطاجنيين ، وفي القرن الرابع الميلادي ضعفت الإمبراطورية الرومانية بسبب اتساعها وهجمات القبائل الجرمانية التي جاءت في موجات متعاقبة لتقويض كيانها ، واستطاع القوط الغربيين من السيطرة على بلاد الأندلس بعد انهيار حكم الرومان ، ويعد ايوريك المؤسس الحقيقي لدولة القوط الغربيين .[3]

1- ابن غالب الاندلسي ، محمد بن ايوب الغرناطي(من اهل ق6هـ) فرحة الانفس في اخبار الاندلس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مطبعة مصر 1956م، ص12؛ العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس، الاسكندرية، 1999م، ص19.

2- طرخان ، ابراهيم ، دولة القوط الغربيين، القاهرة1958م، ص77 .

3- مؤنس، حسين ، فجر الاندلس، القاهرة 1959م، ص6.

وكان من ابرز ملوك القوط هو وامبا وقد أحبه الناس لحكمته وحزمه وأنهى حياته السياسية بالاعتزال عام (680م) والاعتكاف في احد الأديرة للعبادة[1] ، حيث اثر ذلك على الأحداث في دولة القوط وأدى الى الاضطرابات وتفاقم الأوضاع والفوضى ، وشهدت البلاد الصراعات والمنازعات على العرش والثورات المحلية ودسائس النبلاء وكبار القساوسة الذين يسعون الى التغلغل في الشؤون السياسية للدولة أكثر مما كانوا يفعلونه من اجل مصالحهم ، واستمرت تلك الأوضاع حتى سقوط دولة القوط ودخول المسلمين الأندلس.[2]

وبعد تولي غيطشه الحكم حاول إصلاح الأوضاع في البلاد ، ولكن لم تمضي على ولايته سبع سنوات حتى بدل سياسته التي أغضبت المواطنين ، وقد توفى وترك ثلاثة أولاد

كانوا صغاراً وأوصى لابنه اخيلا العرش ، لكن لذريق اغتصب السلطة من أولاد غيطشة وقد ثاروا عليه.[3]

لقد كان المجتمع في ظل سلطة القوط يعيش في حالة من الظلم والتمايز الطبقي وفرض الضرائب الباهضة وأعمال السخرة في قصور النبلاء والإشراف ورجال الكنيسة [4].

1- ابو دياك ، محمد صالح ، الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الكيالي، عمان1988م، ص143.

2- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، الاسكندرية 2000 م، ص57 .

3- ابن القوطية ، ابو بكر محمد (ت367هـ) تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت1994، ص2.

4- عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس ، ج1،القاهرة1969م،ص30.

وقد انقسم المجتمع الى طبقات متعددة ، كطبقة النبلاء التي تحصل على الامتيازات لدعمهم للعرش وطبقة الملاك الصغار والتجار الذين يتحملون الضرائب المختلفة وطبقة عبيد الأرض الذين يتبعون مالكها ، وهناك طبقة جديدة نشأت بعد أن لجأ بعضهم الى مالك غني مجاور تنازلوا له عن أرضهم لحمايتهم من الغاصبين[1] ، ومن خلال ذلك يتضح طبيعة المجتمع القوطي الذي هو انعكاس لسياسة ملوكهم التي فشلت في تحقيق مجتمع موحد[2] .

لقد استطاع المسلمون خلال زحفهم من الشرق الى الغرب من إزالة عقبة في طريقهم للوصول الى بلاد الأندلس وهي بلاد المغرب ، إذ فتحوها والتي تعد البوابة الرئيسة لها [3] ، وقد واجهت القوات الإسلامية الصعوبات الكبيرة التي تمثلت في الطبيعة الجغرافية للبلاد وشدة باس القبائل البربرية في القتال ومعرفتهم بأرضهم فضلاً عن تدخل البحرية البيزنطية على الساحل الإفريقي، حالت تلك العوامل دون الزحف السريع للجيوش

الإسلامية، واستمرت مدة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ما يقارب من سبعين عاماً.[4]

1- الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي ، دمشق1987م، ص29.
2- بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في اسبانيا، بيروت1980م، ص64.
3- الرقيق ، القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم (ت425هـ) ، تاريخ افريقيا والمغرب ، تحقيق: محمد زينهم عزب، القاهرة1994، ص11.
4- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس، ص25.

وقد تهيأت للمسلمين عوامل مساعدة لنجاحهم في الفتح وهي إنّ البيزنطيين انشغلوا بمعالجة مشاكلهم الداخلية بعد مقتل الإمبراطور قسطنطين الثاني الذي كان شديد العداء للإسلام [1] ، يرى المؤرخون ان قيادة عقبة بن نافع للجيوش الإسلامية في المغرب هي بداية لعهد الفتوحات المنظمة ومؤشراً لتطور في إستراتيجية الفتح العربي الإسلامي ، وقد انشأ مدينة القيروان عام (50هـ) والتي أصبحت قاعدة عسكرية للمسلمين وفيها دار الإمارة والمسجد الذي يحمل اسم القائد العربي.[2]

ولما تولى حسان بن النعمان الغساني القيادة في الجيش الإسلامي كسب ود البربر وإقناعهم بالتوحد ضد البيزنطيين الذين تكبدوا خسائر كبيرة في قاعدتهم قرطاجنة ، وكان لسقوطها بيد المسلمين الأثر البالغ على مسار الفتوحات الإسلامية في جبهة المغرب[3] وقد عمل حسان بن النعمان على بناء قوة بحرية لكي يضمن حماية السواحل المغربية من أي اعتداء خارجي واتخذ من تونس مركزاً لها.

1- العبادي ، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الاندلس، القاهرة 1982م، ص20.

2- ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج7، ص164.

3- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت630هـ) الكامل في التاريخ ،ج4، بيروت 2006، ص267.

وأكمل القائد موسى بن نصير نهج حسان بن النعمان وتمكن من السيطرة على طنجة وأخضعت للسيادة الإسلامية ، ولم تبق إلا سبته والتي كان يحكمها يوليان[1] الذي سيكون له دور في فتوحات المسلمين للأندلس ، وقد استكمل موسى بن نصير ماقام به حسان بن النعمان واستطاع بناء أسطول بحري كان له أثراً كبيراً في فتح الأندلس .[2]

وعندما تولى لذريق السلطة ظل يخشى طيلة حكمه أبناء غيطشه والثورة عليه واستعادة عرش أبيهم بمساعدة أنصارهم ، وكانت الأندلس تعاني الظلم من حكامها في الوقت الذي كان السكان على الشاطئ الأفريقي المقابل ينعمون بالحرية والكرامة في ظل الهداية الإسلامية والتي ارتفعت راياتها على أرضه وسادها العدل الاجتماعي والذي جعل أهل الأندلس يتمنون الخلاص من حكم القوط[3]، وكان الوليد بن عبد الملك قد ولى موسى بن نصير عام (86هـ) على أفريقيا بعد أن تمكن موسى بن نصير وطارق بن زياد من فتح بلاد المغرب ونشر الإسلام فيها ، ونتيجة لجهود طارق بن زياد ولاه موسى بن نصير على طنجة .[4]

1- يوليان ، يرى ابن خلدون انه رومي، ابن خلدون ، العبر،ج4، ص185. ويشير ابن عبد الحكم المصري، ابو القاسم عبد الرحمن القرشي(ت257هـ) ، فتوح افريقيا والاندلس، ج1، بيروت1964م، ص204 ؛ بوجود صلات من الولاء تربطه بلذريق ملك اسبانيا.

2- بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا، ص58.

3- حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ،ج1، مصر 1964م، ص30.

4- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص220.

المبحث الثاني

الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس

أولاً : التخطيط لفتح الأندلس.

اجتمعت للعرب المسلمين أسباباً عديدة لفتح بلاد الأندلس ، فقد وصلت جيوشهم الى أقصى المغرب وحققوا من الانتصارات ما أذهل أعدائهم وبعد وصولهم الى المضيق الفاصل بين افريقية وأوربا قرروا اجتيازه الى تلك البلاد التي كانوا يسمعون عن خصوبتها وغناها ، فخيراتها في كل الأحيان وفواكهها في كل أوان وفيها الأنهار الكثيرة والعيون العذبة[1].

كما شجع العرب على التفكير في هذا المشروع أحوال الأندلس الداخلية والنزاع على الحكم والانقلاب الذي قاده لذريق على الملك غيطشه وما كان في نفوس أولاده من رغبة في الانتقام ممن اغتصب عرش أبيهم[2] ، وكان يوليان حاكم سبته لم يكن على وفاق مع الملك الجديد لذريق [3]، وقد عرض مساعدته للعرب لفتح الأندلس والقضاء على حكم لذريق ، وربما جاء ذلك من حسن علاقته بأولاد الملك غيطشه .[4]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص132.

2- م.ن ، ص109.

3- مؤنس، فجر الاندلس، ص56.

4- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص121.

والى أسباب أخلاقية تتعلق باغتصاب لذريق (لفلورندا) ابنة يوليان حاكم سبته مما أثار أبيها ودعاه الى حث المسلمين على فتح الأندلس بعد إشرافهم على البحر الأبيض المتوسط وكشف لهم ضعف القوط [1].

وكان جرياً على عادة الطبقة الراقية أن يبعثوا أولادهم الى القصر الملكي القوطي بطليطلة ليتأدبوا ويتعلموا فيه حتى إذا بلغوا زوج بعضهم بعضاً وتولى تجهيز أناثهم الى أزواجهن ، ثم حدث أن أعجب لذريق بابنة يوليان واعتدى على شرفها وقد أعلمت أباها بذلك سراً فغضب واشتدت حميته وعمل ما بوسعه لإزالة ملكه ، واخذ ابنته بعد أن تحجج بشوق والدتها إليها[2] ، وان لذريق لما ودّع يوليان طلب منه أن يرسل اليه صقوراً للصيد فأجابه لاوردن عليك طيوراً ما دخل عليك مثلها ، وكان يضمر له الحقد والسعي في إدخال العرب المسلمين عليه وهو لا ينتبه ، ولم يتريث يوليان بعد عودته الى سبته، إذ تهيأ للمسير الى افريقية ولقاء موسى بن نصير ووصف له ضعف باس رجال الأندلس[3].

1- ابن خلدون ، العبر، ج4، ص122.

2- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص243.

3- م.ن ، ج1، ص244.

كان التوجه نحو الأندلس يتماشى مع الدعوة الإسلامية وقد تم بعد أن تهيأت الظروف والوقت الملائمين ، إذ أنّ المد الإسلامي أزال حجب الظلام وهزم جيوش الظلال في أماكن كثيرة ، وكانت العقيدة الإسلامية هي عامل النصر الحاسم في الفتح الإسلامي[1] .

إنّ مقاومة القوط كانت عنيفة وما بذله الفاتحون المسلمون كان كبيراً حيث عدد المسلمين قليلاً وعدتهم اقل ويحاربون في ارض ما خبروها وكانت عوامل الفتح تكمن في نوعية القوات الإسلامية والصفات الإنسانية التي تحلت بها ، وقد مهدت عوامل عديدة وساعدت على فتح الأندلس ومنها استقرار المسلمين في افريقية واعتناق البربر الإسلام وحمل دعوته وكذلك بذل المسلمين جهداً كبيراً لإنشاء دار صناعة للسفن وتكوين أسطول بحري في الشمال الأفريقي عند ولاية حسان بن النعمان ومواصلة موسى بن نصير التوسع فيه ، فضلاً عن محاولة التعرف على حال البلاد بتوجيه بعض الحملات الاستطلاعية السريعة ، مما أعطى المسلمين القوة في المواجهة وكذلك إحاطة الخلافة علماً لتكون مستعدة لإرسال المدد ثم مساعدات يوليان للمسلمين .[2]

1- العبادي، احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الاسكندرية ، 1997م ،ص56.

2- ابن خلدون، العبر ، ج4، ص122.

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس أمر طبيعي حسب الخطة التي اتبعها المسلمون أثناء فتوحاتهم وهي تامين حدودهم ونشر دعوتهم والمضي في جهادهم مادامت هناك القدرة على الاستمرار، وكانت القيادة العليا

للمسلمين حريصة كل الحرص على سلامة جنودها فلم تقدم على أي عمل حربي إلا بعد دراسة شاملة ووضع الخطط العسكرية الدقيقة المناسبة لجميع الاحتمالات ، حفاظاً على أرواح المسلمين واتخاذ كل التدابير والاستعدادات قبل الشروع بالعمل الميداني للمحافظة على سمعة الدولة الإسلامية وتحقيق النصر وبث في نفوس المقاتلين الشجاعة والصبر كما خططت لتطمين أهل الأندلس بتخليصهم من الأوضاع القديمة وتحريرهم .[1]

إنّ الفتح لم يكن مغامرة حربية ارتجالية بل كان فتحاً منظماً بموجب خطة مدروسة تم التخطيط لها وإعدادها بدقة بين القائد موسى بن نصير والخليفة الوليد بن عبد الملك وبمساعدة القائد طارق بن زياد ودعم وإسناد يوليان حاكم سبته، هذا شان القوات الإسلامية في كل فتح وتحرير للأراضي والبلدان وإعداد واختيار المقاتلين المؤمنين بالفتح والقادة البارزين.[2]

1- السامرائي ، خليل ابراهيم وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، جامعة الموصل ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، 1986م، ص4.

2- العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص56.

ثانياً : اثر البحرية العربية الإسلامية في فتح بلاد الأندلس.

يصل البحر الأبيض المتوسط بين أجزاء الإمبراطورية البيزنطية وكان له دوراً هاماً في إنقاذها من المسلمين فكلا الجانبين ركب البحر ليواجه خصمه ، ولكن النصر كان حليف العرب المسلمين لان روح

الدين الإسلامي أشعرتهم بذاتهم ودفعتهم إلى تلك الحركة التوسعية التي شملت مصر وافريقية وما يليها غرباً ، ولم يلبث المسلمون أن وجدوا أنفسهم مطلين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ويواجهون أعداء مثل البيزنطيين الذين دأبوا على شن الغارات على الشواطئ الإسلامية [1].

وأدرك المسلمون قيمة البحرية كسلاح حربي فاخذوا في إنشاء دور لصناعة السفن الحربية في معظم المرافئ الممتدة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، كما عمدوا على نقل أهالي البلاد الداخلية الى الجهات الساحلية ومنحوهم الاقطاعات الواسعة لتشجيعهم على ركوب البحر من جهة والتعمير وزيادة السكان من جهة أخرى ، وقد انشأ العرب القاعدة البحرية في ميناء تونس والتي خرجت منها أساطيل المغرب تحمل راية الإسلام في غرب البحر المتوسط.[2]

1- بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا، ص49.

2- م.ن ، ص55.

ولما تولى موسى بن نصير افريقية سنة 86هـ تبنى مشروع السيطرة على صقلية ومايليها غرباً في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فاهتم في بادئ الأمر بتوسيع دار الصناعة في تونس التي أسسها حسان بن النعمان كما أمر بصناعة مائة مركب فيها ، ثم اخذ يوجه الحملات البرية الى صقلية وجزر البليار او الجزر الشرقية (ميورقة ومينورقة ويابسه) وكان هدفها تصفية ممتلكات وقواعد الإمبراطورية البيزنطية في حوض البحر الأبيض المتوسط قبل التوجه الى فتح الأندلس ، إن موسى بن نصير لم يكن قائداً برياً بل

كان قائداً بحرياً خبيراً بشؤون البحر وأجوائه وتقلباته وان نفوذه في البحر المتوسط كان بفضل قوته البحرية التي امتدت من مصر شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن توفر الموارد اللازمة لبناء السفن كالأخشاب والحديد والتي توجد بكثرة في بلاد المغرب.[1]

وبذلك فقد تمكن موسى بن نصير بفضل قوته البحرية أن يضعف حركة الأسطول البيزنطي في غرب حوض البحر الأبيض المتوسط واستطاع بسياسته البحرية الحكيمة ان يقدم بكل اطمئنان على فتح بلاد الأندلس بعد أن ضمن سلامة خطوط مواصلاته من خطر الإمبراطورية البيزنطية .[2]

1- مؤنس، فجر الاندلس ، ص46.

2- بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ص58.

المبحث الثالث

مراحل الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس

أولا : الحملات الاستطلاعية.

اتصل يوليان حاكم سبته بالوالي موسى بن نصير وعرض عليه مساعدته في فتح بلاد الأندلس ، وأوضح له بأنه يملك عدداً من السفن لا تزيد على الأربع يضعها تحت تصرفه لعبور المقاتلين وشوقه الى الأندلس وتسهيل عملية الفتح ، وقد رحب بذلك وكان يطمح بشرف الجهاد ولكنه لم يشأ أن يقحم المسلمين في عملية كهذه ، وفي ارض لا يعرفها ولم يكن قد وثق بالكونت يوليان بعد ولا يمكن أن يتصرف في هذا المشروع وحده دون موافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وكتب اليه ما ذكره يوليان فتردد وخاف من المخاطر في ارض مجهولة يفصل

بينهما بحر ، لكنه أمر موسى بن نصير بان يختبرها بالسرايا الاستطلاعية ولا يغرر بالمسلمين .[1]

استدعى موسى بن نصير الكونت يوليان واخبره بأننا لا نشك في قولك غير أننا نخاف على المسلمين فاعبر الى لذريق وشن الغارة على بلاده واقطع ما بينك وما بينه ، وإذ ذاك تطيب النفس عليك .[2]

1- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص3.

2- ابن خلدون، العبر، ج4، ص122.

لم يكتف موسى بن نصير بجدية يوليان فأراده أن يكون أول طلعة استكشافية للجبهة الاسبانية قبل أن يجربها بالسرايا الإسلامية ، وقد نفذ يوليان ذلك وحمل على اسبانيا وشن غارة باستخدام السفن على الساحل الجنوبي وعاد بالغنائم والسبي وهذا شجع وأثار الحماس لدى المسلمين لبداية الفتح بعد مفاتحة الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق.[1]

أما الطلعة الاستكشافية الثانية فكانت من المسلمين ، إذ اختار القائد موسى بن نصير احد رجال المسلمين وهو طريف بن مالك (أبي زرعة) في 91هـ/710م على رأس قوة عسكرية قوامها أربعمائة راجل ومائة فارس وقدم لهم يوليان أربعة سفن عبروا فيها ويدل هذا على حسن نية يوليان في مساعدته المسلمين على فتح الأندلس والتخلص من عدوه لذريق ، كما يدل من ناحية أخرى على حرص موسى بن نصير في عدم استخدام القوة البحرية الإسلامية في طلعات استكشافية محدودة الغاية ، واستطاع طريف من تحقيق الهدف في الأراضي الأندلسية ،

وقد ساعدته قوة من أنصار يوليان وأبناء غيطشه بحراسة المعبر حتى نزول القوات الإسلامية على الأرض.[2]

1- مؤنس ، فجر الاندلس،ص97.

2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج4،ص267.

نزلت القوات الإسلامية في جزيرة صغيرة حملت اسم طريف فيما بعد ومن ذلك الموضع قام طريف بسلسلة من الغارات السريعة على الساحل وحصل على غنائم كثيرة ، وكان هدف هذه الحملة الصغيرة الممارسة العملية لمعرفة طبيعة البلاد واستكشاف أحسن الأماكن التي يمكن إنزال الجيش الإسلامي فيها واستخدم المسلمون أساليبهم حتى يستطيعوا تقدير الأمور على حقيقتها والاستعداد لحملة كبيرة تقوم بالفتح الإسلامي.[1]

وقد حققت هذه الحملة الاستطلاعية نتائج عديدة منها : أنها تأكدت من حسن نوايا الكونت يوليان حاكم سبته والتعرف على سوء أحوال وأوضاع الأندلس والحاجة إلى الإصلاح ، والاطلاع على المسالك والممالك الأندلسية ومعرفة غنى وخيرات الأندلس والنجاح في اتصالات طريف مع الجانب الأندلسي ، كما ساعدت على إقناع الخليفة الوليد بن عبد الملك والوالي موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد بالشروع بالحملة وتجهيز القوات الإسلامية وإعدادها للفتح ، كما عجلت على التخطيط لوضع برنامج لصناعة السفن فأمر موسى في التجهيز والتعجيل بصناعة السفن .[2]

1- مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها، تحقيق ابراهيم الابياري ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981م، ص6.

2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص221.

ثانياً : جهود طارق بن زياد في فتح الأندلس.

كانت حملة طريف بن مالك سنة 91هـ/710م والنجاح الذي حققته قد شجعت موسى بن نصير الى عمل حاسم ، فاختار لذلك طارق بن زياد وقد سار على رأس جيش تعداده سبعة آلاف مقاتل أكثرهم من البربر [1] ، إذ توجه الى سبته وعبر الى جبل فأرسى فيه وسمي باسمه الى الآن وكان ذلك سنة 92هـ/711م وعزم النزول في موضع على البر فواجهته قوات القوط ، فعدل عنه ليلاً الى موضع آخر ونزل فيه وهم لا يعلمون فشن عليهم غارة وأوقع بهم خسائر كبيرة [2]، وكان هذا الجبل موقعاً استراتيجياً منذ أقدم العصور فهو همزة الوصل بين المغرب والأندلس والمتحكم في مضيق المجاز ضد أي عدوان على الأندلس من الناحية الجنوبية ، وحرص كل من الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان ثم القوط على بسط سيطرتهم على هذا المضيق واتخذوا منه قاعدة حربية لمواجهة أي هجوم يقع عليهم من هذه الناحية .[3]

1- ابن الكردبوس، ابو مروان عبد الملك (ت573هـ) الاكتفاء ، تحقيق احمد مختار العبادي، مدريد 1971م، ص46.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص122.

3- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص223.

لقد واجه المسلمون مقاومة كبيرة منذ نزولهم بلاد الأندلس حيث أنهم اضطروا الى تغيير خططهم العسكرية التي كانت مقررة والالتفاف حول العدو قبل أن يشعر بهم واحتلال الجبل[1]، وبنوا سوراً عليهم يسمى سور العرب[2]، ولما علم لذريق ملك اسبانيا الذي كان منشغلاً بإخماد حركات التمرد في أقصى شمال البلاد ، ترك تلك الجبهة وعاد ومعه مائة ألف مقاتل ، وقد طلب القائد طارق بن زياد من موسى بن نصير أن يمده بالمقاتلين حيث زحف اليه لذريق بما لا طاقة له بها [3] ، "إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث"[4] ، فأمده بخمسة آلاف مقاتل عبروا بسفن تم بنائها لهذا الغرض فأكملوا مع ما تقدم اثني عشر الفاً وتوجه نحوهم لذريق بجيشه الذي يحارب في بلاده ويعرف طبيعته وقريب من مصادر الإمدادات ، وكان الجيش الإسلامي متفوقاً ومسلحاً بالعقيدة الإسلامية .[5]

1- ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص46.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص12.

3- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص233.

4- ابن قتيبة ، ابومحمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ) الامامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة 1967م، ص118.

5- ابن خلدون ، العبر ،ج4، ص122.

قبل الدخول في تفاصيل الحملة العسكرية التي قادها طارق بن زياد لابد من الوقوف عند أمرين اختلف المؤرخون بشأنهما وهما إحراق السفن وخطبة طارق بن زياد ، حيث يذكر بعض المؤرخين انه بعد أن نزل على الشاطئ الأندلسي احرق سفنه كي يقطع على جنده أي تفكير في التراجع .

إنّ اغلب المؤرخين يميلون الى عدم قبول هذه الحادثة ونفي وقوعها وذلك لأهمية تلك السفن لأنها الوسيلة الوحيدة التي تمكن المسلمين العبور من شاطئ الى آخر [1]، كما أنها السبيل لدى طارق بن زياد للاتصال بموسى بن نصير لان شبه الجزيرة الأيبيرية منفصلة عن الساحل الأفريقي ولا تتصل به إلا عن طريق البحر وان إحراق السفن يعني قطع الاتصال بين طارق بن زياد وقائده موسى بن نصير ، وان طارق بن زياد عندما نزل بلاد الأندلس وتحرك نحو قلب البلاد سمع بمسير لذريق اليه على رأس جيش كبير فأرسل الى موسى بن نصير يطلب منه المدد فأمر له بخمسة آلاف جندي آخرين لتعزيز قواته ، لابد أنهم حملوا على السفن نفسها[2] ، وأصبح عدد الجيش الإسلامي تحت قيادة طارق بن زياد اثني عشر الفاً.[3]

1- مؤنس ، فجر الاندلس، ص69.

2- م.ن ، ص70.

3- الطبري ، ابوجعفر محمد بن جرير (ت310هـ) تاريخ الامم والملوك ، دار احياء التراث العربي، ط1، ج6، 2008م، ص353.

فكيف يخاطر بأرواح المسلمين ويعلم انه سوف يحتاج اليها لنقل وعودة المقاتلين والمستلزمات الضرورية لتحقيق النصر ، وإنها تمثل قوة البحرية الإسلامية والإقدام على حرقها يشكل خطأً استراتيجياً من الوجهة العسكرية ، والمسلمون على بداية خطوات الفتح ، ولا يعتقد بان المقاتلين المسلمين سوف يتخلفون عن الجهاد في المعركة لأنهم شاركوا بإيمان من اجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمته [1] .

وهناك امرأً آخر وهو عبور موسى بن نصير مع (18 ألف) جندي من افريقية الى الأندلس بعد حوالي عام من عبور طارق بن زياد بعد تلقيه كتب الفتح التي أرسلها اليه طارق فلا يمكن لموسى بن نصير انه قد عمل خلال عام واحد على بناء سفناً جديدة كافية لعبوره وجيشه ، ومن المعقول أن يكون عبوره في السفن التي استعملها طارق ، فضلاً عن أنّ بعض هذه السفن لم تكن للمسلمين وإنما كانت الى يوليان وبعض التجار فكيف لطارق أن يحرقها وهي ليست ملكاً للمسلمين وإذا احرقها ألا يثير ذلك يوليان والتجار التي تعد السفن وسيلة عملهم ولا يكون لطارق بن زياد الحق في إحراق سفن تعود ملكيتها لمن ساعدوه في العبور ، وهكذا نرى إنّ المنطق يتطلب من طارق بن زياد عدم إحراق السفن .[2]

1- الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص62.

2- العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص60.

كان الجيش الإسلامي متماسكاً شديد الاندفاع ويبذل كل ما يملك من اجل عقيدته وهذه المعاني كانت عاملاً مهماً من عوامل الانتصار الذي حققته القوات الإسلامية على

أعدائها ، ويبدو أن طارق بن زياد كان هدفه الوصول الى قرطبة، حيث اتجه الى الشمال في سهل قليل الارتفاع وفي وادي لكة او نهر برباط وعلى مقربه من شذونه [1] .

جرت معركة حاسمة استمرت ثمانية أيام بدءاً من 28 رمضان سنة 92هـ/19تموز 711م انتهت بهزيمة الجيش القوطي بقيادة لذريق الذي اختفى ، إذ يقال انه غرق أو قتل وقد تحقق للمسلمين قوله تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)[2] ، وقد سميت هذه المعركة بأسماء كثيرة منها معركة لكة أو بكة ومعركة شذونة والبحيرة .[3]

وقد غنم المسلمون من هذه المعركة غنائم كثيرة من بينها خيولا ً حتى انه لم يبق منهم راجل وكانوا يتمتعون بروح عالية وحماس نحو النصر ، واستغل طارق بن زياد انهيار القوط فاندفع في تعقب قوات لذريق والاستيلاء على المدن بعد أن أصبح الجيش الإسلامي يمتلك العدد والعدة.[4]

1- شذونة: هي مدينة ازلية كانت من قواعد اسبانيا وفيها حصون منها حصن روطه واركش وابن السليم وشلوقية ولها واديان هما وادي قرطانة ووادي لكة ، الحميري، الروض المعطار، ص339.

2- سورة البقرة : الاية 249.

3- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص7.

4- ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص47.

خطب القائد طارق بن زياد بجنده استعداداً للفتح فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد وقال[1] : "أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد استبقكم عدوكم بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة وانتم لا

وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم امراً ذهب ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، واني أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيه النفوس أبداً بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً ، استمتعتم بالارفة الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، وقد بلغكـــــم

1- ابن خلكان ، احمد بن محمد (ت681هـ) وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس، دار صادر، ج5، بيروت1977م، ص321.

ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدرر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقبان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عرباناً، واستمحاكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، والله تعالى انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في

الدارين ، واعلموا أني أول مجيب الى دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه ، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فأنهم بعده يخذلون" .

لقد أكدَّ طارق بن زياد على الصبر في القتال ، وحث على مواصلة الجهاد ، كما وعدهم بالخير الوفير في بلاد الأندلس وأوصى جنده بالحذر والاستعداد لمقاتلة عدوهم رغم كثرة جيشه .[1]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص233.

كان انتصار المسلمين على القوط في معركة وادي برباط او لكه قد ساعد القوات الإسلامية على تثبيت أقدامها على ارض بلاد الأندلس ، وبعد هذا الانتصار كتب طارق بن زياد الى موسى بن نصير يخبره بهذا الفتح والغنائم التي حصل عليها ، ولما وصلت أخبار الانتصار الى افريقية عبر الكثيرون ولحقوا بطارق بن زياد واخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة وازداد جيش المسلمين [1]، وقد دخلت أعداد كثيرة من أهل الأندلس الى الإسلام ورحبوا بالقوات الإسلامية وقدموا لها التسهيلات واعتبروهم منقذين لهم .

ومضى طارق بن زياد نحو استجه لفتحها ، إذ تحصن فيها الجنود الذين فروا من المعركة بعد انتصار المسلمين وكانت تحيط بها الأسوار للدفاع عنها ، إلا أنّ المسلمين اندفعوا نحو أسوارها واستطاعوا فتحها بعد قتال شديد ، إذ انزل الله على المسلمين نصره وهزم المشركين[2] ، ثم وزع طارق بن زياد جيشه لفتح بقية أنحاء بلاد الأندلس فوجه مغيث الرومي الى قرطبة على رأس (700) فارس ففتحها بفضل شجاعة المسلمين [3]، كما جهز جيشاً الى مالقة[4] ففتحها وآخر الى كورة البيرة وفتح مدينتها غرناطة [5].

1- ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص47.

2- مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة، ص9.

3- ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد(ت776هـ) الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج1، القاهرة1979م، ص101.

4- مالقة: مدينة قديمة في الاندلس على شاطئ البحر ومن حصونها سهيل وزكوان وهي كثيرة الفواكة ، الحميري، الروض المعطار، ص517.

5- البيرة: هي احدى كور الاندلس ومن مدنها غرناطة وفيها جبل بشلير ، الحميري، الروض المعطار، ص28.

وسار الجيش الإسلامي الى تدمير وسميت بذلك نسبة الى حاكمها ، وقد دار بينه وبين المسلمين قتال شديد هزم فيه الحاكم تدمير ، ثم تمكن من عقد صلح مع المسلمين حفظ به المدينة حيث فتحت صلحاً[1] ، وبعد ذلك توجه طارق بن زياد بجيشه الى طليطلة عاصمة القوط ففتحها وعامل أهلها معاملة حسنة تاركاً لهم حرياتهم الكاملة وترك حامية بها وسار الى مدينة المائدة وكانت خلف الجبل حيث تحصن فيها حاكم مدينة طليطلة وجنده بعد فرارهم من طليطلة ، فسلك طريقاً يمر بوادي الحجارة واجتاز ممر سميَّ فيما بعد (فج طارق) حتى وصل مدينة المائدة فافتتحها وعثر فيها طارق بن زياد على مائدة وهي من التحف الثمينة ، ثم

عاد الى طليطلة قبل حلول الشتاء لان المسلمين ثقلوا بالغنائم وأجهدهم القتال ، وأنهم بحاجة الى الراحة وحتى يعيدون تنظيم صفوفهم والاستعداد للفتوحات القادمة .[2]

1- العذري ، احمد بن عمر المعرف بابن الدلائي (ت393هـ) ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهوائي، مدريد1969، ص4.

2- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص255.

وقد تعاون اليهود مع القوات الإسلامية لمعاناتهم من حكم القوط وضماناً لمصالحهم فمنحهم طارق بن زياد الحماية والمشاركة في المحافظة على المدن المفتوحة ، حيث جعل في كل بلدة يفتحها المسلمين عدداً من اليهود مع بعض المسلمين لحفظها وتمضي القوات الإسلامية لغيرها ، لما يحمله دور حراسة المدن المفتوحة من أهمية كبيرة خوفاً من مهاجمة أعدائها من الخلف او تأليب أهل هذه المدن ضد المسلمين .[1]

وبعد أن فتح المسلمون قرطبة وقضوا على كل أمل لقوات لذريق ولأنصاره في العودة الى الحكم تقدم أبناء غيطشة الذين تعاونوا مع القوات الإسلامية الى طارق بن زياد ليطالبوا بإعادتهم الى الحكم لأنهم كانوا يعتقدون بان المسلمين قد يكتفون بما حققوه من انتصارات وما أصابوه من الغنائم ، لكن طارق بن زياد بدد أوهامهم واظهر انه اقبل الى

بلاد الأندلس لفتحها والاستقرار فيها ونشر الدين الإسلامي ، ووجد طارق بن زياد أنهم لا يستحقون أكثر من ضياع أبيهم وهي كثيرة ويبدو أنهم طمعوا في المزيد، فاستأذنوه في المسير الى موسى بن نصير في افريقية وطلبوا منه الكتابة اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهد ففعل ولما بلغوا موسى اقر على ما فعله طارق ، كما لم يفعل الخليفة الوليد بن عبد الملك أكثر من أن اقرّ عهد قائديه موسى وطارق وعاد أبناء غيطشه الى الأندلس قانعين بما حصلوا عليه ، إذ أعطاهم المسلمون ثلاثة آلاف ضيعة هي بعض ما كان لأبيهم وبهذا كان الفتح الإسلامي خيراً عليهم .[2]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص255.

2- م.ن ، ج1، ص256.

ثالثاً : استكمال موسى بن نصير فتح الأندلس.

تولى موسى بن نصير ولايه افريقية عام 86هـ/705م وأتم جهود من سبقه في خدمة الإسلام، وقد شارك في فتح الأندلس بقيادته وجهاده وحين وجه طارقاً لفتح الأندلس كان يلقى الأخبار ويراقب الأحداث ويهيئ المتطلبات لانجاز هذا الفتح ويدعو الله أنْ ينزل نصره على المسلمين.[1]

ومنذ بداية الفتح كان طارق بن زياد على صلة بقائده موسى بن نصير ويخبره عن كل شيء ويستشيره فيما يحتاج اليه وكان موسى بن نصير على علم بأحوال الفتوح في الأندلس ، وبعد سنة من عبور طارق بن زياد الى الأندلس وتوزيعه جيشه على المناطق والمدن التي فتحها خاف أن يستغل القوط قلة القوات الإسلامية أرسل الى موسى بن نصير يطلب المساعدة لمواجهة الأعداء وقد أدرك موسى بن نصير إنّ الجبهة اتسعت أمام طارق بن زياد وان تحرك موسى بن نصير الى الأندلس على رأس جيش كبير تعداده ثمانية عشر ألف مقاتل اغلبهم من العرب يمثل ترسيخاً للإستراتيجية الإسلامية في

الفتح الكامل لبلاد الأندلس والاستقرار بها وجعلها ولاية تابعة لمركز الخلافة في دمشق بعد الجهود التي بذلت لفتحها حيث كان عبور موسى بن نصير الى الأندلس في رمضان عام 93هـ/712م .[2]

1- ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص47.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص105.

لقد دفعت موسى بن نصير أسباب عديدة للعبور الى الأندلس ومنها [1] :

1- خشية موسى بن نصير من أن يتقدم المسلمون في تلك المناطق مسافات طويلة يسهل على العدو مهاجمتهم دون أن يتمكنوا من اتخاذ وسائل الدفاع المناسب عن أنفسهم فتضيع ثمرات الانتصار والفتوحات الأولى.
2- لتقديم العون والدعم للمسلمين حيث رأى أنّ عدد القوات الإسلامية التي تحت قيادة طارق بن زياد لم تكن كافية لفتح بلاد الأندلس الواسعة بعد أن سمع إنّ طارق بن زياد قد تقدم دون توقف فأراد ان يسير بنفسه على رأس جيش كبير ليضمن بذلك النصر الأكبر للمسلمين.
3- اطلاعه على أخبار الانتصارات التي حققها طارق بن زياد في الأندلس والثروات التي غنمها فرغب أن يكون له نصيب في تلك الانتصارات والفتوحات والغنائم من خيرات بلاد الأندلس المتنوعة الكثيرة .
4- الرغبة في الوصول الى المجد العسكري ومتابعة أحداث الفتح وعملياته الجهادية بالتوسع في الفتوحات في الشمال الأندلسي ، وان يكون له شرف الاشتراك الفعلي في فتح هذه البلاد الحصينة ، والتزام موسى بن نصير بأمر وتوجيه الخليفة الوليد بن عبد الملك ولتطبيق خطة جديدة لتوسيع الفتح حتى الوصول الى القسطنطينية.

1- مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة ، ص51 ؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص49.

استخلف موسى بن نصير على القيروان ولده عبد الله وغادرها على رأس جيش كبير اغلبهم من العرب ، وكان فيهم من التابعين نظمهم في فرقة قائدها موسى بن اوس ، وكان عبور الجيش على دفعات وقسم موسى بن نصير جيشه الى فرق حسب قبائلهم وأصولهم ومراتبهم، لكل فرقة راية وكان موسى بن نصير أول العابرين حيث أقام في منطقة قريبة من الجزيرة الخضراء [1] ، وبنى فيها مسجداً سميَّ مسجد الرايات.

وقام باستقبال الفرق العابرة براياتها والتي وصلت الى عشرين راية واجتمع القوم للرأي[2] ، وحتى اكتمال وصول الجيش أقام هناك أياماً للراحة والتأهب للقتال ، ثم اجمعوا على السير وفتح ما بقي من غرب الأندلس ، فزحف موسى بن نصير بجيشه ففتح شذونه وقلعة رعواق (حامو) ثم سار الى قرمونة وكانت مدينة حصينة ، وفكر في حيلة لفتحها، حيث أرسل اليها جنوداً من أتباع يوليان على هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ففتح لهم أهل قرمونة أبواب المدينة ثم وجه إليهم الخيل ليلاً وتمكن من فتحها.[3]

1- الجزيرة الخضراء: تقع جنوب اسبانيا نزلت فيها القوات الاسلامية اول الفتح بقيادة طارق بن زياد ، الادريسي ، نزهة المشتاق، ج2، ص519.
2- الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص72 ؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص73.
3- المقري ، نفح الطيب ،ج1، ص259؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج2، ص13.

وبهذا يكون موسى بن نصير قد امن خطوط مواصلات القوات الإسلامية بإقامة خط عسكري يمتد من الجزيرة الخضراء الى شذونه الى قرمونة الى استجه الى قرطبة لدعم مركز الجيوش الإسلامية وعمليات الفتح ، ثم سار موسى بن نصير بعد ذلك الى اشبيلية وكانت أعظم مدن الأندلس شاناً وأعجبها بنياناً وآثاراً، كانت دار الملك قبل القوط في بلاد الأندلس وفي عهد القوط حولوا العاصمة الى طليطلة وبقي أثرهم ورئاسة شؤونهم الدينية في اشبيلية فحاصرها موسى بن نصير حصاراً شديداً ولكنها واجهته عدة أشهر ثم فتحها وهرب رجال حاميتها الى مدينة باجه ، فضم موسى يهودها الى قصبة المدينة وخلف بها رجالاً ومضى من اشبيلية الى لقنت[1] ، ثم الى مدينة ماردة وهي ذات عز ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس وكانت محصنة وقوية لان قوات القوط المنسحبة قد تجمعت فيها لأنها بعيدة صعبة المنال وعرة المسالك فحاصرها موسى ، ولكن أهلها خرجوا لقتال المسلمين فصدهم بقواته فارتدوا الى مدينتهم وتحصنوا بداخل أسوارها فنصب لهم كميناً ،حيث باغتهم منه فرسان المسلمين الذين انقضوا عليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً وانسحب أهل ماردة الى المدينة وأغلقوا أبوابها فضرب موسى بن نصير الحصار عليها أشهراً.[2]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1،ص259.

2- م.ن ، ج1، ص260.

ثم عمل المسلمون دبابة للاختفاء فيها عند السور واخذوا ينقبونه ، إلا أنّ القوط قد باغتوهم وأوقعوا الكثير من الخسائر في

صفوف المسلمين فسميَّ ذلك البرج (برج الشهداء)[1] ، وقد استمر موسى بن نصير في حصاره لماردة حتى دخلها صلحاً عام 94هـ/713م ، وحصل فيه المسلمون على جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها(2)، ثم بدا موسى بن نصير بالتوجه نحو طليطلة وكتب الى طارق بن زياد بالسير اليه وعسكر في مكان يستعرض فيه الجيش عرف (بوادي المعرض) وكان لقاءهما عند طليطلة ، او إنّ طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسير موسى بن نصير فلقيه في طلبيرة التي تبعد 150كم غرب طليطلة .[3]

وبعد لقاء موسى بن نصير بقائده طارق بن زياد بدأوا يرتبون أحوال طليطلة وينظمون شؤونها ويستريحون ويخططون لفتح شمال بلاد الأندلس ، ودعوا الناس الى الإسلام وعند حلول فصل الربيع تهيأ الجيش الإسلامي وسارا سوية الى المنطقة التي عرفت بالثغر الأعلى .[4]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص259.
2- مجهول، اخبار المجموعة، ص26.
3- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع ، بيروت1957م، ص232؛ المقري ، المصدر السابق، ج1، ص260.
4- المقري ,المصدر السابق ، ج1، ص263.

فافتتحوا سرقسطة وأقاموا فيها مدة ينظمونها وانشأوا فيها مسجداً ثم افتتحوا ما حولها من المدن والحصون والقلاع ، وقد شرع الوالي موسى بن نصير بالتوسع في الفتوحات نحو الشمال على الرغم من المخاطر وصعوبة وصول الإمدادات العسكرية ، وتم التعاون بين الوالي موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد لفتح

برشلونة ، ولكن يظهر إنّ المسلمين لم يستقروا فيها لوعورة أراضيها وقسوة المناخ وبعدها عن قرطبة وكثرة غارات الإفرنج .[1]

كما تمكن الجيش الإسلامي من دخول جليقية والاستيلاء على معظم قلاعها وطاردوا العدو الذي فرّ الى جبال اوسترياس واعتصم بها فحاول موسى محاصرته وإرغامه على الاستسلام جماعة بعد أخرى حتى لم يبق سوى زعيم يدعى بلاي او بلايو وبعض أنصاره.

وبينما كان موسى بن نصير يشدد الحصار حتى كاد ان يلقي سلاحه وإذا بالخليفة الوليد بن عبد الملك يرسل اليه أبا نصر متعجلاً عودته الى دمشق بعد أن استبطأ رجوعه اثر وصول رسوله الأول مغيث الرومي ، فعاد موسى تاركاً بلاي ومن معه معتصماً بالجبال واستهان بهم المسلمون بعدهم في الأندلس فإذا بهم ينمون حتى كوّنوا المملكة النصرانية في الشمال التي قدر لها أنْ تتمكن بعد ثمانية قرون من إخراج المسلمين من الأندلس .[2]

1- ابن خلدون، العبر، ج4، ص122 ؛ الحجي، التاريخ الاسلامي، ص92.
2- المقري، نفح الطيب ، ج1، ص265.

وهناك أسباب عديدة دفعت الخليفة الوليد بن عبد الملك الى طلب الإسراع بعودة الوالي موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد الى دمشق وذلك للتعرف على مجريات الفتح الإسلامي النهائية في بلاد الأندلس ، وكذلك للحرص على أرواح المسلمين جراء مخاطرة الفاتحين بالمقاتلين المسلمين في المناطق البعيدة ، ولوضع خطة جديدة واستعدادات حربية بعد النجاح الذي حققه المسلمين وخوفاً من مغامرة موسى بن نصير العسكرية وعزمه على عبور جبال البرت ودخول بلاد الإفرنج وفتح القسطنطينية .[1]

وقبل أن يعود الى الشرق نظم شؤون الحكم بهذه البلاد الشاسعة فعين ابنه عبد العزيز على الأندلس وجعل مقره اشبيلية ، وعين ابنه الثاني عبد الله على افريقية وابنه الثالث عبد الملك حاكماً على المغرب الأقصى.

توجه الوالي موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد الى دمشق ومعهما مغيث الرومي وأبو نصر ومن أراد أن يرجع من الناس الى المشرق ، كما حمل موسى من الغنائم وكان قدومه على الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي كان بانتظاره سنة ست وتسعين .[2]

1- ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص153.

2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص266.

رابعاً : نتائج فتح بلاد الأندلس.

تم فتح بلاد الأندلس بدقة وتنظيم وان سير الجيوش الإسلامية لم يكن مرتجلا ، وهذا يدل على أن فكرة الفتح الشامل كانت موجودة منذ البداية لدى العرب المسلمين ، حيث أدى هذا الفتح الى تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية والدينية وكانت له نتائج مهمة ، فمن الناحية السياسية كسب المسلمون بلاداً جديدة أضافوها الى دولتهم الواسعة وحققوا نصراً جديداً لدعوتهم ورسالتهم وأصبح المسلمون حكام البلاد ، كما ان الفتح الإسلامي للأندلس غير حال اهلها بوجه عام ، فقد أزال الحكم القوطي عن تلك البلاد وأبقى المسلمون على بعض الذين ساعدوهم من حكام القوط أمثال يوليان حاكم سبته وردت الى أبناء غيطشه ضياعهم .[1]

أما من الناحية الاقتصادية فان المسلمين خفضوا من الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت تفرض على العاملين في الزراعة والصناعة والتجارة وقدر الخراج على

الأرض وهو يتوقف على ما تنتجه الأرض فعلاً ولذلك لم يكن عبئاً على الزراعة ، وقد نتج عن ذلك ازدهار جميع أوجه النشاط الاقتصادي وعاد على الشعب بالخير والرفاهية في ظل دولة الإسلام .[2]

ومن الناحية العسكرية نجد أن القوات الإسلامية قد قضت على معظم القوات العسكرية للقـــوط التي كانت تعضد النظام السياسي المتسلط والاقتصـــادي

1- ابن خلدون ، العبر، ج4، ص122 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج1،ص165.

2- عنان دولة الاسلام في الاندلس، ج1، ص30.

الذي كان يحقق للنبلاء والكنيسة الامتيازات وقد عملت القوات الإسلامية على توطيد الأمن والاستقرار في مختلف أرجاء بلاد الأندلس .[1]

وفي المجال الديني اتبع العرب الفاتحون سياسة التسامح الديني وحرية العبادة لسكان الأندلس ، لهذا فقد دخل الإسلام عدد كبير من أهالي البلاد عن إيمان ثابت وبذلك تخلصوا من ظلم حكم القوط ورجال الكنيسة .[2]

ومن الناحية الإدارية قسّمت بلاد الأندلس الى أربع ولايات كبرى يعين لكل منها حاكم مسؤول إمام والي الأندلس عن إدارة شؤون ولايته ، أما الوالي العام للأندلس فكان تعيينه في البداية من قبل والي افريقية وتنوعت عملية تعيين الولاة بين والي افريقية والخلافة الأموية في دمشق .[3]

أما من الناحية الاجتماعية فان الفتح الإسلامي قد حقق أثراً عظيماً في هذا المجال حيث أحسن العرب معاملة الرقيق الذين حل بهم البؤس والشقاء وكان هدف العرب المسلمين منصباً على توطيد السلام بين الأجناس المختلفة من السكان ، ولذلك أيدوا حكمهم

لما وجدوا فيه من تسامح كانوا ينشدونه ، كما عاملوا اليهود الذين عانوا من حكم القوط معاملة حسنة فقد سمحوا لهم بمزاولة التجارة وآمنوهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم واشتغل العديد منهم بالعلوم والآداب وغيرها .[4]

1- ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص48.

2- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص25 ؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص12.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص27.

4- عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ج1، ص52.

وقد نتج عن الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس تغيير شامل في الوضع الاجتماعي جعل الفرد يشعر بقيمته وكرامته ، فقد أثار العقول بما يحمله من قيم إسلامية إنسانية وحضارية سامية ، وبذلك كان الفتح بشير خير وبركة لبلاد الأندلس وتخليصها من الذل والهوان وانتهاك كرامة الإنسان .[1]

ففي عهد موسى بن نصير وطارق بن زياد أصبحت معظم أجزاء بلاد الأندلس في يد المسلمين[2] ، كما تم توقيع اتفاقية بين تدمير حاكم المدينة التي سميت باسمه (تدمير) وقاعدتها اوريوله وعبد العزيز بن موسى بن نصير في رجب سنة 94هـ / مايس 713م ، حيث دخلت تدمير صلحاً بعد محاولات مقاومة باءت بالفشل وقد نصت هذه الاتفاقية .[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى الى تدمير إذا نزل على الصلح أنّ له عهد الله وميثاقه ، ألا يقدم له وألا يؤخذ لأحد من أصحابه بسوء، وان لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم ، ولا يقتلون ، ولا تحرق كنائسهم ، ولا يكرهون

على دينهم ، وان صلحهم على سبعة مدائن :اوريولة ، ومولة ، ولورقة، وبلنتلة، ولقنت، وانه ، وبقسرة، وانه لا يـــــدع

1- مجهول، اخبار مجموعة ، ص5.

2- العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص281.

3- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص114 ؛ ينظر كذلك :

Bermejo valve , Lacanquista Arabe de Espana (Madrid 1989) p.113

حفظ العهد ولا يحل ما انعقد ولا يكتمنا خبراً علمه وان عليه وعلى أصحابه الجزية [1] ، ويمكن اعتبارها من الوثائق الفريدة بالأندلس أكدت على التسامح واحترام الديانات وحرية العيش والعمل في ظل الإسلام ومبادئه السمحاء [2].

كما عقد عبد العزيز بن موسى بن نصير اتفاقيات أخرى مع عدد من المدن التي دخلها وهي سنترين وقلمرية وذلك بعد خروجه من مدينة باجه عام 95هـ/714م ، متوجهاً الى الأطراف الغربية من الأندلس .[3] كانت فترة ولاية عبد العزيز بن موسى على الأندلس قصيرة وفيها عمل على تثبيت السلطة في بلاد الأندلس ، إذ تم قتله في سنة 97هـ/715م .

وتذكر المصادر التاريخية أنّ ذلك كان بسبب زواجه من أرملة الملك لذريق والتي عملت له تاجاً وطلبت منه لبسه أو بسبب تذمره من الخليفة سليمان بن عبد الملك لما حصل لأبيه من سوء المعاملة وقد وصل بعض كلامه الى الخليفة فاستاء وتخلص منه بعد حكم دام اقل من سنتين .[4]

1- الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت545هـ) كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، دمشق1968م، ص100.

2- مؤنس، فجر الاندلس، ص114.
3- السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص41.
4- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص11.

المبحث الرابع

عصر الولاة في الأندلس

أولاً : أشهر الولاة وإصلاحاتهم.

أستمر عصر الولاة من (95-138هـ / 714-756م) حتى وصول عبد الرحمن بن معاوية الداخل وفي هذا العصر كانت الأندلس ولاية تابعة للخلافة الأموية بدمشق ، لقد تولى حكم الأندلس بعد فتحها الى أن دخلها عبد الرحمن بن معاوية (20) والياً دام حكمهم (42) عاماً منهم اثنان من الولاة حكموا الأندلس مرتين هما عبد الرحمن الغافقي الولاية الأولى (102هـ/721م) والولاية الثانية (112هـ/730م) وحتى استشهاده في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/732م [1]، أما الوالي عبد الملك بن قطن الفهري كانت ولايته الأولى (114هـ/732م) والولاية الثانية (123هـ/741م) ، لمهاراتهم العسكرية والإدارية المتميزة ، ولقد استغرق فتح الأندلس قرابة أربع سنوات[2] ، إذ بدأت من رجب سنة 92هـ/711م حتى مطلع سنة 96هـ/714م .

ويمثل فتح الأندلس استمرار للفتوحات الإسلامية خلال القرن الأول الهجري التي شملت العراق والشام وبلاد فارس ومصر والشمال الإفريقي ، وتميز فتح الأندلس بقصر الفترة الزمنية قياساً الى الفتوحات السابقة ولاسيما فتح بلاد المغرب الذي استغرق ما يقارب السبعين عاماً ، فضلاً عن انه لم يرهق ميزانية الخلافة حيث كانت رواتب المقاتلين تدفع من أموال ولاية افريقية.[3]

1- كاظم، ماهر صبري، دراسات في التاريخ الاندلسي، بغداد 2009، ص24-25.
2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص25.
3- مؤنس، فجر الاندلس، ص122.

لقد برز من الولاة من كان لهم دور جهادي وبطولي متميز وكانوا مثال التضحية والاستشهاد من اجل القيم والمبادئ الإسلامية في شمال بلاد الأندلس وخلف جبال البرت ، فضلاً عن إصلاحاتهم وحسن سياستهم وسيرتهم ووقعت عليهم مسؤولية تثبيت الإسلام وصد هجمات الأعداء وتحملوا الأعباء الثقيلة والمصاعب ومن هؤلاء الولاة :[1]

السمح بن مالك الخولاني (100-102هـ/719-721م) كان من المتميزين في الجهاد وإدخال الإصلاحات المالية والعمرانية وقد اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق ولا يبتعد عن نهج الرفق وان يكتب اليه بصفة الأندلس وأنهارها ، ومن أهم الأعمال التي قام بها هي بناؤه للقنطرة على نهر الوادي الكبير في قرطبة وللمسلمين عناية كبيرة بها والتي كان لها أهمية في تاريخ الأندلس ، لأنها تصل العاصمة بجنوب الأندلس وبلاد الشرق وكانت تتصف بالتنظيم بحيث أصبحت متنزه لأهل قرطبة .[2]

1- الحجي، التاريخ الاندلسي ، ص132 ؛ مؤنس، فجر الاندلس، ص135.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص12 ؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص23.

كما اهتم ببناء مقبرة للمسلمين في قرطبة وبتوجيه من الخليفة عمر بن عبد العزيز [1] ، واتسمت ولايته بتنظيم البلاد وتحسين أوضاعها والقيام بالإصلاحات العمرانية .

أما في الجانب العسكري فقد أغار على غالة وهي الأرض الممتدة وراء جبال البرت شمالاً وتعرف حينذاك بالأرض الكبيرة او بلاد الفرنجة او الغال او غاليا ، واستولى على اربونه وطرسونه ، ثم تقدم حتى وصل الى طولوشة ، غير أن الدوق اودو دوق اكيتانيا تصدى لجيش المسلمين ، ودارت معركة عنيفة بين القوات الإسلامية وأعدائهم استشهد فيها الكثير من الجيش الإسلامي وكان من بينهم القائد السمح بن مالك الخولاني في سنة 102هـ/721م ، وكان ذلك في طرسونة في الشمال الأندلسي ، وكانت ولايته ما يقارب ثلاث سنوات[2] ، وكانت الأندلس ولاية مستقلة عن الشمال الأفريقي خاضعة الى الخلافة الأموية بصورة مباشرة .[3]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2،ص26 ؛ ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص13.

2- الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص53.

3- الحجي، التاريخ الاندلسي، ص140.

كما كان عنبسة بن سحيم الكلبي من الولاة البارزين أيضاً وقد أصبح والياً على بلاد الأندلس في (صفر سنة 103-شعبان107هـ/ 722-726م) وسار على نهج سلفه في العناية بالأمور الداخلية ، وكان يأخذ العشر من الذين

خضعوا للمسلمين بدون قتال والخمس ممن لم يخضعوا إلا بالقوة وكان ينظر في مظالم الناس وينشر العدل دون تمييز بين الجميع ، وهو من الولاة الذين شاركوا بالجهاد في مملكة جليقية ومواجهة خطر الزعيم المتمرد بلاي الذي تحصن مع أنصاره في الصخرة التي تقع في جبال كنتبرية ثم انسحب بلاي الى مواقع أكثر تحصناً وتقع في مغارة كوفادونجا ، وقد أغار عنبسه بن سحيم على ارض الإفرنج والحق بهم الهزائم والخسائر الكثيرة .[1]

إن اغلب ولاة الأندلس بذلوا أقصى جهودهم وإمكانياتهم من اجل نشر الإسلام في بلاد الأندلس ثم بلاد الإفرنج خلف جبال البرت ، وقد اتصف عنبسة بن سحيم بالشجاعة وإقرار الأمن وتنظيم الجيش والإدارة ، وكان رفقه وحسن معاملته للسكان عاملاً في تقوية الإسلام في جنوب فرنسا [2] وتوفي في شعبان سنة 107هـ/725م.[3]

1- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص123 ؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص44

2- عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ج1، ص82.

3- ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج2، ص27.

ومن ولاة الأندلس البارزين عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، كانت ولايته الأولى سنة 102هـ/720م بضعة أشهر ثم ولايته الثانية 112هـ/730م وكانت سنتين وسبعة أشهر ، وكان يتصف بحسن الإدارة الى جانب مهارته في القيادة العسكرية وطموحه في الأخذ بثار من استشهد من المسلمين في فرنسا ، وكان يأمل في تحقيق ماعجزوا عنه بالاستيلاء على فرنسا.[1]

إذ بدا ولايته بزيارة المناطق الأندلسية المختلفة للاطلاع على شؤونها وتنظيمها وانه عهد بإدارتها الى رجال أكفاء عادلين ، كما انه أعاد الى النصارى كنائسهم وأملاكهم وفرض الضرائب على الجميع بالتساوي وعمل على تقوية الجيش ، وكانت ولايته في الفترة التي انبعثت فيها الفتنة بين العرب في الأندلس بسبب العصبيات القبلية ، وقد عرف بحسن القيادة والشجاعة والحياد بحيث لا يتحيز لفريق دون الآخر ولا يتعصب لعنصر على عنصر آخر ، ولذلك استبشر الناس بولايته خيراً ، وكان يطوف في المدن ويحقق في شكايات الرعية ويرفع المظالم عن الناس.[2]

لقد قضى عاماً في تنظيم شؤون البلاد ثم أعلن الجهاد ضد الفرنجة وحشد الصفوف من مختلف الولايات وحصن القواعد والثغور الإسلامية في الشمال الأندلسي، وكانت معركة بلاط الشهداء او بواتييه من الملاحم البطولية التي قادها عبد الرحمن الغافقي في رمضان 114هـ/تشرين الأول 732م واستمرت عشرة أيام وقد استشهد فيها ، والتي كانت مع الإفرنج بقيادة شارل مارتل خلف جبال البرت في موضع يقع بين مدينتي (تور) و (بواتييه) جنوب فرنسا .[3]

1- عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ج1، ص84.

2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج4، ص403.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص28.

وانتهت المعركة بانكسار الجيش الإسلامي وانسحابه من ميدانها ، إذ إن جيش الفرنجة كان متهيئاً ومتحسباً للخطر الكبير الذي كان يهدده من الجنوب والذي يتمثل بالجيش الإسلامي الذي استطاع أن يبلغ نهر اللوار في وقت قصير ، أما الجيش الإسلامي فقد تعب من جراء المسافة التي قطعها منذ أن خرج من قرطبة وتناقص عدده بسبب ترك بعض الحاميات في المدن المفتوحة والغنائم التي حملوها معهم كل ذلك أدى إلى عدم التمكن من تحقيق النصر.[1]

وقد تحدث الكثير من المؤرخين العرب المسلمين عن معركة بلاط الشهداء وأهميتها فقد ذكرها احدهم بقوله : "فغزا عبد الرحمن الغافقي الفرنجة وأوغل في

أرضهم وحصل على ثروات وغنائم كثيرة ، فقتل هو والعديد من جيشه شهداء"[2] ، ووصفها آخر إنّ الغافقي غزا الإفرنج وكانت لهم فيها وقائع كثيرة الى أن استشهد وأصيب عسكره في رمضان 114هـ في موضع يعرف ببلاط الشهداء[3] ، كما روى آخر استشهاد عبد الرحمن الغافقي مع جماعة من عسكره سنة 114هـ بعد غزوة الإفرنج بموضع هو بلاط الشهداء وفيها أصاب الناس مجاعة [4].

إنّ القوات الإسلامية توقفت بعد معركة بلاط الشهداء والتي تمكنت أن تتوغل أكثر من ألف ميل شمال جبل طارق، كما إنّ العرب استطاعوا أن يحافظوا زمناً طويلاً على ممتلكاتهم في جنوب بلاد الفرنجة وظلت الأندلس في أيديهم ورسخوا أقدامهم فيها مايقارب من ثمانية قرون .[5]

1- ابو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس، ص193.
2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج4، ص404.
3- الضبي، احمد بن يحيى (ت599هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة1976م، ص353.
4- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص28.
5- مؤنس ، فجر الاندلس، ص263.

وولّيَّ عقبة بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب والي افريقية في شوال عام 116هـ/734م وكان من الولاة البارزين في بلاد الأندلس محمود السيرة وإذا اسر أسيراً لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ويقبح عبادة الأصنام له فيقال انه اسلم على يده ألف رجل.[1]

لقد كان المسلمون في ولاية عقبة بن الحجاج السلولي قد ثبتوا أقدامهم في بروفانس[2] ، وقد بلغ اربونه ولم تبق بجليقية مدينة لم تفتح غير الصخرة التي اختفى بها بلاي[3] ، واتخذ المسلمون مدينة اربونه في الشمال الأندلسي كقاعدة عسكرية في عهد الوالي عقبة بن الحجاج وذلك لأنها محصنة بالجبال وموقعاً استراتيجياً وقربها من نهر الرون ومن الثغر الأعلى الأندلسي وقاعدته سرقسطة وأصبحت مركز لانطلاق الحملات الجهادية باتجاه الفرنجة، كما انها تتميز بخيراتها الزراعية لسهولة أرضها واعتدال مناخها ووفرة مياهها ، فضلاً عن وجود عدد كبير من المؤيدين والموالين للمسلمين فيها بسبب سوء معاملة الإفرنج لهم وظلت مدينة اربونة ثغراً إسلامياً مهماً للأندلس وكانت كالدرع الحصين

للمجاهدين الذين يدافعون عن الإسلام من هجمات الإفرنج[4] ، ويلاحظ من مجريات الأحداث أنّ رد الفعل العسكري نتيجة معركة بلاط الشهداء كان عنيفاً ، حيث عزم الوالي عقبة بن الحجاج على بذل كل الجهود للقيام بنشاط عسكري واسع في الشمال الأندلسي بحيث استطاع من تحقيق الانتصارات العسكرية التي شملت اربونة وبنبلونة وجليقية حيث انطلقت الحملات الجهادية منها وغزا ارض الفرنجة .[5]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص29.

2- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص280 .

3- مجهول، اخبار مجموعة ، ص27.

4- عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج1، ص284.

5- ابن خلدون ، العبر، ج4، ص124.

وكان لاستشهاد عبد الرحمن الغافقي وانسحاب المسلمين من بلاط الشهداء دون تحقيق النصر اثر كبير في نفوسهم ، لهذا أرسل عبيد بن عبد الرحمن والي افريقية عبد الملك بن قطن الفهري والياً على الأندلس في جيش من خيرة جند افريقية وأمره بالعمل على حماية الأندلس واسترجاع هيبة المسلمين وتثبيتها في جنوب فرنسا وقد دخلها في شوال سنة 114هـ/732م وقد استمرت عامين ، أما الولاية الثانية فكانت سنة 123هـ/741م حيث بذل جهوداً عسكرية كبيرة لتعويض خسارة المسلمين في معركة بلاط الشهداء وسعى للأخذ بثأرهم ، وكان من الولاة الذين جاهدوا أعدائهم وتوسعوا في البلاد حتى بلغوا الفرنجة كما قاد حملة عسكرية الى إقليم البشكنس فأوقع بهم .[1]

اهتم الوالي عبد الملك بن قطن بالقضاء على حركات التمرد في ولايته الأولى تلك التي ظهرت في شمال الأندلس ، حيث استغلت تلك المجموعات فرصة انشغاله بإقرار الأمن وتجهيز الحملات الجهادية ضد أعداء الإسلام .[2]

لقد كان لمعركة بلاط الشهداء دروس وعبر وقيم تاريخية في حياة المسلمين في اتحادهم وعزيمتهم ومعرفة أعدائهم والسعي لتحقيق النصر وتحطيم أحلام الأعداء وبغضهم تجاه الحضارة العربية الإسلامية ومنع وصول الإسلام لبلدانهم كي لا يكشف الظلم

والاستغلال والعبودية والتخلف العلمي، حاول الولاة بعد معركة بلاط الشهداء بذل الجهود للثار للشهداء الذين ضحوا من اجل نشر الإسلام في الأندلس.[3]

1- ابن عبد الحكيم المصري، ، فتوح افريقيا والاندلس، ج1، ص92.
2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،ج4، ص409.
3- ابو دياك، الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس، ص193.

ثانياً : الأوضاع في الأندلس في عهد الولاة.

شهد عهد الولاة في بلاد الأندلس مدة من الاضطرابات السياسية والاجتماعية والعسكرية والذي استمر (42) عاماً حكم الأندلس من خلالها (20) والياً، وهذا يوضح حالة عدم الاستقرار في نواحي الحياة المختلفة وكانت التركيبة السكانية للأندلس تتكون من المسلمين وهم العرب والبربر ومن المسيحيين سكان المناطق الذين كانوا مصدر قلق للحكم الإسلامي ، لأنهم لم يهادنوا المسلمين وكانت مواقع سكناهم تسمى دار حرب ، ومن أهل الذمة الذين يعيشون مع المسلمين ويدفعون الجزية ويخضعون لكل متطلبات العيش في ظل الحكم الإسلامي ومن اليهود .[1]

الأحوال الإدارية والسياسية :

كان عهد الولاة في بلاد الأندلس يمثل عهد التأسيس والفتوحات للحكم الإسلامي ، وكانت الأندلس ولاية تابعة للدولة الإسلامية في دمشق زمن الأمويين، ولكن ضعف الدولة الأموية وبُعد الأندلس جعل من سلطة الأمويين إسمية وبعد أن كان والي الأندلس يعين من دمشق أصبح تعيينه في اغلب الأحيان من قبل والي افريقية ، وكان والي الأندلس هو الحاكم والقائد والقاضي ، وكان يعين عمالاً على المدن المختلفة ، أما سكان البلاد من غير المسلمين فكانوا يمارسون أعمالهم في وظائف مختلفة خاصة بهم ، وكان

للمسيحيين قضاء خاص يحكمون فيه بموجب القانون القوطي ، ويسمى قاضي النصارى ، وان لليهود نظام قضائي وإداري يعملون به .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب،ج2،ص25 ؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص22.

2- مؤنس، فجر الاندلس، ص122.

الأحوال الاجتماعية :

كان المجتمع في بلاد الأندلس يتألف من العرب والبربر الذين تحملوا أعباء فتح هذه البلاد بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير ومن أهل البلاد الأصليين ، وبدا في الأندلس بعد فتح المسلمين لها عصر جديد في حياتها العامة وفي نظمها الاجتماعية ، وامن الناس على حياتهم وحرياتهم وأموالهم ، وأدى ذلك الاستقرار وتنظيم الحياة الاجتماعية الى تطور الحياة ورفاهية الإنسان ، إذ حظي أهل الذمة (النصارى واليهود) بالحرية والتسامح مما مكنهم من ممارسة حياتهم الخاصة ومباشرة أنواع المهن ، فكان منهم الأطباء والتجار والصيارفة والمهندسين ، وقد تحددت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة في ظل تعاليم الإسلام الذي سمح بزواج المسلم من أهل الذمة دون أن تجبر الزوجة على ترك دينها والدخول في الإسلام.

وأدى ذلك الى تقوية الروابط الاجتماعية فشارك كل طرف الآخر في أعياده واحتفالاته وتبادل الهدايا في المناسبات الدينية وغير الدينية[1] ، ومن سكان الأندلس الصقالبة وكانوا يجلبون من أسرى الحروب او ممن استولى عليهم القراصنة من السواحل الأوربية ، وكان عددهم بقصر الزهراء 3750 .[2]

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج4، ص630.

2- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص296.

ويتألف المجتمع الإسلامي في بلاد الأندلس من عدة طبقات منها طبقة الحكام من خلفاء وأمراء ووزراء وقادة ، إذ اهتموا ببناء القصور حيث غدت الحياة فيها سمة بارزة من سمات المجتمع وتتصف بالبذخ والترف وتنوع الحفلات في المناسبات كالزواج والختان وغيرها ، وطبقة رجال الدين والعلماء التي كان لها أثرها في المجتمع عن طريق بث المثل الاجتماعية والخلقية والدينية وتصديهم للمنكر ومقاومة الانحرافات في المجتمع ، كما أنّ التجار والحرفيين والصناع كانوا يؤلفون فئات فاعلة في المجتمع .[1]

أما ابرز المؤسسات الاجتماعية التي حفل بها المجتمع الإسلامي هي الحمامات والاسبلة والبيمارستانات ، واحتلت الحياة المنزلية والعائلية ركناً هاماً من أركان الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي .

وفي ظل الإسلام وتعاليمه ومثله وروحه ، وجد تشابه كبير في الحياة العائلية والمنزلية بين شتى المدن الإسلامية ، وانعكس ذلك بوضوح على هندسة المنازل وتصميمها ، فكان يراعى فيها عدم تمكين أي فرد من الخارج من رؤية ما بداخل المنزل ، وفي الوقت نفسه توفير قدر من الحرية لأهل المنزل لحركتهم في الداخل .[2]

1- عاشور ،سعيد عبد الفتاح، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، الكويت 1986م ،ص262.

2- م.ن ، ص280.

كذلك شهدت الحياة المنزلية ظاهرة كثرة الولائم في المناسبات المختلفة ووضعت لها آداب وقواعد ، وكان تأثير زرياب على المجتمع القرطبي كبيراً في الموسيقى والغناء وفي

الطعام وآداب المائدة ، فقد علم أهل قرطبة أرقى أنواع الطهي ، ولبس الملابس البيضاء في الصيف وان الربيع هو موسم الملابس الحريرية الخفيفة والشتاء فصل الملابس الثقيلة .[1]

وبذلك فقد تميز المجتمع الإسلامي في بلاد الأندلس بحياة اجتماعية متنوعة حافلة بالعديد من المؤسسات ، مما أضفى على الحياة قدراً من الحيوية ومهما تنوعت الظروف في أنحاء الدولة الإسلامية باختلاف جذورها الحضارية قبل الإسلام وتباين أوضاعها الجغرافية فان هناك مشتركاً جعل بينها عنصراً واضحاً من عناصر الوحدة ، استمد أصوله من روح الإسلام وقيمه وتعاليمه من ناحية ومن الظروف التي أحاطت بتطور الحضارة الإسلامية من ناحية أخرى .[2]

الأحوال الدينية.

كان المسلمون في الأندلس في عهد الولاة على مذهب السلف وأهل الحديث ، أي إنهم كانوا يتبعون الصحابة من غير تقيد بمذهب مخصوص ، فضلاً عن أنّ هناك جماعات كثيرة من الأسبان لم يدخل الإسلام ، وكان للمسلمين مساجدهم التي بنوها بعد فتح المدن الاسبانية ، أما أهل الذمة (اليهود والنصارى) فكانوا يتمتعون بالحرية والتسامح ويقيمون شعائرهم الدينية في امن وطمأنينة في الدولة الإسلامية .[3]

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج4، ص638.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص303.

3- ابو زيدون ، وديع ، تاريخ الاندلس، ط2،عمان 2008، ص152.

لقد غير الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس حال أهلها بوجه عام ، حيث زال حكم القوط عن تلك البلاد ، إلا بعض فلول جيشه المنهزم الذي التجأ الى جبال جليقية في الشمال الغربي ، حيث أهمل المسلمون جانبها استهانة بشأنها، وقد أبقى العرب المسلمون على بعض الذين أعانوهم من الحكام القدماء ، حيث استمر يوليان في حكم سبته وأعيدت الى أبناء غيطشه أموالهم وضياعهم [1] ، أما اليهود الذي ذاقوا الذل والهوان في حكم القوط ،

فقد سمح لهم العرب بمزاولة التجارة وآمنوهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وحرية الملكية .

كما أحسن المسلمون معاملة الذين حل بهم البؤس والشقاء قديماً فحصلوا على الحقوق المدنية فزرعوا الأرض لحسابهم على أن يؤدوا الخراج وكان الهدف توطيد السلام بين السكان ، لقد وجد أهل الأندلس في حكم المسلمين التسامح الذي كانوا ينشدونه ودخلت أعداد كثيرة الإسلام عن إيمان ثابت ، وكان لذلك الأثر الكبير في تسهيل دخول العرب المسلمين لبلاد الأندلس.[2]

لقد ترك العرب المسلمون أثراً حضارياً واضحاً في المناطق التي فتحوها في جنوب فرنسا ، حيث ادخلوا إليها الكثير من أساليب الزراعة المتطورة والصناعات المتنوعة ، ولا تزال عامرة بأحفاد العرب ، ويمكن التعرف عليهم من خلال بشرتهم السمراء وشعورهم السوداء ، وان السبب في بقاء هذه الصفات حتى الآن هو أنّ هؤلاء السكان ألفوا جماعات صغيـرة

1- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، مصر ، ص126.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص7.

منفصلة عن بقية الفرنسيين وغير متصلة بهم بصلات التوالد ، ولكن تربطهم روابط العيش في تلك البلاد .[1]

إنّ بلاد الأندلس لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة وعدل وحكمة كما هو في عهد العرب المسلمين الفاتحين ، حيث كان السكان يتمتعون في ظل الإسلام برخاء في كل ناحية من نواحي الحياة ، وكانت القطاعات الزراعية والصناعية مزدهرة ، وان هذا العصر يمثل

نهضة لبلاد الأندلس على عكس الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار التي كانت سائدة في المجتمع خلال فترة حكم القوط وأصبحت الأندلس تنعم بالرقي والرفاهية في ظل دولة الإسلام .[2]

1- شلبي ، احمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط6، ج2 ، 1982، ص111.

2- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص24.

الفصل الثاني

بلاد الأندلس بعد دخول عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)

- المبحث الأول : خطة عبد الرحمن بن معاوية لدخول الأندلس
- المبحث الثاني : موقف يوسف الفهري من عبد الرحمن الداخل.
- المبحث الثالث: تأسيس عبد الرحمن الداخل الإمارة الأموية المستقلة في الأندلس والمشاكل التي واجهته
- المبحث الرابع: قرطبة عاصمة الإمارة الأموية في الأندلس.
  أولاً: أصل تسمية قرطبة.
  ثانياً: أهمية قرطبة .
- المبحث الخامس: علاقات عبد الرحمن الداخل الخارجية.
  أولاً: العلاقة مع الخلافة العباسية.
  ثانيا ً: العلاقة مع دولة الفرنجة.
  ثالثاً: العلاقة مع الممالك الاسبانية في الشمال.

الـفـصـل الــثــانـــي
بــلاد الأنــدلــس بـعـد دخــول عـبـد الــرحـمـن بــن مـعــاويــة (الــداخــل)

الــمـبـحـث الأول
خـطـة عـبـد الــرحـمـن بــن مـعــاويــة لــدخــول الأنــدلــس

بعد نهاية الدولة الأموية في المشرق ، وإعلان العباسيين الخلافة وأزالوا الأمويين ، وقتل مروان بن محمد آخر خلفائها سنة (132هـ/749م) وتابع العباسيون بني أمية في كل مكان ، أرادوا الاختفاء عن أعينهم ولو كان ذلك المخبأ في بطن الأرض[1] ، وقد سُئل بعض شيوخ الأمويين عن سبب زوال الملك عنهم إلى بني العباس قال : ‘‘إنا شُغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا ، فيئسوا من إنصافنا ، وتمنّوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا ، وخربت ضياعنا ، فخلت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا ، فاثروا مرافقهم على منافعنا ، وامضوا أموراً دوننا اخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا ، فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا ، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا ، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا’’ [2].

1- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص125 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص317.

2- المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص164.

وبدأت مرحلة تصفية الأمويين ، وكان الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح (132-136هـ/749-753م) شديداً على الأمويين حتى بعد

هزيمتهم[1] ، وقد كلف عمه عبد الله بن علي في الشام بتنظيم قوة مهمتها القبض على أفراد العائلة الأموية ، فاخذ يتعقبهم حتى تمكن من قتل عدداً كبيراً منهم ، لكنه لم يستطع أن يقضي عليهم ، وقد استطاع بعضهم التخلص من قبضة العباسيين ، وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الذي سيعيد دورهم في الأندلس ، ويكنى أبي المطرف، أما أمه فهي (راح) من قبائل البربر ، وانه ولد في عام 113هـ/731م في قرية (ديرحنا) في قنسرين في الشام ، وقد توفى أبوه عام 118هـ/736م ، فكفله جده هشام مع بقية أخوته[2] ، وكان عبد الرحمن بن معاوية طويل القامة ، نحيف الجسم ، ضعيف العارضين ، له ظفيرتان ، أصهب ، شديد البأس ، بوجهه خال ، وكان طموحاً.[3]

1- المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص170.

2- الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في الاندلس ، عصر الامارة ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، 1971م، ص43.

3- المعاضيدي ، خاشع ، الدولة العربية في الاندلس، بغداد، 1988، ص102.

يبدو أنّ عبد الرحمن بن معاوية كانت له حظوة عند جده هشام بن عبد الملك منذ ان تولى تربيته بعد وفاة أبيه ، إذ انه '' وهب له جميع الأخماس التي اجتمعت للخلفاء في الأندلس واقطعه إياها ، ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبي ليلى''[1] ، ومع انه نشا يتيماً إلا انه قد تعلم الفروسية والقتال ، شانه

شأن أبناء الأمراء ، كما اشتهر باستعمال السلاح والصيد الى جانب العلم والأدب [2] ، أما أخوته فهم كثيرون .

ذكر من الأخوات أم الاصبغ ، ومن الأخوة يحيى الذي كان يسكن على مقربة من الموضع الذي عسكر فيه عبد الله بن علي قائد الجيش العباسي ، والذي أشار على عبد الرحمن بالبقاء بعيداً عن العباسيين بعد سماعه منحهم الأمان للأمويين ، لحين التأكد من مصير أقربائهم الذين وفدوا على معسكر العباسيين عند نهر أبي فطرس ، وقد أدرك العباسيون يحيى قبل هروبه بعد معرفته بما حلّ بالأمويين في ذلك المعسكر فأخذوه ، إذ نكث أبو العباس السفاح بوعده الذي قطعه للأمويين بالأمان وغدر بهم ، وكان عبد الرحمن بن معاوية يومها خارج القرية في رحلة صيد .[3]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص322.

2- مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ص48.

3- مؤنس ، فجر الاندلس، ص659.

ولم يستطع العباسيون من القبض عليه ، وقد توجه الى قرية على نهر الفرات مستصحباً معه بعض أفراد عائلته ، وبقي هناك مدة من الوقت ، وقد تمكن العباسيون من الوصول الى مكانه ، واستطاع النجاة من قبضتهم [1] ، وتحدث عن ذلك قائلاً: "لما أعطينا الأمان من العباسيين ثم نكثوا بنا عند نهر أبي فطرس بين الأردن وفلسطين ، وكنت وقتها مشغولاً عن الناس ، رجعت الى أهلي يائساً ، وأخذت ما يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفاً ، حتى صرت الى قرية على نهر الفرات ذات شجر وغياض ، فبينما أنا بها

ذات يوم ، إذ دخل عليَّ ولدي سليمان ، وهو يومئذٍ ابن أربع سنين ، من باب البيت ، باكياً فزعاً ، وخرجت لأنظر ما الخبر ، وإذا بالخوف نزل القرية ، وإذا بالرايات العباسية منحطة عليها ، ثم جاءني أخ لي حدث السن يقول لي : النجاة النجاة ، فهذه رايات العباسيين ، فأخذت دنانير معي ، ونجوت بنفسي وأخي ، وأعلمت أخوتي وبقية أهلي باتجاهي ، كما أمرت أهلي أن يلحق بي مولاي بدر بما يصلحني إن سلمت ، واتيت رجلاً على شاطئ الفرات وأمرته أن يبتاع لي بعض الدواب" [(2)].

1- مؤنس ، فجر الأندلس ، ص659.

2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج5، ص493 ؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص51 ؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام (تاريخ اسبانيا الاسلامية) تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت1965م ، ص8.

استطاع عبد الرحمن بن معاوية التخلص من ملاحقة العباسيين لأمراء بني أمية في الشام ، وخرج متخفياً حتى وصل بلاد المغرب [(1)] حيث قال : ‘‘لما خرجت الى القرية على الفرات ، وأنا والله ما أريد إلا المغرب ، وكان قد بلغني بان والدي قد هلك في زمن جدي ، وكنت صبياً حينذاك ، فاقبلوا بي وبإخوتي الى الرصافة الى جدي ، وكان مسلمة بن عبد الملك لم يمت بعد ، فبينما نحن وقوف في باب جدي على دوابنا رآنا مسلمة وسال عنا ، فقيل له : هم أيتام معاوية ، فاغرورقت عيناه بالدمع ، ثم دعا بنا اثنين اثنين ، وظل يدعو بنا حتى قدمت اليه ، فأخذني وقبلني ، ثم قال للقائم بأمرنا هاته ، فأنزلني عن دابتي ، وجعلني أمامه ، واستمر يقبلني ويبكي بكاءً شديداً ، ولم يدع بعدي من كان اصغر مني من إخوتي ، وشغل بي ، ولم

يفارقني وأنا أمامه ، حتى خرج جدي هشام الخليفة ، فلما رآه قال : ما هذا يا أبا سعيد ، فقال له : تدانى الآمر .هو هنا . قال : أي والله قد عرفت العلامات بوجهه وعنقه ، ثم دعى القيم فدفعت اليه وأنا ابن عشر سنين يومئذٍ او نحوها ، فكان جدي يؤثرني ويتعاهدني بالصلة" .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص40.

2- م.ن ، ص41.

وقد واصل عبد الرحمن بن معاوية السير الى فلسطين ، وهناك وصل اليه اخلص أتباعه مولاه بدر ومولى أخته سالم ومعهما الأموال وقد بلغه المقربين بمواصلة الاختفاء عن أعين العباسيين ، ومن فلسطين الى مصر الى برقة التي مكث فيها مع بدر وسالم يتفكرون في شؤون مسارهم الى ابعد مكان عن السلطة العباسية [1] ، ولعلّ بعد بلاد المغرب عن نفوذ العباسيين ، ووجود قبيلة نفزة هناك وهم أخوال عبد الرحمن بن معاوية ، فضلاً عن اضطراب أحوال المغرب بسبب نشاط الخوارج فيها ، وتغلب عبد الرحمن الفهري على أمرها ، ولوضوح تصورات في ذهن عبد الرحمن بن معاوية وأفكار وروايات عن هذه المنطقة ، هذه الأسباب مجتمعة دفعته للتوجه الى بلاد المغرب .[2]

وبعد خروج عبد الرحمن بن معاوية من افريقية ، لحق بمغيلة وقيل بمكناسة وقيل : بقوم من زناته ، فأحسنوا قبوله ، واطمأن فيهم ، ثم لحق بمليله ، وقد أدرك صعوبة تحقيق أحلامه في افريقيا لما واجهه من

المصاعب الكثيرة ، وتمسك واليها الشديد بالحكم ، وبعد استقراره على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بدا بالتخطيط للوصول الى الأندلس .[3]

1- ابن عذاري ، البيان النغرب ، ج2، ص41.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص317.

3- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص126.

وكانت هناك عوامل عديدة ساعدت عبد الرحمن بن معاوية من الوصول الى الأندلس ومنها : اشتداد الفوضى والاضطرابات والفتن الداخلية وانه وجه بدراً مولاه الى الأندلس فاجتمع بالموالين وبثوا له الدعوة ونشروا له ذكراً[1] ، فضلاً عن انشغال الوالي يوسف الفهري والصميل بن حاتم الكلابي بتجهيز حملة عسكرية على سرقسطة[2] ،إضافة الى نجاح عبد الرحمن بن معاوية من الحصول على تأييد الأمويين في الأندلس وكسبهم الى حركته وتقريب البربر ووقوفهم الى جانبه لان أمه (راح) بربرية من نفرة .

كما وعد بتحسين الأوضاع في بلاد الأندلس ، ونجاح الاتصالات التي أجراها مولاه بدر في الأندلس ، فضلاً عن دعم وإسناد مرافقيه له وتشجيعهم لخطته ، كما أجرى اتصالات مع القبائل اليمنية التي ينتمي اليها وحصل على مساعدتهم ، وكانت المجاعات التي أصابت الأندلس والنكبات التي حلت بها قد أزهقت أرواح أبرياء وأتعبت النفوس وسئمت الرعية من سياسة الوالي عبد الرحمن الفهري ، وكان أهل الأندلس قد وجدوا ضالتهم في عبد الرحمن بن معاوية وبوعوده للأندلسيين فوقفوا الى جانبه وساندوه.[3]

1- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص126.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص23.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص40 ؛ ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص46.

بعد أن وصل عبد الرحمن بن معاوية واستقر قرب مضيق جبل طارق وصار الطريق الى الأندلس ليس صعباً ، بدا يرسم خطة للوصول اليها ، فقد اعتمد أسلوب الأمويين الأول في الفتح ، فأرسل ثقاته ومنهم بدر لاستطلاع الأمر في الأندلس ، وكان عبد الرحمن بن معاوية على اطلاع بأحوالها والتي كانت تحت ولاية يوسف الفهري والصميل بن حاتم ، لاسيما وان أخبار الأندلس قد وصلته من سالم مولى أخته أم الاصبغ الذي شارك مع موسى بن نصير في فتوحات الأندلس ، وقد شجعته الأخبار التي نقلها له سالم السير بجدية ، للتخلص من خطر العباسيين ، ولتحقيق أحلامه في إعادة الدور الأموي في بلاد الأندلس ثانية [1] ، لقد كانت حياة عبد الرحمن بن معاوية في المغرب لا تتلائم مع طموحاته ، وكانت الأندلس معقلاً للأمويين وأنصارهم ، وكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد قادة الأمويين آنذاك .

وشعر عبد الرحمن بن معاوية بملائمة الظروف للاتصال بهم ، وبدا خطته بإرسال بدر ومعه كتاباً للقائدين الأمويين في الأندلس ، يعرض فيه ترشيح نفسه أميراً للأندلس بدلاً من يوسف الفهري والصميل بن حاتم لكي يخلص الأندلس من الفوضى التي نشبت بين العرب والبربر ، ويعيد هيبة الأمويين وولايتهم السابقة على الأندلس .[2]

1- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص664.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص46.

توجه بدر بعد عبوره المضيق الى القادة الأمويين ، والتقى بابي عثمان عبيد الله بن عثمان وسلمه كتاب عبد الرحمن بن معاوية والذي يحتوي على تذكيره بفضل أسلافه الأمويين ويعرفه مكانته منهم واعتقاده بأحقيته في السلطة لان جده هشام بن عبد الملك وهو وريثه للخلافة ، ويساله ان يقوم بالاتصال بمن يراه من الأمويين نافعاً ، ثم يمهد له طريق الوصول الى الأندلس ، ووعده بمكافآت مالية والمنصب الرفيع إذا تم له الأمر في الأندلس ، كما يؤكد عليه بالحيطة الحذر في الاتصالات [1] .

استلم أبو عثمان الكتاب وهو في طريقه الى سرقسطة لمساعدة قائدها الصميل الذي كان محاصراً من قبل عامر العبدري والحباب بن رواحة الزهري وجيشهما ، وذلك لتقاعس يوسف الفهري عن مساعدته ، وقد تشاور أبو عثمان مع صهره عبد الله بن خالد ثم يوسف بن بخت ، فاجمعوا على مساندة عبد الرحمن بن معاوية ، وقد استغلوا ظرف الصميل وضعف علاقته بيوسف الفهري واتفقوا على مفاتحته في أمر عبد الرحمن بن معاوية ، بعد أن استطاعوا من نجدته وقواته .[2]

1- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص666.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص25 ؛ ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص46.

ومن خلال متابعة الأحداث نجد أنّ الصميل قد تنصل عن وعده بمساعدة عبد الرحمن بن معاوية ضد يوسف الفهري ، ولكنه في المقابل اخلص للأمويين

بالحفاظ على سرّهم ومباركة وصول عبد الرحمن بن معاوية لغرض طلب الحماية والأمان ، حيث يأس الأمويين من الصميل في الانضمام الى حملة عبد الرحمن بن معاوية ، فقرروا الاعتماد على اليمانية ، إذ وجدوا فيهم الاستعداد لنصرته [1] ويؤيد هذا الاندفاع إقرار الأمويين بالقول ‘‘لم نمر بيماني له بال وثقنا به إلا وعرضنا عليه أمر عبد الرحمن بن معاوية ودعوناه اليه فألفينا قوماً قد وغرت صدورهم يتمنون شيئاً يجدون به سبيلاً الى طلب ثأرهم’’[2].

ويبدو أنّ بدراً قد استطاع أن يبلغ رسالته ، وينفذ التعليمات التي حملها بمهارة عالية ، وبمعاونة القادة الأمويين الذين كانوا على قدر عالٍ من المسؤولية تجاه عبد الرحمن بن معاوية ، حيث مهدوا له الطريق والوصول الى كافة المجالات الحيوية في المجتمع الأندلسي سواء كانوا قادة أم مقاتلين ، مستغلين كل قواهم لحشد المساندة والتأييد لدعوتهم الجديدة .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص24.

2- مجهول ، اخبار مجموعة، ص273.

3- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص126.

ورسم عبد الرحمن سياسة منظمة نفذها أصحابه المخلصين ، حيث اشترى الأمويون مركباً خاصاً لنقل بدر ومعه احد عشر رجلاً ، وكان هذا المركب حاملاً للبشارة ، وبعد وصول المركب أصبحت الفرصة مواتية لدخول عبد الرحمن الأندلس ، إذ نضجت الظروف في ضوء قراءته لأوضاع الأندلس ، فقرر العبور الى بلاد الأندلس .[1]

لقد سار عبد الرحمن بمركبه ووصل الى ساحل البيرة في جهة المنكب عام (138هـ/756م) وكان في استقباله على الجانب الآخر عبد الرحمن بن خالد وأبو عثمان عبيد الله بن عثمان ونقل الى قرية طُرش، وبدا باستقبال الأمويين والأنصار ، كما استقبل جدار بن عمرو المذحجي شيخ عرب الاردن ، وعاصم بن مسلم الثقفي وأبي عبده حسان بن مالك الكتبي من اشبيلية ، وكذلك ابو بكر بن الطفيل وكثير من وجهاء الأمويين فكانوا النواة الأولى لجيش عبد الرحمن[2]، وكان وصول عبد الرحمن بن معاوية مبعث ارتياح الموالين له ، وفي الجانب الأخر كان سبباً لقلق قادة الأندلس ولاسيما يوسف الفهري الذي عاد من غزوته بعد أن قضى على تمرد اليمنيين والقرشيين في سرقسطة .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص26.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص126.

3- المعاضيدي، تاريخ الدولة العربية في الاندلس، ص29.

المبحث الثاني

موقف يوسف الفهري من عبد الرحمن الداخل

كان انتشار خبر وصول عبد الرحمن بن معاوية دافع لشماتة الكثير بيوسف الفهري الذي قتل عامر العبدري وابنه وهب والحباب بن رواحه الزهري ، وان الصميل قد نصح يوسف بان يستعد للانقضاض على عبد الرحمن بن معاوية قبل أن يجتمع عليه الكثير من الأمويين والأنصار ، لكن يوسف الفهري كان يدرك تذمر جيشه ، فقرر العودة الى قرطبة للاستعداد لملاقاة هذا الخطر ، الذي استطاع الفرار من قبضة العباسيين

من الشام حتى وصوله الى الأندلس[1] ، وكان الصميل يرغب بالتخلص من عبد الرحمن بن معاوية ، إذ قال ليوسف الفهري : " إنّ عبد الرحمن قريب عهد بزوال النعمة ، فهو يغتنم ما تدعوه إليه ، ثم أنت بعد ذلك تحكم فيه وفي الذين سعوا إليه"[2].

حاول الصميل إقناع يوسف الفهري بإرضاء عبد الرحمن بن معاوية ليس بالأموال فقط ، بل عرض عليه أن يزوجه إحدى بناته ويصاهره لكسب وده ، ولإشغاله عن أي طموح في الحكم ، وقد أرسل يوسف الفهري وفداً برئاسة كاتبه خالد بن يزيد ومعه هدايا وأموال كثيرة .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص26.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص67.

3- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص42.

وان الوفد يحمل رسالة من يوسف الفهري وتذكر عبد الرحمن بن معاوية بفضل آباء وأجداد يوسف ولاسيما عقبة بن نافع ، ومما جاء في الرسالة :

" أما بعد فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب ، وتأبش من تأبش اليك ونزع نحوك من السرّاق وأهل الغدر ونقص الإيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا ، وبه جل وعلا نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنفٍ ورفاهية عيش، حتى غمطوا ذلك ، واستبدلوا بالأمن خوفاً وجنحوا للنقض ، والله من ورائهم محيط ، فان كنت تريد المال وسعة الجناب فانا أولى بك ممن لجا ت اليه ، واصل رحمك ، وأنزلك معي إذا أردت ، أو أينما تريد ، ثم لك عهد الله وذمته ألا أغدرك ، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره "[1] ، وكان الوفد يتكون فضلاً عن خالد بن يزيد من عبيد الله بن علي زعيم القيسية ،

وعيسى بن عبد الرحمن الأموي ، فسار الوفد من قرطبة ، حتى بلغ أرش في أدنى كورة ريه ، فقال لهم عيسى بن عبد الرحمن : "ارايتم إن بلغنا بهذه الهدية الى عبد الرحمن بن معاوية ، فكره ماجئنا به ، أليس سيأخذ ما معنا ويتقوى به على صاحبنا "[2] .

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص67.

2- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص80.

فقال له صاحباه : أقم أنت هنا بما معنا ، ونسير نحن اليه ، فان أعطانا بيعته ، ورضي بما جئنا به ، سرحنا اليك رسولنا لتقدم علينا بما معك وان كان غير ذلك فارجع بما معك الى الأمير يوسف الفهري فهو أحق بماله

ولما اتفقوا على ذلك ، سار عبيد الله بن علي وخالد بن يزيد ، وأقام عيسى في مكانه بما كان معه ، فلما قدما على عبد الرحمن بن معاوية بطرش ، وهو عند ابي عثمان ، وكان عنده جماعة من بني أمية وعدد من أنصاره اليمانيين والدمشقيين والاردنيين وغيرهم ، تحدث عبيد الله وخالد في المجلس ودعوا عبد الرحمن بن معاوية الى الألفة ومصاهرة يوسف الفهري ، وذكرا له أن يوسف سيحسن وفادته الى الأندلس وجلسا ، فلقي عرضهما قبولا ً حسنا ً من الحاضرين ، غير إنّ ذلك لم يعجب الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، لان العرض كان دون طموحه ، لكنه لم يجب بشيء ، لان مركزه ما يزال ضعيفاً أمام زعماء الأمويين وأنصارهم في هذه البلاد ، ثم قدم خالد بن زيد

كتاب يوسف الفهري الى عبد الرحمن بن معاوية ، وأخذه وسلمه الى أبي عثمان دون أن يقرأه ، وقال له : اجب عليه بما تعلم من رأينا .[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص80.

2- م.ن ، ص81.

ولما اخذ أبو عثمان الكتاب ، قال له خالد بن يزيد وكان أديباً ، انك تجيد السيف والنزال ، ولم تكن صاحب قلم وفعال، وهو يريد بذلك ، أنّ أبا عثمان لا يحسن الرد بنفس أسلوب وبلاغة الكتاب ، الأمر الذي اغضب أبو عثمان واعتبر كلام خالد بن يزيد اهانة له في مثل هذا المكان ، فرفع أبو عثمان الكتاب وضرب به وجه خالد وشتمه ، ثم أمر أصحابه فاخذوا خالداً وكبلوه من ساعته ، وقال: أبو عثمان الى عبد الرحمن بن معاوية : هذا أول الفتح ، هذا سلطان يوسف الفهري كله ، فتدخل الرسول الآخر عبيد بن علي في الأمر وقال لهم إنّ خالداً رسول ولا يجوز اعتقاله ، فقالوا له أنت الرسول وهذا معتدٍ قد بدأ بالشتيمة والانتقاص ولم يحترم الآخرين ، وقد اخلوا سبيل عبيد الله بن علي وحبسوا خالد ، ووصل الخبر الى ثالثهم عيسى بن عبد الرحمن الذي عاد بالهدايا قبل أن يدركه أصحاب عبد الرحمن بن معاوية ويستولوا على الهدايا .[1]

وعاد عيسى بن عبد الرحمن الى يوسف الفهري ليخبره بما حدث وهكذا انتهت فرصته وصاحبه الصميل في احتواء خطر عبد الرحمن بن معاوية عليهم حتى أنّ الصميل عاتب صاحبه الفهري على عدم الأخذ برأيه والخلاص منه عند وصوله الى الأندلس .[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص81.

2- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص186.

بعد أن فشلت جهود الوساطة بين الطرفين ، سعى كل منهما الى تدعيم موقفه والاستعداد للحرب ، حيث كان هدف عبد الرحمن بن معاوية هو الإمارة على بلاد الأندلس ، وليس المال والهدايا والمصاهرة ، وبدأ عبد الرحمن بن معاوية بمراسلة القبائل طالباً منهم الانضمام اليه في معركته القادمة مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم ، فاستطاع أن يكسب أهل اليمن[1] ، كما سار الى رية حيث يوجد جنود الاردن ، ثم الى اشبيلية حيث يوجد جنود حمص والى كورة شذونة التي وصلها سنة (138هـ/756م) ، فأمر جدار بن عمر شيخ الأردن خطيب المسجد ان يسقط الخطبة ليوسف ويجعلها لعبد الرحمن بن معاوية وكانت هذه أول خطبة على منابر الأندلس[2] ، وكان لمسيرته هذه ان أجابته اليمن وقضاعة ، وسارع اليه جند فلسطين ، ويقول :

"دخلنا رية في ستمائة فارس وخرجنا منها بألفي فارس ، ثم دخلنا اشبيلية بهذا العدد وخرجنا منها في ثلاثة آلاف فارس ، فلما اجتمعت لنا الجموع وبلغنا ما يريد الفهري من الخروج إلينا ، عبأ عبد الرحمن الأجناد وخرج إليه ".[3]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص43.

2- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص68.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب، ص69.

أما يوسف الفهري فقد استطاع استقطاب مضر ، وتميزت قواته بكثرتها وقوتها ، كما أن بني كنانة من أهل فلسطين الذين يسكنون أطراف شذونة قد تحركوا للانضمام الى يوسف الفهري ، ومع استكمال استعدادات الطرفين ، تقدم كل منهما الى جهة الآخر ، فكان يوسف الفهري عاقداً ألويته ، بينما سار عبد الرحمن بن معاوية بدون لواء .

وان رئيس عرب اشبيلية ابو الصباح بن يحيى اليحصبي الذي كان يرافق عبد الرحمن بن معاوية اقترح عقد لواء للجيش ، وعندما وصلوا الى قرية قُلنبيره من كورة اشبيلية ، احضروا قناة وعمامة ليعقدوها عليها ، وأنهم كرهوا ان يميلوا القناة ليعقدوا عليها اللواء تشاؤماً ، فأقاموها بين شجرتي زيتون متجاورتين وصعد رجل على أحداهما فعقد اللواء والقناة قائمة .[1]

إذ أقبل أبو الصباح اليحصبي بقناة وعمامة لرجل من حضرموت ، ثم دعوا رجلاً من الأنصار تفاءلوا باسمه ونسبه ، وعقد اللواء لعبد الرحمن بن معاوية بقرية قلنبيره من كورة اشبيلية ، ثم سار الجند بألويتهم الأربعة ، وهم جند الأردن ، وجند حمص ، وجند فلسطين ، باتجاه قرطبة.[2]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص27.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص24.

بدأ كل من الفريقين يستعد عندما انتهى فصل الشتاء وبعد أن فشلت محاولات الصلح بينهما ، خرج يوسف الفهري بجموعه من قرطبة لمواجهة عبد الرحمن بن معاوية ونزل في منطقة (صدف) الى الشمال من قرطبة ثم انحدر على الضفة القريبة لنهر الوادي الكبير ، أما عبد الرحمن بن معاوية فقد نزل منطقة طشانة ، على الجانب الآخر لنهر الوادي الكبير ، والنهر بينهما ، وكان ذلك في الأول من شهر ذي الحجة من سنة 138هـ/756م ، فحصلت بينهما مناوشات بالسهام ، ولم تكن بينهما مواجهة حقيقية ، نظراً لارتفاع مياه النهر والتي أدت الى حدوث فيضان ، ولا سبيل لعبوره [(1)].

وأراد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) أن يسبق يوسف الفهري الى قرطبة ، حيث شجعه أنصاره بأنّ عامة من في قرطبة من الأمويين سيكونون عوناً له ، وحاول إيهام يوسف الفهري بالبقاء إذ أوقد النار في معسكره بالليل ومضى بجيشه نحو قرطبة ، وأراد أن يموه بهذه النار كدليل على وجودهم في موقعهم ، ألا إنّ هذه الخدعة لم تمر على يوسف الفهري ، فقد عرف بها من خلال جواسيسه في المنطقة .[(2)]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص85.

2- المقري ، نفح الطيب ، ص27.

وأسرع كل منهما الى قرطبة ، إذ وجد عبد الرحمن بن معاوية عدم جدوى محاولته للوصول الى قرطبة ، ولمّا رأى يوسف الفهري تصميم عبد الرحمن بن معاوية الى قرطبة عاد مع النهر ، فتسايرا والنهر حاجز بينهما ، الى أن حلَّ يوسف في المصارة (المسارة)

غربي قرطبة[1] ، أما عبد الرحمن بن معاوية فكان في مقابلته وتراسلا في الصلح [2] ، وكان ذلك يوم الاثنين السادس من ذي الحجة سنة (138هـ/756م) وقد خاطب عبد الرحمن بن معاوية جيشه بشان الصلح فقال : " أننا لم نجئ للمقام وقد دعانا هذا الرجل الى ما علمتم وعرض ما سمعتم ، ورأيي لرأيكم تبع ، فان كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافحة فأعلموني ، وان يكن فيكم جنوح الى السلم والصلح فأعلموني"[3]

ولما سمعه أنصاره فقد اجمعوا على الحرب ، لذا فان عبد الرحمن بن معاوية تهيأ وبدأ بتنظيم قواته وتعيين القادة على الالوية استعداداً للمواجهة الحاسمة ، وان الطرفين ظلا ليومين قبل المعركة في حالة هدوء ، لان رسل المصالحة كانت في حالة حركة مستمرة للحيلولة دون وقوع الحرب .[4]

1- المصارة: منطقة تقع بالقرب من قرطبة على نهر الوادي الكبير شهدت معركة حاسمة عام 138هـ/756م حقق فيها عبد الرحمن الداخل نصراً على والي الاندلس يوسف الفهري ، العبادي ، تاريخ المغرب والاندلس، ص59.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص27.

3- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص45.

4- م.ن ، ص85.

ويوسف الفهري غير راغب في القتال ، ويسعى الى الصلح ، وان عبور جيش عبد الرحمن بن معاوية الى الضفة التي يعسكر فيها الفهري دون مقاومة دليل على انه يأمل في الصلح ، فضلاً عن أمره بذبح الذبائح وإعداد الطعام للجيشين معاً [1] ، ولكن عبد الرحمن بن معاوية الطموح قد اعدَّ للحرب ، وكان تنظيم جيشه على الشكل التالي : أبو عثمان عبيد الله بن عثمان حامل اللواء ، عبد الرحمن بن نعيم الكلبي على خيل جند الشام ، بلوهة اللخمي من فلسطين على مشاة اليمن ، عاصم الملقب بالعريان لأنه نزع ملابسه في القتال على مشاة بني أمية ومن معهم من

البربر ، حبيب بن عبد الملك القرشي على خيل بني أمية ، إبراهيم بن شجرة الاودي على خيل البربر .

أما يوسف الفهري الذي يأس من الصلح فاستعد هو الآخر للحرب ، فكان عبيد بن علي على خيل اهل الشام ومصر ، وكنانة الكناني على قسم من المشاة ، وجوشن بن الصميل على قسم آخر من المشاة ، وعبد الله بن يوسف الفهري على كتيبة من الرجالة ، وخالد سودي على خيل الغلمان والصنائع ، وكانت خيل يوسف الفهري في هذه الحرب كثيرة .[2]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص27.

2- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص88.

وشهد يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة (138هـ/756م) قتالاً شديداً بين الطرفين ، حاول كل منهما أنْ يحسم الموقف لصالحه ، وكان جيش عبد الرحمن بن معاوية اشد تلهفاً على القتال ليس للإخلاص لعبد الرحمن بن معاوية فقط ، وإنما للثأر من القيسيين وقائديهما الصميل ويوسف الفهري ، فسارت المعركة الى جانب عبد الرحمن بن معاوية والحقوا بجيش يوسف الفهري هزائم قاسية ، حيث قال عبد الرحمن بن معاوية في هذا اليوم الجمعة ، إنّ المتزاحفين أموي وفهري والقوات قيس ويمن فابشروا واصبروا ، إذ يشير عبد الرحمن بن معاوية الى ذلك اليوم الذي وقعت فيه معركة مرج راهط وانتصر فيها مروان بن الحكم على الضحاك بن قيس الفهري .[1]

وانتهت المعركة لصالح عبد الرحمن بن معاوية ودخل قرطبة ليرسم طريقاً جديداً للأمويين ، وطاعت له الأندلس بأسرها [2] ، وبعد هزيمة يوسف الفهري والصميل ، قررا الهرب طلباً للنجاة ، فسار الفهري الى طليطلة ، حيث كان ولده عبد الرحمن الفهري والياً عليها ، في حين سار الصميل الى جيان حيث أنصاره فيها .[3]

1- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص26.

2- ابن الكردبوس، الاكتفاء ، ص56.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص47.

أما عبد الرحمن بن معاوية فقد توجه الى قرطبة ودخلها منتصراً، ومنع جنده من النهب والعبث بها ، ومنعهم من الأذى لأهلها وأملاكهم ، ثم سار الى قصر الإمارة ، فلما دخله التقاه أبناء يوسف وبناته ، وقالوا له : أحسن يا ابن العم فقد ملكت فأرسل عبد الرحمن بن معاوية الى يحيى بن يزيد القاضي ، وأوكل إليه حفظ عيال يوسف الفهري .[1]

وعاد ما استطاع أعادته مما سرق منه وإزاء موقف عبد الرحمن بن معاوية من عائلة يوسف الفهري ، فقد أهدته ابنة يوسف الفهري جارية كانت لها اسمها (حلل) وهي أم ولده هشام الذي صار ولي عهده .[2]

وأدى ذلك الى استياء اليمانية أنصار الأمويين ، من موقف عبد الرحمن بن معاوية ، إزاء عيال يوسف الفهري واعتبروا ذلك تعصباً منه لأهل الشام، وكانت قضاعة أشدهم

إزاء موقفه من خصومهم المضريين ، ولما بدت علامات التأمر منهم على عبد الرحمن بن معاوية ، وقد اخبره ثعلبة بن عبد الجذامي بما تحدثت به اليمانية .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ،ج4، ص27.
2- الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث القيرواني (ت361هـ) ، قضاة قرطبة ، القاهرة1966م، ص14.
3- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص47.

ولذلك انشأ عبد الرحمن الداخل حرساً خاصاً له من الأمويين ، وكانت مهمته حمايته ، حيث تولى قيادتها عبد الرحمن بن نعيم وهذا أول عمل إداري يستحدثه في دولته الجديدة في الأندلس ، ثم ذهب بعد ذلك الى المسجد الجامع وصلى بالناس ثم خطب بهم ووعدهم بالخير والعدل والاستقرار ، ونزل قصر الإمارة ، وشهدت الأندلس عصراً جديداً في الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة (138هـ/14تموز756م).[1]

وبعد هزيمة يوسف الفهري والصميل بن حاتم في معركة المصارة (المسارة) ، توجه يوسف الفهري الى طليطلة ليجمع أنصاره من مضر ويحشدهم للقتال مرة أخرى ، وإما الصميل بن حاتم فسار الى جيان حيث أتباعه من القيسيين ، وقد التقى الفهري والصميل وتمكنا من طرد الحصين بن الدجن عامل عبد الرحمن الداخل ، ثم سارا الى البيرة فهرب عاملها جابر بن العلاء بن شهاب ، وقد زحف إليهما عبد الرحمن الداخل بعد ان خلف ابو عثمان على قرطبة وخلال ذلك أغار عبد الرحمن بن يوسف الفهري الذي كان في ماردة ، وتمكن من محاصرة أبي عثمان في المسجد واعتقاله [2] ، ولما علم عبد الرحمن

الداخل بذلك عاد مسرعاً الى قرطبة ، ففر عبد الرحمن الفهري من القصر مستصحباً أبا عثمان وجاريتين كرهائن .

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص28.

2- م.ن ، ج4، ص28.

وبعد أن استتب الأمن والاستقرار في قرطبة ، استخلف عبد الرحمن الداخل على قرطبة عامر بن علي ، وسار لمواصلة قتال يوسف الفهري والصميل ولما وصل الى البيرة شعرا بالخطر الحقيقي ، فأرسلا الى عبد الرحمن الداخل رسولاً يدعوه للمصالحة ، ويعترفان له بامارة الاندلس مقابل أنْ يؤمن لهما حياتهما وأموالهما ، فوافق على ذلك واقر الصلح في صفر سنة 139هـ.(1)

واتفقا على أن يفرج عبد الرحمن الداخل عن خالد بن بزيد الذي اعتقل في الوساطة الأولى ليوسف الفهري مع عبد الرحمن الداخل والتي لم تؤدي الى نتيجة مقابل أن يفرج يوسف الفهري عن أبي عثمان ، كما اشترط عبد الرحمن الداخل على يوسف الفهري اعتقال ولديه وهما عبد الرحمن أبا زيد ومحمد أبا الأسود كرهينة على أن يكون مقر إقامتهما احد القصور ، حتى تهدأ الأمور في قرطبة ويطلق سراحهما ، وبعد إتمام الصلح دعا عبد الرحمن الداخل كلاً من يوسف الفهري والصميل للنزول معه في قرطبة .(2)

1- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص28.

2- ابن القوطية ، تاريخ الاندلس، ص53؛ مجهول ، اخبار مجموعة ، ص95.

المبحث الثالث

تأسيس عبد الرحمن الداخل الإمارة الأموية المستقلة في الأندلس والمشاكل التي واجهته

شهدت الأندلس في عهد إمارة عبد الرحمن الداخل تحولاً نوعياً في أحوالها وحياتها ، إذ تحولت من ولاية تابعة لمركز الخلافة او الى أفريقيا الى إمارة مستقلة إذ تشير المصادر التاريخية الى "أنّ السلطة في الأندلس في بداية الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من حكام افريقية واختلاف الولاة داع على الاضطراب وعدم الاستقرار ، ولما صارت الأندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد إليهم الناس وأطاعهم كل عصي عظمت الدولة بالأندلس وكبرت الهمم وترتيب الأحوال"[1].

وقد أصبحت قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل عاصمة مزدهرة ، شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء ، لاسيما وان هذه الشهادة قد جاءت من عاصمة الخلافة العباسية في بغداد ومن الخليفة أبو جعفر المنصور ، إذ يروى عنه قوله ": الحمد لله الذي جعل بيني وبينه البحر ، وهو الذي لقب عبد الرحمن الداخل بصقر قريش ، إذ قال أبو جعفر المنصور يوماً لبعض جلسائه : اخبروني من صقر قريش من الملوك؟ قالوا : ذاك أمير المؤمنين الذي راضى الملوك وأباد الأعداء ، قال : ما قلتم شيئاً قالوا : فمن قال : هو عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه ، فمصر الأمصار وجند الأجناد ودون الدواوين وأكمل ملكاً عظيماً بحسن تدبيره وشدة شكيمته ".[2]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص319.
2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص118

واجهت عبد الرحمن الداخل مشاكل كثيرة بعد إمارته على الأندلس ، لكنه كان الأقوى ، فقد استقرت أقدامه على قاعدة متينة ، وتهيأت له عوامل الانتصار ، وتمكن من اجتياز الصعاب بكل جدارة، ويعود سبب معظم المشاكل الداخلية الى طبيعة المجتمع في الأندلس ، لأنه يتكون من تجمعات كثيرة قبلية ودينية ، فهناك الأمويين ومواليهم في الأندلس ، وهناك القبائل العربية اليمانية ، والقبائل العربية القيسية والمضرية ، وهناك عرب المغرب ، فضلاً عن المجموعات السكانية المحلية من المواطنين الأصليين من مولدين ومستعربين ويهود وغيرهم .[1]

وكان هناك كثيرا من القادة من عرب المغرب والمشرق الذين تطلعوا الى السلطة ، وقد أدت هذه الظروف الى الفتن والاضطرابات في البلاد ، فضلاً عن وصول الأمويين وأنصارهم من المشرق الى الأندلس وترحيب الأمير عبد الرحمن بهؤلاء القادمين ، فأكرمهم جميعاً وأحسن معاملتهم ، وولى بعضهم على الولايات وجعل الآخر في مقدمة حراسه وقواده ، واعتمد عليهم في تدبير أمور الدولة .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج4، ص49.

2- ابن خلدون ، العبر ،ج4، ص126.

حاول عبد الرحمن الداخل أن يستخدم سياسة السلم مع التجمعات والتكتلات التي يتكون منها المجتمع العربي في الأندلس ، تجنباً للمواجهات والحروب ، غير أنها لم تؤدي الى النتائج المطلوبة ، بسبب المصالح المتضاربة بين الطامعين في

السلطة ، لذلك اضطر عبد الرحمن الداخل الى استخدام القوة والحزم لمواجهة جميع هذه المشاكل وأهمها :-

حركة يوسف الفهري سنة 142هـ

لقد استقرَّ يوسف الفهري والصميل بن حاتم في قرطبة ، بعد أن تم الصلح بينهما وبين الأمير عبد الرحمن الداخل ، وكانا يحضران مجلسه ويشاورهما في أمور كثيرة[1] ، لكن هذا الوفاق لم يدم طويلاً ، إذ أنّ يوسف الفهري لم يطمئن الى أمان عبد الرحمن الداخل وظلت المخاوف تساوره ، فلم يزل يتحين الفرص حتى فر من قرطبة سنة 141هـ وحاول أن يستميل الصميل الى جانبه فلم يوفق ، ومضى الى أهل لقنت ومارده وطليطلة وعمل على إغرائهم بالانضمام اليه ، فثاروا ضد عبد الرحمن الداخل في تلك المناطق ، واستبعد عبد الرحمن أن يكون يوسف الفهري قد قام بذلك وحده واتهم الصميل بالتدبير معه ، وألقاه في السجن ومعه ابني يوسف وكانا عنده رهينتين ، وعبثاً حاول الصميل تبرئة نفسه.[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص95.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص126. ؛ المقري ، نفح الطيب ،ج4،ص28 .

استطاع يوسف الفهري أن يجمع جيشاً تعداده عشرين الفاً واتجه نحو اشبيلية وحاصرها وكان واليها عبد الملك بن عمر المرواني والذي طلب من ابنه عبد الله والي مورور التقدم لفك حصار يوسف عنه ، وفي هذه الأثناء زحف عبد الرحمن الداخل بجيشه من قرطبة حتى نزل بمكان يسمى (برج اسامة) ولم يستطع يوسف الفهري مواجهتهم فانهزم وتفرق من معه وسار يوسف الى طليطلة ليحتمي بها عند ابن عروة واليها ، فأدركه عبد الله بن عمر

الأنصاري قبل طليطلة بأربع أميال فقتله ، وذلك في سنة (142هـ/759م) ثم عمد الأمير عبد الرحمن الداخل الى التخلص من الصميل بن حاتم الذي كان سجيناً بعد أن تخلص من عبد الرحمن بن يوسف الفهري وأبقى على أخيه محمد بن يوسف الفهري لصغر سنه.[1]

وبذلك فان عبد الرحمن الداخل قد تخلص من خصومه ، وأصبح له أمر الأندلس دون منازع وانتهى عصر الولاة ، واختفى من الميدان آخر رجلين كانا يمثلان هذا العصر في تاريخ الأندلس ، ليبدأ عصر الدولة الأموية .[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص96 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص49 .

2- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج5، ص499 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص29.

حركة هشام بن عروة الفهري سنة 144هـ

قاد هشام بن عروة في طليطلة حركة معادية ضد عبد الرحمن الداخل ، حيث اجتمع له عدد من الزعماء العرب ومن بينهم حيوة بن الوليد التجيبي ، وهشام بن حمزة ، وعبيد العمري ، فجهز عبد الرحمن الداخل جيشاً كبيراً وخرج من قرطبة وبلغ طليطلة فحاصرها ، ودارت بينهما مراسلات للصلح فأجابه عبد الرحمن الداخل الى ما طلب على أن يكون ابنة افلح رهينة ، إلا أنّ هشام بن عروة ما لبث أن عاد الى العصيان سنة 145هـ ، وتحصن داخل أسوار طليطلة المنيعة ، وفي عام 147هـ جهز عبد الرحمن الداخل جيشاً للقضاء على هؤلاء المتمردين واسند قيادته الى مولاه بدر وتمام بن علقمة ، وقد حاصر طليطلة لفترة طويلة الى ان اتعب الحصار

أهل المدينة فراسلوا بدراً بالصلح والأمان ، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يسلم أهل المدينة زعماء الفتنة الذين اجتمعوا معه في حركته ، وان يرفع بدر وتمام الحصار عن المدينة والأمان لأهلها [1]، وتم الصلح وادخل الزعماء الأسرى الثلاثة وهم هشام بن عروة الفهري ، وحيوة بن الوليد التجيبي ، وعبيد العمري الى قرطبة وطافوا بهم في أنحاء المدينة وبذلك انتهت هذه الحركة وخضعت طليطلة الى الأمير عبد الرحمن الداخل .[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص104 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج5، ص527.
2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص53.

حركة سعيد اليحصبي سنة 149هـ

بدأت حركة الزعيم اليماني سعيد اليحصبي ضد عبد الرحمن الداخل سنة 149هـ لما أصاب اليمانية من شدته وقسوته في مدينة لبلة الواقعة الى الغرب من اشبيلية ، ودعا قومه الى نصرته ، فاجتمع حوله اليمانية ، وسار الى اشبيلية واستولى عليها [1] ، فلما بلغ عبد الرحمن الداخل ذلك ، جهز جيشاً لمواجهته وما كان من سعيد اليحصبي إلا أن التجأ الى احد الحصون القريبة فحاصره عبد الرحمن الداخل وان سعيد اليحصبي كان على اتفاق في هذه الحركة مع غياث بن علقمة اللخمي الذي كان بمدينة شذونه ، وقد قتل سعيد اليحصبي أثناء المواجهة مع عبد الرحمن الداخل ومنح أنصاره الأمان وخرجوا من القلعة حيث خربت أسوارها .[2]

سار عبد الرحمن الداخل الى شذونة لمحاربة غياث اللخمي وحاصره حتى طلب الأمان ، وتم ذلك له ومن معه ، وعاد عبد الرحمن الداخل الى قرطبة ، وبذلك تخلص من حركة تمرد هددت دولته الجديدة .[3]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص105 ؛ عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ص163.
2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص53.
3- سالم ، تاريخ المسلمين ، ص200.

حركة حي بن يحيى اليحصبي سنة 149 هـ

كان من زعماء اليمانية الأوائل الذين أيّدوا عبد الرحمن الداخل عندما دخل الأندلس وهو من المشتركين معه في معركة المصارة ضد يوسف الفهري سنة 138هـ ، لكنه ما لبث أن غير رأيه بسبب موقف عبد الرحمن الداخل من اليمانية ، الذين أرادوا نهب أموال يوسف الفهري وأصحابه لنقمتهم عليه وعلى قومه المضرية ، وكان أبو الصباح حي بن يحيى اليحصبي من أول الداعين الى التخلص من عبد الرحمن الداخل بعد أن تم لليمانية التخلص من يوسف الفهري ، وان عبد الرحمن الداخل قد عين حي بن يحيى والياً على اشبيلية مع علمه بموقفه المعادي له وترك معالجة الخلاف للمستقبل .[1]

ولما كثرت حركات العصيان والتمرد ضد عبد الرحمن الداخل وكان اليمانيون في مقدمة هذه الحركات ومثيريها ، وأدى ذلك الى ضرورة التخلص من اليمانية وعزل أبو الصباح بن يحيى اليحصبي عن ولاية اشبيلية إضعافاً لليمانية ، لكنه لم يمتثل لذلك وأعلن العصيان سنة 149هـ ، والتف حوله الكثيرون وتم إقناعه بالقدوم على عبد الرحمن الداخل وتم التخلص منه .[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص105 ؛ ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص55 .

2- ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت658هـ)، الحلة السيراء ، الشركة العربية للطباعة ، ج1، 1962م، ص59.

حركة حيوة بن ملامس الحضرمي سنة 156 هـ

هو من اليمانيين الأوائل الذي أيّد عبد الرحمن الداخل منذ دخوله الأندلس ، لكنه غير موقفه بعد ذلك شانه شان زعماء اليمانية الذين اتهموا عبد الرحمن الداخل بالانحياز الى المضرية والقيسية ، والابتعاد عن اليمانية ، ولما كثرت حركات المعارضة خرج حيوة بن ملامس الحضرمي سنة 156هـ باشبيلية ، وكان يرأس جند حمص هناك[1] ، وأيّده عبد الغافر بن حميد اليحصبي رئيس لبلة ، وعمرو بن طالوت رئيس باجه، وسارت جموع الخارجين نحو قرطبة تطالب بدم أبي الصباح اليحصبي رئيس اليمانية ، الذي قتله عبد الرحمن الداخل ، ونازلهم جيش عبد الرحمن الداخل الذي كان بقيادة ابن عمه عبد الملك بن عمر المرواني ، ودارت بين الطرفين معركة رهيبة ، حيث قتل حيوة بن ملامس الحضرمي ، ونتيجة للخسائر الكثيرة في صفوف المعارضين ترك عبد الغافر المعركة وركب البحر ولحق بالمشرق ، ثم سار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية سنة 157هـ وأوقع بأهلها لكثرة خروجهم على حكمه وعاد الى قرطبة منتصرا [2].

1- مجهول ، اخبار مجموعة ،ص107 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج6، ص9.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص50.

حركة محمد بن يوسف الفهري سنة 168ه

كان أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري في سجن عبد الرحمن الداخل في قرطبة وقد فكر بالهرب من سجنه ، حيث ادعى انه فقد بصره وتظاهر بذلك الى الحد الذي اقنع الحراس وأهملوا مراقبته .[1]

ولمّا اطمأن رتّب أمره مع بعض أعوانه في قرطبة وهرب مستخدماً سرداباً كان يربط السجن بالنهر ، وذلك في غفلة من حراسه، الذين كانوا يظنون حقاً انه لا يبصر ، فما كان منه إلا أن عبر النهر سباحة حيث كان أعوانه ينتظرونه على الضفة الأخرى من النهر ، وقد اعدوا له متطلبات الفرار فتوجهوا به الى قرطبة ، حيث يكثر فيها أنصار أبيه ومؤيدوه ، ولما بلغ طليطلة دعا الناس لنفسه ، فاجتمع له الكثيرون واستولى على مناطق عديدة وسار بقواته حتى نزل مدينة قسطلونة ، وخرج له عبد الرحمن الداخل من قرطبة بجيشه ودارت معركة بينهما سنة 168هـ ، انهزم فيها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري والتجأ الى إحدى قرى طليطلة ، وظل بها حتى توفي سنة 170هـ ثم تحرك أخوه القاسم بن يوسف الفهري ، لكنه ما لبث أن استسلم ، وبذلك انتهت حركات أبناء الفهري بالأندلس.[2]

1- ابن الابار ، الحلة السيراء، ج2، ص351؛ العذري ، ترصيع الاخبار، ص11.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص269.

حركات بني أمية

بعد استقرار الأوضاع في بلاد الأندلس وفد إليها الكثيرون من أمراء الأمويين ومؤيديهم فقربهم عبد الرحمن الداخل وأكرمهم واسند إليهم المناصب في قيادة الجيش والإدارة ، كما أجزل لهم العطاء والهدايا ، لكن بعضهم أنكر

الجميل وتآمر طمعاً في السلطة والنفوذ ، حيث قام عدد من أبناء البيت الأموي بحركات من داخل القصر والعائلة بالتعاون مع الآخرين هدفها القضاء على الأمير عبد الرحمن الداخل [1] ومنها :

حركة عبد السلام بن يزيد 163هـ

اتفق عبد السلام بن يزيد بن هشام مع عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وهو ابن أخ الأمير عبد الرحمن الداخل ، للتآمر دفعهم لذلك الطمع في السلطة وقد أيّدهم كل من أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وابن يزيد بن يحيى التجيبي وابن ابي غريب ، واجمعوا أمرهم على الخروج على عبد الرحمن الداخل وقتله ، لكن عملهم انكشف وتم القبض عليهم حيث سجن أبا عثمان عبيد الله بن عثمان لسابق فضله حتى مات فيه وعاقب الآخرين .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص53؛ مجهول ، اخبار مجموعة، ص105.
2- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص39.

حركة المغيرة سنة 167هـ

إن المغيرة بن الوليد بن معاوية هو ابن أخ عبد الرحمن الداخل ، قد اتفق مع بعض زعماء العرب بالأندلس للعمل على خلع عمه الأمير عن طريق التمرد والعصيان ، ومن الزعماء الذين أيّدوه ، هذيل بن الصميل بن حاتم ، لكن أمرهم انكشف للأمير عبد الرحمن الداخل ، وقبض عليهم واعترفوا بذلك ، فتخلص منهم ، وبدأ يفكر بأخيه الوليد بعد مقتل ابنه المغيرة ، فأمر بإخراجه من الأندلس ونفاه وعائلته الى افريقية وحمل معه كل ما يملك .[1]

وقال عبد الرحمن الداخل لأصحابه وخاصته ، بعد أن قتل ابن أخيه المغيرة وإخراج اخاه الوليد " ما عجبي إلا من هؤلاء القوم يعني أهل بيته وأقربائه لقد سعينا وخاطرنا بحياتنا ، حتى إذا بلغنا مطلوبنا ، ويسر الله تعالى ذلك ، اقبلوا علينا بالسيوف، ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى امنوا ، ودرت عليهم أخلاف النعم ، شمخوا بانافهم ، وسموا الى العظمى ، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى ، فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا ، وان اشد عليَّ من ذلك أخي الوليد".[2]

1- ابن عذاري ، البيان النغرب ،ج2، ص57؛ المقري، نفح الطيب ،ج4، ص39.

2- المقري ، المصدر السابق ، ج4، ص40.

حركات أخرى

ظلَّ عبد الرحمن الداخل يواجه حركات التمرد والعصيان في الداخل والخارج ، طوال حكمه الأندلس فاخضعها وأقام فيها هذا الملك الشامخ ، ومن بين هذه الحركات ، ما قام به رزق بن النعمان الغساني ، الذي نهض في الجزيرة الخضراء سنة 143هـ ، وانتهى الأمر بقتله ، كما قام عبد الله بن خراشه الاسدي بحركة ضد عبد الرحمن الداخل سنة 149هـ في جيان ،انتهت باستسلامه بعد أن طلب الأمان ،وقام غياث بن المسير الاسدي بحركة في باجه سنة 150هـ انتهت بالفشل ، وتمكن والي باجه من إخمادها ، وخرج عتاب بن منسي في جيان سنة 150هـ ، لكن والي جيان تمكن من القضاء عليها ، كما تمرد سويد بن موسى في سرقسطة سنة 154هـ وتم القضاء عليها ، ووجه عبد الرحمن الداخل بدراً الى إبراهيم بن شجرة البرنسي المرواني فقتله[1] ، وفي

سنة 163هـ ثار الرماحس بن عبد العزيز الكناني بالجزيرة الخضراء ، فتوجه عبد الرحمن الداخل ففرَّ في البحر الى المشرق .[2]

1- مجهول، اخبار مجموعة ، ص112.

2- المقري ، نفح الطيب، ج4، ص41.

المبحث الرابع

قرطبة عاصمة الإمارة الأموية في الأندلس

أولاً: أصل تسمية قرطبة

إنّ معنى الكلمة في اللغة العربية العدو الشديد وقيل طعنة فقرطبه إذا صرعه [1]، وإنها بلسان القوط قرظبة ، وتعني القلوب المختلفة [2]، على أنّ اسم قرطبة (cordoba) مأخوذ من اللغة الأيبيرية القديمة وهو يتشابه مع غيره من أسماء مدن أيبيرية أخرى مثل (salduba) وهو الاسم الأيبيري القديم لمدينة سرقسطة (Saragossa) ، وقيل أيضاً قرطبوها بالحجارة فسميت قرطبة.[3]

وهناك من يرى أنّ اسم قرطبة مأخوذ من اللغة الفينيقية القديمة (kartuba) التي تعني المدينة الصالحة[4] ،ولكن اغلب الظن إنّ اسم قرطبة القديم كان (كردبا) وهو الاسم التي مازالت تعرف به في اللغة الاسبانية .[5]

1- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) ، لسان العرب ،ج1،بيروت 1955م، ص670 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص324.

2- العذري ، ترصيع الاخبار ، ص121.

3- الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص221.

4- العميد ، طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس، جامعة الموصل 1988 ، ص187 ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، العمارة الدينية بالاندلس، دائرة معارف الشعب ، ج1 ، بيروت 1959م، ص16 .

5- فكري ، احمد ، قرطبة في العصر الاسلامي (تاريخ وحضارة)، (الاسكندرية -د.ت)، ص168.

لذا إنّ اقرب معنى لتسمية قرطبة هو (المدينة الصالحة) وذلك من خلال ما تميزت به من مميزات جعلتها كذلك حتى بعد الفتح العربي الإسلامي ويدل على ذلك وصف المؤرخ الأندلسي الرازي لها بقوله : "قرطبة قاعدة الأندلس ، وأم المدائن ، وقرار الخلافة ، ودار الملك ، تجبى إليها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية ، واسطة من الكور ، موفية على شاطئ النهر ، مشرقة رائعة مؤنقة ، نهرها ساكن في جريه ، بقبلتها بطاح سهله ، وبجوفها المنيف المسمى بالعروس المغروس بالكروم وسائر الأشجار وأنواع الأزهار" [1].

كما ذكرها في موضع آخر بقوله : " قرطبة ام المدائن ، وسرة الأندلس ، وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والإسلام ونهرها أعظم انهار الأندلس ، وبها القنطرة التي هي إحدى غرائب الأرض في الصنعة والإحكام ، والجامع الذي ليس في بلاد الأندلس والإسلام اكبر منه"[2].

ومن خلال ما تحدثت به المصادر الأندلسية عن قرطبة بأحسن الكلام فإنها تستحق تسمية المدينة الصالحة.

1- ابن غالب الغرناطي، فرحة الانفس، ص26 ؛ الشريف الادريسي ، نزهة المشتاق، ج2، ص574 ؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء ، ص153.

2- المقري ، نقلاً عن الرازي ، نفح الطيب ، ج2 ، ص7.

ثـانـيـاً : أهمـيـة قـرطـبـة

تقع مدينة قرطبة غربي نهر اشبيلية في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة [1] ، بينه وبين مدينة البيره مسيرة يومين وغربها مدينة رية نزلها جند الأردن [2] ، وهي ما يلي ماردة على بعد عشرين فرسخاً [3] ،وهي تقع في وسط الأندلس [4] على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير النابع من جبل   شقورة .[5]

وقرطبة تقع في سهل مرتفع في جبل قرطبة المعروف عند مؤرخي العرب (جبل العروس)[6] الذي يسمى (سيرامورينا)[7] من سلسلة الجبال المحيطة بقرطبة ، وقرطبة شرقي اشبيلية وفي الجنوب الشرقي من بطليوس وجنوبي طليطلة .[8]

1- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5، ص226 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص456 .

2- ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (ت 310هـ) الاعلاق النفيسة ، (ليدن 1906م) ، مطبعة المثنى ، بغداد ، ص354.

3- الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص22.

4- الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت 343هـ) المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة 1961م ، ص35 ؛ القزويني ، ابو زكريا محمد بن محمود (ت682هـ) اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت1960م ،ص552.

5- الزهري ، المصدر السابق ، ص221.

6- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج5، ص308.

7- م.ن ، ص575.

8- م.ن ، ص577.

وتُعد قرطبة من أعظم مدن الأندلس وليس بجميع المغرب لها شبيه في كثرة السكان وسعة الرقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ، وهي

مدينة حصينة ذات سور من حجارة وكان فيها سلاطينهم ودورهم داخل سورها المحيط بها وأبنيتها مشتبكة مستديرة على المركز من شرقه وشماله وغربه .[1]

أما مساحة قرطبة التي دار السور عليها دون الارباض طولاً من القبلة الى الجوف ألف وستمائة ذراع ، واتصلت العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً وفرسخين عرضاً ، وذلك من الأميال أربعة وعشرين في الطول ، وستة في العرض، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير [2] ، وقد ذكر أنّ قرطبة خمسة عشر إقليماً[3] ، وكل إقليم من هذه الأقاليم يحتوي على عدد كبير من القرى والأبراج والحصون ، وكان مجموع القرى في قرطبة سبعمائة وثلاث وسبعين قرية .[4]

1- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص17.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص5.

3- العذري ، ترصيع الاخبار ، ص124.

4- م.ن ، ص124.

أدناه جدول يمثل عدد الأقاليم وعدد القرى والأبراج والحصون في كل اقليم من أقاليم قرطبة الخمسة عشر[1].

ت	اسم الإقليم	عدد القرى	عدد الأبراج	عدد الحصون
1	اقليم المدور	90	-	-

2	اقليم القصب	87	30	7
3	اقليم لورة	67	3	16
4	اقليم الصدف	28	20	8
5	اقليم بني مسرة	17	6	13
6	اقليم مذياة	26	13	4
7	اقليم كرتش	60	26	10
8	اقليم القشتل	48	7	3
9	اقليم الهزهاز	73	16	13
10	اقليم الملاحة	84	17	6
11	اقليم الشعر	90	40	20
12	اقليم السهلة	102	35	26
13	اقليم اولية	86	20	6
14	اقليم الوادي	11	32	17
15	اقليم مريم	113	16	12

1- العذري ، ترصيع الاخبار ، ص124-127.

وتتميز قرطبة في أنها تقع في سهل خصب فسيح يمتد مسافات طويلة وينتج مختلف الغلال ويرويه نهر الوادي الكبير ، وقد اتخذ الأمويون قرطبة عاصمة لهم لاتساع شوارعها وهوائها المعتدل وتوسطها بين الشرق والغرب[1] ، وبجوفها الجبل المنيف المسمى (جبل العروس) المغروس بالكروم والزيتون والأشجار وأنواع الأزهار[2] ، وتتنوع مناظر الطبيعة في قرطبة وتتعدد فيها الوديان الجميلة ويتوفر بها صيد الحيوانات والطيور ،

وتنتشر المزارع على ضفاف الوادي الكبير ، وبها أطلال حصون قديمة من العصور الوسطى[3].

وتتمتع قرطبة بمناخ معتدل يساعد الإنسان على النشاط والنبات على الازدهار ، نهرها من أحسن الأنهار جوانبه مطرزة بالأزهار وتصدح في جنباته الأطيار[4] ، وفيها من الأسواق والحمامات والصناعات [5] ، وهي من مدن الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد.[6]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص8.

2- ابن غالب الغرناطي، فرحة الانفس، ص27.

3- المقري ، المصدر السابق ، ص7.

4- م.ن ، ج1، ص152.

5- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص76 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص107 .

6- المقري ، نقلاً عن الحجاري ، نفح الطيب ، ج2، ص8 ؛ ينظر كذلك

Enwar.chejne ,Muslim Spain its History and culture (London-1975)p.140

ويُعد الزيتون أهم محاصيلها الزراعية ، تقوم عليه كثير من الصناعات المختلفة[1] ، كما اشتهرت قرطبة بثرواتها المعدنية ، ويُعد الزئبق من أهم هذه المعادن حيث يستخدم لأغراض صناعية ، ويتركز إنتاجه بكميات كبيرة في منطقة (بيطروش) ويوجد هذا المعدن في هذا الموضع وفيه يجلب لبقية الأقطار[2].

أما الفضة فكانت توجد في قرية كرتش[3] ، ومن معادنها الأخرى معدن (الشاذنج) ، حيث يوجد في جبال قرطبة[4] ويستعمل في التذهيب ، كما يدخل في الصناعات الطبية حيث يستخدم لقطع الدم[5] ، وينتشر فيها مقاطع الرخام بألوانه المختلفة الأحمر والأبيض الناصع وغيرها من الثروات[6].

ويبدو أنّ إعجاب ابن حوقل كان كبيراً حتى انه شبهها ببغداد وفي ذلك يقول : "وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة وان لم تكُ كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة"[7].

1- خالد ، طارق ، اثار الاندلس، الكويت 1985م، ص35.

2- الزهري ، كتاب الجغرافية، ص220.

3- الاصطخري ،/ المسالك والممالك، ص36.

4- البكري ، جغرافية الاندلس واوربا ، ص128.

5- الباكوي ، عبد الرشيد صالح بن نوري ، تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار ، تحقيق ضياء الدين بن موسى، موسكو،1971، ص120.

6- ابو الفدا ، تقويم البلدان، ص147.

7- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص107- 108 .

ويتضح من خلال ما تقدم إنّ اختيار قرطبة من قبل الأمويين كان موفقاً لما تمتعت به من مميزات المدينة الصالحة ، وفي ذلك قال السلطان الموحدي يوسف بن عبد المؤمن : "أنّ ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة ، الديار المنفسحة الكبيرة ، والمباني الضخمة المشيدة ، والنهر الجاري ، والخارج الناظر ، والمحرث العظيم ، والشجر الكثير ، والتوسط بين شرق الأندلس وغربها .[1]

ولما أفتتحها المسلمون تخيروها دار ملكهم ومقر تدبيرهم وموضع حلهم وعقدهم ولم تزل قرطبة على ذلك الى أن انتشرت الفتنة.[2]

كل هذه المميزات وأخرى غيرها كثيرة ، ذكرها المؤرخون جعلت مدينة قرطبة ذات أهمية عبر العصور [3] ، وقد نُسب تأسيسها الى الفينيقيين .[4]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص153.
2- عبد الواحد المراكشي ، ابو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت2006م،ص263.
3- خالد ، آثار الاندلس، ص35.
4- Edwyn Hole ,Andalus (spain under the Muslims),(London-1958)p.33

وتشترك مدينة قرطبة مع مدينة حلب والموصل بصفة أنها من المدن القديمة ، التي كانت موجودة وآهلة بالسكان قبل دخول العرب الفاتحين الى بلاد الأندلس ، ويرجع تاريخ قرطبة الى فترات قديمة [1] .

وعندما وصلها المسلمون بقيادة مغيث الرومي سنة (92هـ/711م) وجدوها مدينة يحيط بها سور منيع يحتوي على عدة أبواب ، وفي داخلها كنيسة ، وان العرب المسلمون أضافوا الى خططها واستخدموا أسلوب الزيادات والإضافات العمرانية التي تتسم بسمات عربية وتوافق رؤيتهم التمدنية ، لان العرب المسلمون عند دخولهم بلاد الأندلس ، لم يكونوا قد قرروا على اتخاذ مدينة جديدة عربية النشأة والتخطيط وأنهم فضلوا الاستقرار في المدن القديمة ، وإجراء عمليات التوسع والتجديد والإضافة الملائمة لتفكيرهم ، ولذلك فإنهم فضلوا تلك المدن القديمة لحداثة عهدهم بالأندلس وخشيتهم من هجمات مضادة من أعدائهم خلال هذه المرحلة المبكرة ، وحتى لا يشغلهم تأسيس المدن الجديدة عن مهمتهم العسكرية في متابعة تقدمهم وفتوحاتهم في بلاد الأندلس.[2]

1- ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية،جامعة البصرة1986م، ص353.

2- سالم ، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، مصر 1997م، ج1، ص17.

كانت هناك أسباب مباشرة وغير مباشرة دفعت الوالي أيوب بن حبيب اللخمي سنة (99هـ/717م) الى اتخاذ قرطبة قاعدة للجيش وعاصمة للدولة العربية الإسلامية في الأندلس بدلاً من اشبيلية .

ومن بين تلك الأسباب المباشرة قتل الوالي عبد العزيز بن موسى وان على الوالي الجديد أيوب بن حبيب اللخمي مسؤولية كبيرة وهو في اشبيلية ، وانه لا يخلد الى الراحة في مدينة حيكت فيها المؤامرات ، وقد ذكر ابن عذاري الأحوال السائدة في اشبيلية بعد مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير ،بقوله :"ومكث أهل الأندلس شهراً لا يجمعهم وال حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمي" [1]، وان الوالي الجديد من قرابة موسى بن نصير حيث انه ابن أخته ، لذلك كان من الضروري الابتعاد عن أعداء عبد العزيز بن موسى بن نصير .

أما الأسباب غير المباشرة في الانتقال الى قرطبة ، فمنها عسكرية وإستراتيجية ، إذ أنّ الانتصارات التي حققها الوالي عبد العزيز بن موسى قد أدت الى اتساع الدولة العربية الإسلامية ، وأصبحت قاعدة الدولة في موضعها السابق على الساحل بعيدة من الناحية الجغرافية ،وهي حالة قد تولد ظهور الحركات السياسية المعارضة وصعوبة إخمادها، فكان اختيار قرطبة موفقاً للتغلب على تلك المشاكل كونها تقع في وسط البلاد وتتميز بمناعتها وحصانتها.[2]

1- البيان المغرب، ج2، ص25 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص12.
2- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الاسلامية، ص197.

وكان أمراء الأندلس قد حرصوا على جعل قرطبة مثالاً من دمشق من حيث منازلها البيضاء المزينة بالورود والأزهار ونافورات المياه ، ولم تمضي فترة طويلة حتى أصبحت عاصمة لدولة تعج بالحركة الدائمة ، وقد ازدهرت فيها العلوم النقلية والعقلية واشتهر فيها العديد من العلماء[1] ، وقد أسست فيها مدارس عديدة قامت بترجمة المصنفات العربية الى اللغات الأوربية.[2]

وتقدمت الحركة العلمية والعمرانية تقدماً كبيراً وأصبحت تستقطب الآلاف من البشر وتميزت بالمنازل والقصور وعشرات الفنادق والحمامات والمتاجر ، وتزدحم المساجد بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم ، وبلغ التقدم العربي ذروته في الأندلس[3] ، وتفردت قرطبة في أنها كانت في مقدمة أسواق الكتب في الأندلس[4] ، وقد انتشر التعليم في الأندلس بحيث كانت هناك نسبة كبيرة من الناس تحسن القراءة والكتابة وهي شيء لم تعرفه أوربا في ذلك الزمان ، وكان في بعض المدن الرئيسة مدارس كبرى أشبه بالجامعات اليوم وفي طليعتها قرطبة واشبيلية وغرناطة .[5]

1- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص398.
2- م.ن ، ص399.
3- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ج2، ص606.
4- المقري ، نفح الطيب، ج3، ص302.
5- حتي ، المرجع السابق ، ص688.

وهناك قول مألوف ينقش غالباً فوق أبواب أكثر المعاهد ، مضمونه إنّ العالم يقوم على أربعة أمور : علم الحكماء ، وعدل العظماء ، ودعاء الصلحاء ، وشجاعة الشجعان[1] ، وقد نشأت الى جانب الجامعات خزائن للكتب ، وكانت خزانة قرطبة أوسع مكتبة في الأندلس ، وقد كان للكثير من مشاهير الرجال والنساء مكتبات خاصة ، وان سمات الحياة العربية الإسلامية اعتبرت الكتب هي السبيل الى تحصيل المعرفة [2] ، وقد أنجبت الأندلس فضلاً عن ابن عبد ربه وابن حزم وابن الخطيب ، عدداً من الشعراء لا تزال أشعارهم من أفضل مآثر الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في هذا الميدان ، منهم أبو الوليد احمد بن زيدون (1003-1071م) الذي يعده البعض من أعظم شعراء الأندلس ، وكان قرشياً من بني مخزوم اتصف بنبوغه في الشعر والنثر وكان بارعاً في الأدب.[3]

1- حتي، تاريخ العرب(مطول)،ج2، ص688.

2- م.ن ، ص690.

3- ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ص75.

المبحث الخامس

علاقات عبد الرحمن الداخل الخارجية

واجه عبد الرحمن الداخل في بلاد الأندلس مشاكل كثيرة ، تمثلت في الحركات المعارضة لحكمه من الداخل ، والتي تمكن من القضاء عليها بقدرة عالية ، كما واجهته مشاكل متعددة مع القوى الخارجية المحيطة بالأندلس ، خاصة منها التي استخدمت بعض العناصر المعارضة في الأندلس ، وكان استخدامها عسكرياً مسلحاً ، إذ شكلت خطراً على الدولة الأموية الجديدة في الأندلس، وأصبحت العلاقات مع هذه القوى الخارجية ذات طابع عسكري وحربي ، لكن ذلك لا يمنع من إقامة علاقات سلمية وتبادل السفارات بينها.[1]

أولاً : العلاقة مع الخلافة العباسية

انشغلت الدولة العباسية عن الأندلس ، نظراً لمشاكلها في المشرق ولبعد الأندلس عن مركز الخلافة ، وبذلك فقد تهيأت الظروف الى عبد الرحمن الداخل من تثبيت دعائم دولته ، وما لبث العباسيون إن نظروا الى الدولة الأموية بالأندلس بعين الخشية ، وأكثر الظن أنهم كانوا في حيرة من أمرهم بشان الأسلوب الذي يجب أن يتعاملوا به مع الأندلس وحاكمها الجديد، إذ أنهم مالوا الى استخدام الوسائل السلمية لإعادة ولاء حكام هذه البلاد .[2]

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج2، ص330.

2- م.ن ، ص331.

أما عبد الرحمن الداخل فقد اتبع سياسة متوازنة وحذره مع الدولة العباسية وانه أمر بإبقاء الخطبة للعباسيين على منابر الأندلس خلال السنة الأولى من حكمه ، ولما ثبت إقدامه قطع الخطبة للعباسيين، وأصبحت له ولأبنائه من بعده على جميع منابر الأندلس، ومع ذلك فقد ظل الأمويون هناك يسمون أنفسهم الأمراء، أو أبناء الخلائف، ولم يتلقبوا بالخلفاء أو أمراء المؤمنين أو أمراء المسلمين ، حتى عهد عبد الرحمن الناصر ، وذلك لاعتقادهم إنّ الخلافة الإسلامية واحدة لا

تتجزأ ، ولان خليفة المسلمين هو من تكون في حوزته مكة المكرمة والمدينة المنورة واقتنع الأمويون في بلاد الأندلس بلقب الأمراء وأمثاله .[1]

ولما قطع عبد الرحمن الداخل الخطبة للخلفاء العباسيين على منابره ، فانه قد فصل الأندلس سياسياً وروحياً عن الخلافة العباسية في المشرق ، الأمر الذي دفع الخلفاء العباسيين الى التفكير جدياً بمسالة الأندلس، وضرورة إعادتها الى الدولة العباسية ، لكن ذلك جاء بعد فوات الأوان ، حيث لم يبق بأيدي العباسيين إلا دعم حركات التمرد في الأندلس مادياً ومعنوياً.[2]

1- المقري، نفح الطيب ،ج1،ص319.

2- ابن خلدون ، العبر، ج4، ص127.

حركة العلاء بن مغيث الحضرمي 146هـ.

ظهر العلاء بن مغيث الحضرمي في باجه بجنده ، وأصبح من اخطر خصوم عبد الرحمن الداخل في الأندلس، وقد كاتب الخليفة أبا جعفر المنصور العباسي واتصل برسله في افريقية ، وحصل من الخليفة على سجل بولاية الأندلس مع اللواء العباسي ، كما وصلت قوة كبيرة من افريقية لمساعدته، لذلك أعلن العلاء بن مغيث الحضرمي حركته[1] ، ورفع السواد شعار العباسيين وكثر أنصاره ومؤيدوه ومن بينهم واسط بن مغيث الطائي وأمية بن قطن الفهري،

وأقبلت اليمانية لمساعدته ، وقد انتشرت دعوته في البلاد وخطب للخليفة ابو جعفر المنصور على منابر باجه وزحفت قواته الى قرطبة وكانت جموعه قد استولت على غرب الأندلس سنة 146هـ ، ولما بلغ عبد الرحمن الداخل ذلك ، خرج لمواجهتهم وقد اجتمعت له الحشود وعزم على مقاتلتهم خارج المدينة وان يصدهم عنها ونزل في قلعة رعواق وهي موقع حصين بين قرطبة وجموع المعارضين ، الذي انضم اليهم غياث بن علقمة اللخمي قادماً من شذونه ، وقد تم معه صلحاً لوحده ، ودارت معركة حاسمة بين جيش عبد الرحمن الداخل بقيادة بدر والمعارضين وانتهت بقتل العلاء بن مغيث الحضرمي.[2]

1- مجهول، تاريخ الاندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، بيروت2007م، ص165.

2- ابن القوطية، افتتاح الاندلس، ص32؛ ابن عذاري ، البيان المغرب، ص52.

حركة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف الصقلبي 162 هـ

ظلَّ العباسيون يتطلعون الى استعادة نفوذ الخلافة على الأندلس ، رغم ما أصابهم من الفشل في حركة العلاء بن مغيث الحضرمي، ولما ولي المهدي الخلافة العباسية جند احد قواده للقيام بهذه المهمة وهو عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي ، فعبر من افريقية الى الأندلس سنة 161 هـ ومعه قوة كبيرة ونزل ساحل تدمير عند مدينة مرسية شرق الأندلس ، ودعا الناس الى طاعة الخليفة العباسي المهدي ورفع السواد شعار بني العباس .[1]

وأيده الكثيرون وانظموا لدعوته ، وقد خرج اليه عبد الرحمن الداخل وحاصره من البر والبحر بعد أن احرق سفنه كي لا يستطيع العبور الى افريقية ، ثم دس له من قتله من عرب المغرب ، وبذلك انهارت دعوة الصقلبي وفشلت حركته الموالية للعباسيين.

لقد فشل العباسيون في استعادة الأندلس الى نفوذهم والقضاء على عبد الرحمن الداخل من خلال دعمهم لحركات التمرد والعصيان .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2،ص55؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج6، ص54.
2- مجهول، اخبار مجموعة، ص110.

ثانياً : العلاقة مع دولة الفرنجة :

بدأت علاقة العرب المسلمين في الأندلس مع دولة الفرنجة منذ أن عبر المسلمون جبال البرت ، حيث نشطت حركة الفتوح العربية الإسلامية فيها خلف هذه الجبال ،وظلت قوة العرب المسلمين في الأندلس هي الراجحة على خصومها من الفرنجة والقوط لفترات طويلة .[1]

أما في عهد عبد الرحمن الداخل فقد أخذت هذه العلاقة طابعاً جديداً ، ذلك إنّ دولة الفرنجة قد تحولت من حالة الدفاع والتراجع أمام العرب المسلمين الى حالة الهجوم للقضاء على العرب المسلمين وإخراجهم من الأندلس، في حين أصبحت الدولة العربية الإسلامية تقوم على الدفاع والمحافظة على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس.[2]

ونتيجة لانشغال عبد الرحمن الداخل بمواجهة حركات التمرد والعصيان ضده ، استطاع الفرنجة من إخراج العرب المسلمين من اربونة وهي إحدى الثغور التي كان

يسيطر عليها العرب خلف جبال البرت ، الأمر الذي غير موازين القوى لصالح الفرنجة .[3]

1- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص13.

2- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص289.

3- السامرائي ، خليل ، الثغر الاعلى للاندلس، بغداد 1976م، ص230 ، ينظر كذلك : S.painter ,A History of the Middle Ages (284-1500) ,(London ,1963) p.79.

وقد تزايدت أطماع الفرنجة في بلاد الأندلس بعد استيلائهم على اربونه ، خاصة بعد أن اطلعوا على المشاكل الكبيرة التي تواجه الأمير عبد الرحمن الداخل من جراء الأوضاع الداخلية ، وحركة سليمان بن يقظان الإعرابي في سرقسطة في شمال الأندلس سنة 157هـ ، والذي تحالف مع بعض الزعماء العرب ، وفكروا بطلب المساعدة من شارلمان ملك الفرنجة ، ورغم المراسلات التي تمت بينهم والتي حققت بعض أهدافها بالسلام والمصالحة ، إلا إنّ المتمردين خافوا على أنفسهم من عبد الرحمن الداخل ، لذلك عمدوا على مراسلة ملك الفرنجة وطلبوا منه المساعدة سنة 160هـ ، وقد استجاب شارلمان وكانت قوة الفرنجة قد ازدادت على حساب العرب المسلمين بالأندلس، وجعلت هذه الاتفاقيات الأندلس في خطر.[1]

وأصبح الإسلام في هذه البلاد يجتاز محنة ، وكان على الأمير عبد الرحمن الداخل ، أن يصمد بوجه ذلك كله وعلى هذا الأساس ، حشد شارلمان الجيوش وتوجه بها إلى الأندلس سنة 161هـ ، قاصداً قرطبة ، إلا أنّ آماله باءت بالفشل وأصاب جيشه خسائر كثيرة في تلك المواجهة.[2]

1- مجهول ، اخبار مجموعة، ص112؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي، ص218.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص48.

أوقعها به العرب المسلمون ، وهو في طريقه مخذولاً عبر هذه الجبال باتجاه غاليسيا ، وقد أصابته هزيمة كبيرة ، كما تمكن العرب المسلمون من إنقاذ أسراهم من جيوش شارلمان المهزومة ، وقد ظلّ سليمان الإعرابي والحسين بن يحيى الانصاري يثيرون المشاكل ويؤيدون حركات العصيان ضد عبد الرحمن الداخل حتى سنة 166هـ ، حيث تمكن من القضاء عليهم .[1]

ولما أدرك كل من الجانبين ، العربي الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الداخل ، والإفرنج بقيادة شارلمان قوة الجانب الآخر ، وصعوبة تحقيق الانتصار العسكري لأحدهما على الأخر ، اتفقا على المفاوضات وإتباع أسلوب المهادنة والمصالحة ، حيث أرسل عبد الرحمن الداخل وفداً للتفاوض مع شارلمان لهذا الغرض ، وكان يهدف الى إطلاق سراح ثعلبة قائد جيش عبد الرحمن الداخل الذي اسر أثناء الحرب مع الفرنجة ، وقد اظهر شارلمان من خلال الوفد رغبته في إقامة الصلح بين الدولتين وان تحل المهادنة بينهما ، كما عرض الوفد على شارلمان عقد معاهدة بين الجانبين وقد تم الصلح بينهما فعلاً ، وهدأت الحال بعد تلك الحروب ، ولكن كل منهما ظل حذراً من الآخر.[2]

1- العذري، ترصيع الاخبار ، ص25؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص48.

2- المقري، المصدر السابق، ج1، ص310؛ الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، ص92.

ثالثاً : العلاقة مع الممالك الاسبانية في الشمال

عمل عبد الرحمن الداخل منذ أن أقام الدولة الأموية في الأندلس على إيقاف نشاط وتوسع الدويلات الاسبانية في الشمال، باتجاه المناطق العربية الإسلامية في وسط وجنوب الأندلس ، ونظم المقاومة ضد هجماتهم المستمرة ، وأصبح نهر دويره ، الخط الفاصل بين دولة العرب المسلمين ، وهذه الدويلات الاسبانية (جيليقية ، ليون ، قشتالة ، نبار ، اراجون) ، وانشات على طول هذا الخط الفاصل الحصون العربية الإسلامية للدفاع عن ارض الإسلام ، غير إنّ انشغال الأمير عبد الرحمن الداخل بإخماد حركات التمرد والعصيان ضده شجع هؤلاء الأعداء على غزو الأراضي الإسلامية سنة 140هـ عبر الخط الفاصل بين الجانبين واستولوا على كثير من الثغور والقلاع الإسلامية [(1)].

الأمر الذي أدى الى قبول الأمير عبد الرحمن الداخل بعقد معاهدة صلح معهم أمدها خمس سنوات وذلك سنة 142هـ ، وكانت شروطها في صالحه وتضمنت بان يدفع هؤلاء الأعداء له الأموال والسلاح كل عام ، وكتب له كتاب سلام وأمان[(2)] لكن عبد الرحمن الداخل لم ينس الشمال الاسباني وتطاوله على ارض العرب المسلمين ، فكان يرسل قواته كلما تهيأت الظروف لذلك ، وتحقيق الانتصارات .[(3)]

1- ابن خلدون، العبر ،ج4،ص180؛ مؤنس ، فجر الاندلس، ص335.

2- الدوري ، ابراهيم ياس خضير، عبد الرحمن الداخل في الاندلس، بغداد1982م، ص199.

3- مجهول، اخبار مجموعة، ص114.

الفصل الثالث

مكانة الحضارة العربية الإسلامية في العالم

- المبحث الأول : الحضارة العربية الإسلامية .

  أولاً: مميزات الحضارة العربية الإسلامية.

  ثانياً: مبادئ الحضارة العربية الإسلامية.

- المبحث الثاني : انتقال الحضارة العربية الإسلامية الى الأندلس.
- المبحث الثالث: العلاقة بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين.
- المبحث الرابع : التأثيرات العربية الإسلامية في حياة السكان الأصليين.

  أولاً: الميدان الأدبي

  ثانياً: الفلسفة العربية الإسلامية

  ثالثاً: العلوم الإنسانية

  رابعاً: العلوم الصرفة

  خامساً: الفنون العربية الإسلامية

الفصل الثالث
مكانة الحضارة العربية الإسلامية في العالم
المبحث الأول
الحضارة العربية الإسلامية

أولاً: مميزات الحضارة العربية الإسلامية .

إنّ الحضارة العربية الإسلامية من أعظم حضارات العصور الوسطى وكانت البيئة التي ظهرت فيها موطناً لكثير من الحضارات القديمة [1] ، واخذ العرب المسلمون من الحضارات التي سبقتهم النافع منها ومالا يتعارض مع روحها وقيمها ومثلها، وأصلحت ما يتطلب الإصلاح ونبذت ماعدا ذلك من لايقرّها الدين والعقل ، وأسهمت عن طريق الإبداع والابتكار في الحضارة الإنسانية[2] ،والحضارة"أحوال زائدة على الضروري من أحوال العمران"[3] وان الحضارة العربية الإسلامية هي خلاصة أو انتقاء لما في الحضارات السابقة وقد أضافت إليها عناصر جديدة حتى تتميز عن غيرها ، فالحضارة اخذ وعطاء ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وأخرى جديدة[4] ، وقد صبّت جداول كثيرة في نهر الحضارة العربية الإسلامية صنعت منها لوناً جديداً.[5]

1- الكروي ،ابراهيم سلمان، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، الكويت ، 1987م ،ص15.
2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص10.
3- ابن خلدون، المقدمة، ص368.
4- ماجد، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ،ط7، القاهرة 1996م، ص11.
5- يونغ ، لويس ، العرب وأوربا، ترجمة ميشيل ازرق، بيروت2000م، ص32.

تزداد أهمية الحضارة بما تقدمه من إضافة بناءة لمسيرة البشرية ، وما تأتي به من إسهام فعّال في رقي الإنسان فكرياً وروحياً وخلقياً ، ومن بين الحضارات التي عرفها العالم في العصور الوسطى فيما بين أواخر

القرن الخامس والقرن الخامس عشر للميلاد تبرز الحضارة العربية الإسلامية لتحتل مكان الصدارة ، وقد استمدّت جانباً من مقوماتها من الحضارات التي سبقتها كحضارات الصين والهند وفارس واليونان والرومان[1] ، وقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية بما يأتي :

1/ الحضارة العربية الإسلامية حضارة إنسانية.

أنها حضارة ملائمة لفطرة الإنسان وخصائصه المتعددة التي ينفرد بها عن سائر المخلوقات ومسايرة لتطلعاته ونشاطاته وقادرة على تلبية حاجاته ، فهي تستهدف خير الإنسان والحفاظ على كرامته والنهوض بمستواه في جوانب حياته المختلفة [2] ، إذ أنها الحضارة التي يمكن أن يتحقق للإنسانية في ظلها ما تطمح اليه من سعادة في الدنيا والآخرة .[3]

1- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص6.

2- الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص20.

3- م.ن ، ص22.

ومن اجل ذلك نظّم الإسلام حياة الإنسان الخاصة والعامة تنظيماً دقيقاً هدفه سعادة الفرد والأسرة والمجتمع ، فهو محور هذه الحضارة وسعادته غايتها وهدفها [1] ، وقد كرّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بقولـــــــه :

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) [2].

2 / الحضارة العربية الإسلامية حضارة عالمية .

لقد وسعت هذه الحضارة جميع أنحاء العالم ، رغم اختلاف عقائدهم وتعدد أجناسهم ولغاتهم ، وأنماط حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن دخل منهم في دين الإسلام ومن بقي منهم في ظل الحضارة العربية الإسلامية على دينه القديم [3] ، وأصبحوا جزءاً من نسيجها ، وان الشعوب التي عاشت هذه الحضارة قد استطاعت أنْ تطوّر حياتها معنوياً ومادياً في ظلها وترتقي بجميع مكونات هذه الحياة ، حيث انها كانت تعاني من تخلف كبير في حياتها ، وفي مختلف جوانبها الروحية والاجتماعية وأساليب العيش . [4]

1- عاشور دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص20.

2- سورة البقرة : الاية 34.

3- الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص22.

4- م.ن ، ص22.

وقد اثر نشاط العرب المسلمين في مجالات العمران والعلوم والمعارف والفنون في الحضارات الأخرى التي ظهرت بعد اوقات طويلة [1] .

3 / الحضارة العربية الإسلامية حضارة إيمان .

أنها حضارة تؤمن بالله ورسالاته وأنبيائه عليهم السلام[2] ، وان الروح الدافعة لها هي الإسلام ، فهي حضارة عربية قامت في ظل الإسلام ، وهذا لا يعني إهمال دور من أسهم بها من غير المسلمين بل أنّ المحيط الذي كان جميعاً يعملون فيه هو محيط عربي إسلامي [3].

والحضارة العربية الإسلامية عندما اتخذت من الإيمان ركيزة لها إنما استهدفت أن تحمي كيانها بسياج من القيم الروحية ، والمثل الكريمة ، فلا خير في علم دون خلق ومكارم الأخلاق هي جوهر الديانات السماوية ، فالإنسان في مفهوم الحضارة العربية الإسلامية هو ذلك الكائن المادي والروحي ، وان حياته المستقيمة الصالحة هي التي يراعي فيها الجانبين ، ويظهر ذلك واضحاً في تعاليم الإسلام وتشريعاته فالى جانب الدعوة الى الإيمان والحرص على العبادة ، نجد الدعوة الى الأخذ بالأسباب المادية للحياة. [4]

1- الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص6.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص16.

3- الدفاع، علي عبد الله، لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، مصر، 1981م ، ص144.

4- الكروي ، المرجع السابق، ص26.

وذلك واضحاً في قوله تعالى ((✂🙵✍⚐🖉🙵✍ ⬘⮚⬗ ➊⬩🕓🙵🙲🙢🖮⍓
⚍➔⑨✠➑ ○ ▫🙢⓿○🙢 ○ ➏◆③⬃🖬❁ ⬩⬩ ✂✍🙵🙶⬂⌛⬀☝◆🕓🖬⮌
♦⑶🕔⬅☞✹◑⬀⓾♊⌘ ⬗⮙⬘ ✂✍🙵🖉⅄🔔🙢⇦✖♦ ③⬉⬩⬃✌🙢⯎⬉❑♌♦
🙶✍✍🙵🙶⬂⇔♦⓿⬂🖬♉ ⬜◆③⬉◑⮚⓿☺⬉❑♌♦ ✂✍🙵🙲🕔○🖬■❐🗐□■
➏◆♏⮚🕓♑⬅☠⬁ ③⬉✪⍟🙢◑➔❑♌♦ ⬘⛞⬗
⬜◆✂✍🙵⬩🕓⬉✌🙢⚖ ③⬉⬩⬃✌🙢⯎⬉❑♌♦ ▤🙢⍟□✍🖉 🕮⬆☼➑⛞✌♦
⑶🙶🙲⬩⓿🙵⬂🖮⍓ ⬜◆✌♦✍🖉 🕮⬆☼➑⛞✌♦ ✌🙢♊ 🔔⬩🖮⬁🖬🙶🖮⍓
⬜◆🙶✍✍⍓☞⌘⬀❷♦□⛆ ⬈⬉✍⬁ ③⬉□🔔🙢⯎⬉❑♌♦ ⬗⛆⬘
🕮⬆□⬩🙵⬩🕓✺⬖⛆🖮⍓ ⬉◆✍■❼🗐 ✠➔⑨✠➑ ✌♓🙢♊ ❻■✍⬩■🙶♑🙶☠⬁ ☎
⬜◆🕮⬆□⬩🙵⬩🕓✺⬖⛆🖮⍓ ✠➔☠⬉ ✂✍🙵🙶⬂☺⬅▦⬂🖬🙶⬩⬅❑♍⛐ ⬗🙶⬘
.)) [1]

وعلى هذا الأساس أقام المسلمون صرح الحضارة العربية الإسلامية بمعطياتها الروحية والمادية ، وحققت للإنسانية طموحها في تلك العصور التي كان فيها العالم يعيش تخلفاً في جميع جوانب الحياة ، فكل نشاط مادي في ظل الحضارة العربية الإسلامية له غاية أخلاقية ، وفيه جانب روحي كما

في قوله تعالى : ((❑◆✂✍🖅⬀☝♦⬃⬀ ▫🙢⓿☺⍓✍🖉 ⬈◆✂✍♦🙵①⛐
✂✍🖉✍⊙✂❻◆ ✂✍⍓☞⌘⬀❷♦□■ ☎ ❑◆⬩⬩ ✍⬩✡☯⛐

(([illegible]))[2] ، والحضارة العربية الإسلامية هي حضارة إيمان وعمـــل
وإنتاج وإنها تحث على العمل لأنه مرتبط بالإيمان .[3]

4/ الحضارة العربية الإسلامية حضارة علم وفكر .

تؤمن الحضارة العربية الإسلامية بالعلم والفكر وسيلة للتقدم والرقـــي ،

وان أولى آيات القران الكريم تحث على التعلم قال تعالى (([illegible]))[4] وقال تعالى (([illegible]))[5].

1- سورة البقرة : الايات 1-5.
2- سورة القصص : الاية 77.
3- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص19.
4- سورة العلق ، الاية 1.
5- سورة الرحمن : الايات 1-4.

ويهتم الإسلام بالعلماء في قوله تعالى : (([illegible]))[1] ، ذلك انه كلما ازداد الإنسان علماً ازداد قرباً الـــى الله سبحانه وتعالى وخشية منه ، قال عز وجل : (([illegible]))[2] ، فالعلماء أكثر الناس فهماً ووعياً لآيات الله واستجابة لبديع قدرته في قوله تعالى (([illegible]))[3] ، ويخاطب القران الكريم العقل والقلب ويدفع بهما الى التأمل في كل
ما خلق الله ، لان العقل الراجح والقلب المنفتح اقرب الى الإيمان والتقـــوى

قال تعالى (([illegible]))[4].

وفي دفع العقل الإنساني الى التفكير يقول الله سبحانه وتعالى : (([illegible]

))[5] ،

وتحث الكثير من الآيات القرآنية على العلم والتفكير في ملكوت السموات والأرض [6] ، وان ذلك سيؤدي الى الرقي المادي والروحي.[7]

1- سورة الزمر : الاية 9.

2- سورة فاطر : الاية 28.

3- سورة العنكبوت : الاية 43.

4- سورة غافر : الاية 57.

5- سورة الروم : الاية 22.

6- الدفاع ، لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص145.

7- زقزوق ، محمود حمدي، دور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي، القاهرة(د.ت) ، ص9.

قال سبحانه وتعالى : ((

))[1] ، إنّ العلم هدف وغاية يسعى المسلم اليها من اجـــل الابتكار والإبداع وكل ذلك أدى الى قيام الحضارة العربية الإسلامية[2] ، حيث أنها صالحة لكل زمان ومكان فهي حضارة إنسانية وعالمية ، إذ أنها صالحة في كل البيئات وعلى مر الأزمان[3] ، أنها إنسانية الهدف عالمية الأفق والرسالة[4] .

5/ الحضارة العربية الإسلامية حضارة متطورة .

أنّ الحضارة العربية الإسلامية تسع كل التطورات الإنسانية ولا تقف جامدة أمام متغيرات الحياة البشرية ، كما أنّ الحضارة العربية الإسلاميـــة لم تكن عاجـــزة عن الفصـــل فـــي القضايـــا

1- سورة ال عمران : الايات 190-191.
2- معروف ، ناجي، اصالة الحضارة العربية ، بغداد 1969م، ص35.
3- الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص26.
4- الدفاع ، لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص20.

المتجددة لهذا المجتمع البشري في بيئاته المختلفة المتنوعة في نشاطها الإنساني وأعرافها وأنظمة حياتها ، وان الإسلام الذي ولدت وتطورت بين أحضانه تلك الحضارة جاء ثورة ضد الظلم والاستغلال ، والإسلام لا يمنع المسلم من الأخذ بكل جديد طالما لا يتعارض مع روح الدين ومثله وآدابه[1] ، وان الصورة المثلى الاجتماعية لا تتحقق إلا تحت مظلة الإسلام [2] ، وكانت وما تزال العلوم والفنون معلماً بارزاً من معالم الحضارة العربية الإسلامية ومصدراً مهماً في تطور الحضارة الأوربية[3].

6/ الحضارة العربية الاسلامية تتميز بالمرونة وسعة الأفق.

إنّ الحضارة العربية الإسلامية لم تكن منذ بدايتها منغلقة على نفسها وإنما كانت مرنة قابلة للأخذ والعطاء ، ولم تقف من تراث الأمم موقفاً معادياً ولم تجد الحضارة العربية الإسلامية ما يحول دون الإفادة من الحضارات الفارسية والهندية واليونانية والصينية والرومانية وغيرها من الحضارات السابقة[4] ، وقد بلغت ذروتها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في العلوم والفنون الإسلامية .[5]

1- الكروي ، المرجع في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ص23.
2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص17.
3- الكروي ، المرجع السابق، ص24.
4- مرحبا، محمد عبد الرحمن ، اصالة الفكر العربي ، بيروت1982م، ص152.

5- متز ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي، ابو ريدة ، القاهرة1975م، ص7.

إذ أنها أحسنت الانتقاء فلم تتقبل كل ما وجدته من عناصر الحضارات الأخرى ، وإنما اختارت ما من شأنه أن يساعدها على الاحتفاظ بقيمها ومثلها[1] ، وان الحضارة العربية الإسلامية منفتحة ، وقد تأثرت بها الشعوب ولعبت دورها الكبير في تطور البشرية وهي ذات شخصية متميزة .[2]

أنّ اثر العرب المسلمين في الحضارة الإنسانية لا يستطيع احد وصفه والتعبير عنه ، إذ أنهم بفتوحاتهم اتصلوا بالحضارات المختلفة واخذوا مايفيدهم وأضافوا اليها الكثير وقدموا للبشرية حضارة عربية إسلامية تفوق التي سبقتها.[4]

7 / أنها حضارة تتميز بالأمانة المطلقة.

تتصف الحضارة العربية الإسلامية بالأمانة المطلقة ، وهي صفة ميزتها عن الحضارات الأخرى ، فإذا كان علمائها قد ترجموا ونقلوا الكثير من علوم الفرس والهنود واليونان وغيرهم فأنهم لم ينسبوا ما نقلوه من علوم الآخرين الى أنفسهم .[5]

1- مرحبا ، اصالة الفكر العربي، ص169.

2- الدفاع ، لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص24.

3- السايح، احمد ، اضواء على الحضارة الاسلامية ، الرياض ، 1981، ص81.

4- الدفاع ، المرجع السابق، ص19 ؛ فروج ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت1970م، ص9.

5- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص25.

كان للحضارة العربية مميزاتها ومقوماتها [1] ، فهي أصيلة وذات طابع استمراري عبر العصور التاريخية[2] ، جعل منها الإسلام حضارة عالمية وإنسانية، وكانت الأرضية السليمة التي اعتمدت عليها الحضارة الأوربية ، لقد اتصف علماء المسلمين بالأمانة ونسبوا الكتب الى أصحابها مما مكّن الأوربيون من الوقوف على كتابات أرسطو وغيره التي

ضاعت أصولها اليونانية والتي تم التعرف عليها من خلال التراجم العربية المنسوبة الى أصحابها[3].

يتضح مما تقدم اثر الحضارة العربية الإسلامية في الحضارات الأخرى لما فيه خير البشرية ، لقد انتقلت علوم الشرق العربي وآدابه الى الأندلس ومنها الى أوربا ، وكان لها ابلغ الأثر في عصر النهضة الأوربية[4] ، وكان للطلبة الأوربيين الوافدين الى الأندلس للدراسة في مدارسها أثرهم الكبير في النقل والترجمة[5] ، وتُعد الفلسفة من أهم العلوم التي ترجمت الى اللاتينية إضافة الى العلوم الأخرى والآداب ، فقد ترجمت كتب ابن سينا والفارابي وابن طفيل وغيرها [6] ، حيث كتب كثير من الباحثين عن فضل علماء العرب المسلمين على الأوربيين .[7]

1- باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد 1956م، ج2، ص3.
2- سوسة، احمد ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد1979، ص235.
3- حتي، تاريخ العرب(مطول)،ج2،ص446.
4- بالنيثا، انخيل غونثاليث، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة1955، ص330.
5- فهد، بدري محمد،تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد1988م، ص210.
6- العقاد، عباس محمود، اثر العرب في الحضارة الاوربية، مصر1946،ص92.
7- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت 2003، ص474.

ثانياً : مبادئ الحضارة العربية الإسلامية.

إنّ للحضارة العربية الإسلامية الأثر الكبير في مختلف مجالات الحياة التي يتمتع بها الإنسان ، وقد تفوقت على غيرها من الحضارات في الحفاظ على كرامة الفرد ورفعت من شانه وحفظت له إنسانيته بغض النظر عن دينه ولغته ولونه[1] ، وتميزت بالمبادئ الإنسانية الآتية :

أولاً : العدالة الاجتماعية

إنّ العدالة الاجتماعية التي تنشدها شعوب العالم نجدها في الدولة العربية الإسلامية منذ بداية تكوينها ، فقد تساوى جميع رعاياها في الحقوق والواجبات وكانوا سواسية أمام القانون، وإذا كانت الزكاة قد فرضت على المسلمين فقد فرضت الجزية على القادرين من غير المسلمين، وحينما دخل الكثيرون من أهل البلاد المفتوحة في الإسلام رفعت عنهم الجزية وقاموا بتأدية الزكاة.[2]

1- معروف، اصالة الحضارة العربية ، ص213.

2- خودابخش، صلاح الدين، حضارة الاسلام ، ترجمة علي حسين الخربوطلي، دار الثقافة، بيروت1971م، ص96.

أما الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة لرعاياها فإنها تقدم للجميع دون تمييز ، فكانت الأموال تصرف من بيت المال لليتامى والمساكين والفقراء وأبناء السبيل سواء كانوا من المسلمين أم غير مسلمين عرباً ام غير عرب[1] ، كما إنّ المستشفيات والمدارس مفتوحة للجميع ، وان الخلفاء المسلمين عنوا بكنائس المسيحيين كما هو اهتمامهم بمساجد المسلمين وبهذا كانت الرعاية الاجتماعية مكفولة للجميع من قبل الدولة العربية الإسلامية تبعاً لتعاليم الدين الحنيف[2] .

كما حثّ الإسلام على الاشتغال بالطب وإجادته قال تعال : ((⇳⑨⬧◑⬧♒◉◆❒
⬀♌❒🕮 ⬧❒⍓☺⬁▤♑♦⬂🖳✍✁ ⌘♊🕔⍓☺⬂◑⬈♒ ✍❒✡⬃❹⬧✍✁◆⬈

✍⌧☺❋☼♒✉⧫◻ ⬀❷➔⌛⇧⌖⧫③ ♊⧫✌◆❒ 🗐 ✶✏ ⬀❷➚▤⇧⬆✍✃
((⌚♑❍⬁❍⬂▦◆☪♑⬧ ⬉❷➚▤⇧⌖❑④))[3]

ثانياً : مبدأ تكافؤ الفرص

تسعى كثير من الشعوب لتطبيق هذا المبدأ وتنادي به الحضارة الحديثة ، إلا أننا نجده مطبقاً في الدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها ، ذلك أنّ مناصب الدولة صغيرة كانت أم كبيرة لم تكن وقفاً على فئة معينـــة ،

1- معروف، اصالة الحضارة العربية ، ص213.

2- حسن، تاريخ الاسلام ، ص47.

3- سورة لقمان : الاية 12.

أو محتكرة من العرب أو المسلمين ، إنما كانت متاحة أمام جميع رعايا الدولة على حد سواء فقد وصل غير العرب من المسلمين الى مناصب الوزارة والقيادة والولاية وإمارة الأمراء[1] ، كما وصل غير المسلمين من مسيحيين او يهود الى مناصب الوزارة ، وكان منهم كبار رجال الدولة ومشاهير أطبائها فكان جيورجيس بن بختيشيوع الفيلسوف الطبيب النصراني ، ونوبخت وولده سهل كانوا جميعاً من العلماء المقربين من الخليفة العباسي المنصور وقد أوكل الخليفة الرشيد الى يوحنا بن ماسويه ديوان الترجمة ، كما أصبح يعقوب بن كلّس وعيسى بن نسطورس وزيرين في أيام الفاطميين في مصر ، ومن ذلك ندرك كيف إن الدولة العربية الإسلامية فتحت مجال الخدمة العامة أمام كل مواطنيها وعلى اختلاف أديانهم وأجناسهم وألوانهم طالما كانت لديهم الخبرة والكفاءة والإخلاص .[2]

ثالثاً : إزالة الفوارق الاجتماعية

اهتمت الدولة العربية الإسلامية في مراحل تاريخها برعاياها دون تمييز او تفريق بين دين او جنس او لغة او لون [3] .

1- معروف ، اصالة الحضارة العربية ،ص214.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص29.

3- معروف، المرجع السابق، ص210.

وكان الناس متساوين في الحقوق والواجبات قال تعالى :

((③♦🕔❋🕯❒⑨☙&❑🙰 ✁🙰⌘👁☪□🙰□⬇ ◑⍉☼❋🙰
⌘◰🖬■◑⬂✡□🕔▤⬈🗞 ✌♓♉♊ ➊⬩🖏☒➋👁 ❒◆🕮⬆☼ॐ⬩✗▤
❒◆♉◰➔◰🖬▫✡□🕔▤⬈☠⬀ ⅄⬈➔⬉❑🗞ॐ🙰 ❒◆🔔⬩🖮♦🙰✎✶✗✍⬩
👁♉✍♦➔◰🙰➏◆▫➔❑☑✁☎ 🗐 ◑⍉♌❒ 🕮❒🗎⇩➋♦✌♦▤⬈🗞⬀
⬉♉✡⑨◰ ✁🙰✎★ 🕮❒✍⬂◑⬩👁▤⬈☠⬀ 🗐 ◑⍉♌□ ✁🙰✎⅄
⬉♦🖬⍉⬈☹⬊ ⌘◰🖮⍉➋➌⮜ ⮚🞕⮟⮠)).[1]

وليس للإنسان العربي الذي انشأ الدولة العربية الإسلامية وضحى في سبيلها فضل على غيره إلا بقدر ما يقدمه وما يؤديه من عمل صالح وخير للآخرين، فالمؤمنون إخوة ، إذ ساوى الإسلام بين الناس ، وكان القرآن ابلغ كتاب للعرب ولولاه لما كان أدب ولا شريعة .[2]

رابعاً : كفالة الحريات العامة

لقد ضمنت الحضارة العربية الإسلامية الحريات العامة للناس أجمعين ، فحرية المسكن مصونة ، وحرية العقيدة مكفولة بقولـــــــــه عـــز

وجل ((✋♦ ❍♏︎❒⬥⬧❍◆❑ ❼♋× ✂︎✌♏︎♏︎♏︎♏︎♍♏︎⇦×✍︎))[3] ، وكذلك حريـــــــة الرأي وكفالــــــة الجيوش الإسلامية حرية أبناء البلاد المفتوحة وألا يتعرّضوا لأموالهم وأعراضهم وأرواحهم لان الإسلام دين الرحمة والمحبة والسلام .[4]

1- سورة الحجرات : الاية 13.

2- علي ، محمد كرد، الاسلام والحضارة العربية ، دمشق 1961، ج1، ص67.

3- سورة البقرة : الاية 256.

4- معروف ، اصالة الحضارة العربية ، ص212.

وقد تمتع أهل الذمّة بالحرية ومنها الدينية وسادت روح التسامح في المعاملة في المجتمع الإسلامي وكفلت الدولة الحماية لهم مما يؤكد احترام الحضارة العربية الإسلامية للقيم والمبادئ الإنسانية[1].

خامساً : الدعوة العالمية

كانت الدعوة الإسلامية عالمية فلم تستهدف العرب وحـــدهم بل جاءت للإنسانية كلها [2] ، قال سبحانه وتعالى : ((❒◆✌︎♦♏︎✍︎ ⬀❒♏︎❒✡︎◆♋♏︎♎︎ ☪︎❒✌︎▫︎✍︎♏︎•🗎 •♦♋♓︎ ⌧⌨︎◷❒✡︎▫︎◆⌧♏︎⬀❻❒📖 ◆❸♦✡︎⇩🗏❒📖 ⭘♊︎⬀🗏◷♦♒︎♎︎◆❒ ✂︎🕉❷❸✍︎⓿♦☼◆❒ ✂︎☪︎❸❷♏︎⌖❒🗀 ⬀❒♏︎❒☪︎♒︎♎︎♏︎✂︎ •♦ ❸♦➔⇧🖫■☺←❑♍︎♐︎ ✍︎♏︎⌘⬅︎))[3] ، وقد شملت الفتوحات الإسلامية مناطق واسعة من العالم القديم وجمع الإسلام الناس تحت لوائه وبشر بالإخوة الإنسانية والتسامح والمساواة فاستظل العالم برايته في ظل دولة متمدنة .[4]

أنّ الإسلام دين هداية للعالمين قال تعالى : ((❍♋♌︎⬀ ⚖︎➔❑◆ ❍♋♦• ❶♏︎❒⬂❷⌦ ♒︎♏︎◆➔⌧◷♓︎♦⬧✓×◆ ✍︎♏︎⬅︎ ❒◆♒︎♦⬀➔⬀🖫■☺←♊︎⭘ ☼◆⌨︎◆🕯︎❒■←⏀ 🖃◆➔⬀⑨⌧ ⭘♏︎✓▫︎◎ ✍︎♏︎♏︎⬅︎))[5] ، إنّ مناطق ازدهار الحضارة الإسلامية في بلاد الشام والعراق والشمال الإفريقي والأندلس شواهد تاريخية ، لان أبناء هذه البلدان كانوا حملة لواء هذه الحضارة بعد أن هداهم الله الى الدخول في الإسلام.[6]

1- معروف، اصالة الحضارة العربية ، ص213.

2- م.ن ، ص215.

3- سورة سبا : الاية 28.

4- حسن ، تاريخ الاسلام ، ص169.
5- سورة ص: الايات 87-88
6- ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت380هـ) الفهرست ، بيروت 1978، ص540.

المبحث الثاني
انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى الأندلس

كان للفاتحين العرب المسلمين أثراً بارزاً في تنظيم شؤون الحكم والإدارة في بلاد الأندلس وتقسيمها الى ولايات كبيرة على رأس كل ولاية حاكم ، وقد ساد العدل والتسامح والمساواة في المجتمع وقد كان فتح العرب المسلمين للأندلس حدثاً حضارياً وانجازاً حققه العرب وقيام حياة جديدة في هذه البلاد ، ورغم انشغالهم خلال عصر الولاة بالمشاكل الداخلية والحروب ، إلا أنهم عملوا على نقل الحضارة والمدنية بكل جوانبها الى هذه البلاد وحاولوا أن يجعلوا من قرطبة التي أصبحت حاضرة الدولة تماثل حواضر العرب في المشرق بمعالمها الحضارية[1] ، واستمرت الجهود في ذلك بعد الاستقرار في عهدي الإمارة والخلافة ، وقد ساعدت طبيعة الأندلس وكثرة خيراتها الزراعية والمعدنية ونشاط تجارتها على تطور الحضارة الأندلسية ، وكان التجار ينقلون معالم الحضارة من المشرق الإسلامي الى الأندلس ، كما كان للعلماء والرحالة والترجمة الأثر الواضح في نقل العلوم والآداب الى الأندلس .[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ص25 ؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص140.

2- ابن عبد الحكم المصري، فتوح افريقية والاندلس، ص93 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج4، ص214.

وكان لجهود الولاة في الأندلس الأثر الكبير في تنظيم شؤونها وإدارتها، حيث اهتم عبد العزيز بن موسى بن نصير والذي أصبح والياً على الأندلس سنة (95هـ) بعد رحيل موسى بن نصير الى المشرق عند دعوة الخليفة الوليد بن عبد الملك له، في تنظيم الحكومة وإدارتها مما أدى الى الاستقرار التي شهدته الأندلس في ظل الحكم العربي الإسلامي الجديد [1].

وفي عهد الإمارة تمكن عبد الرحمن الداخل من تثبيت أركان الدولة وقواعدها[2] ، ووضع كثيراً من الأسس السليمة لمؤسسات الحكم والإدارة ، متأثراً بما كان عليه حال الدولة الأموية في بلاد الشام [3] ، وقد استحدثت وظائف إدارية كالحجابة التي كانت حلقة الوصل بين الأمير ووزرائه ، وكانت وظيفة الحاجب بمثابة وظيفة رئيس الوزراء[4] ، كما ادخل وظيفة الوزارة الى الوظائف الإدارية في الأندلس فجعلها في المقربين اليه والمخلصين له .[5]

1- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص114 ؛ السامرائي ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص40.

2- العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص152.

3- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص156.

4- ابن خلدون ، المقدمة ، ص208.

5- المقري ، المصدر السابق، ص102.

واهتم بوظيفة الكاتب والتي تلي الوزارة وعين لها من اتصف بالبلاغة والفصاحة والأدب[1] ، نظراً لان المجتمع في الأندلس كان مزيجاً من التجمعات السكانية والأصول العرقية واللغوية والدينية ، كما أصبح للقضاء في الأندلس مكانة بارزة ومتميزة وقد اسند أمر القضاء الى قاضي سمي (قاضي الجماعة) ومقره قرطبة ، وعين قاضٍ خاص للجند يصاحبهم عند الحرب يسمى (قاضي الجند)[2] ، وقد كان لبلاد الشام والحجاز والعراق وغيرها من بلاد العرب أثراً كبيراً في حضارة بلاد الأندلس ، وفي عهد عبد الرحمن الثاني دخلت الأندلس نفائس الأشياء من بغداد وغيرها وعندما قتل محمد الأمين ونهب ملكه نقل الى الأندلس كل نفيس غريب وجوهر نفيس من متاعه [3] .

وبقدوم زرياب دخلت الأندلس الموسيقى والأغاني المشرقية ، كما دخلتها الكثير من معالم الحضارة وتقاليدها وقواعدها ، وبلغت قرطبة أوج توسعها وازدهارها في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم وعرفت بكثرة علمائها ومكتباتها ورغبة أهلها في العلوم واقتناء الكتب.[4]

1- المقري ، نفح الطيب، ج1، ص103.

2- م.ن ، ج1، ص103.

3- ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى (ت685هـ) المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة1964م ، ج1، ص46.

4- عاشور ، تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص427.

وامتدت المعالم الحضارية الى جميع أنحاء الأندلس واتسعت أكثر المدن بقدوم المهاجرين من المشرق العربي الإسلامي مما أدى الى الانتعاش الاقتصادي ، وأصبحت قرطبة مكان جذب للسكان لأنها مقر الحكم في البلاد وجلب المهاجرون الى الأندلس انواعاً

من المزروعات والفواكة ، وأصبحت الأندلس كثيرة المباني ومناطقها عامرة ومزدحمة بالسكان تتخللها قرى كثيرة دورها بيضاء من الخارج[1] ، وتميزت بلاد الأندلس بسعة الإنتاج ورخص أسعار المنتوجات المحلية بأنواعها[2] ، وكان الكسب من الزراعة يجذب العلماء والأتقياء ولذلك يلاحظ المحدثين والفقهاء في تلك الفترة يؤثرون حياة القرية ، وإذا احتاج الخلفاء الى رجل في بعض المناصب من أهل العلم أرسلوا في طلبه[3] ، فعندما أرسل هشام بن عبد الرحمن في طلب مصعب بن عمران احد الفقهاء ليوليه القضاء وجده الرسول في ضيعته يساعد زوجته في عمل الوشائع وهي تنسج[4] ، وكان طلاب الحديث يسافرون اليه للحصول الى الحديث منه .[5]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص97.

2- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص108.

3- الخشني ، قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، ص39.

4- م.ن ، ص43.

5- ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك (ت578هـ) ، الصلة ، نشر عمران العطار ، القاهرة1955، ص33.

وتميزت الحياة الاجتماعية في بلاد الأندلس بعد المساواة التي اوجدها العرب المسلمين ، بالفهم الصحيح للمسؤولية الاقتصادية وتقدير الكسب والتدبير ، حيث كان القادر على الكسب يتجه الى حرفة معينة تكفيه وتعينه على الحياة ، ولذلك سادت روح التعاون وهذه الروح التي دعا اليها ابن الكتاني أستاذ ابن حزم قائلاً : "إنّ من العجب من يبقى في هذا العالم دون معاونة لنوعه على مصلحة ، أما يرى الحراث يحرث له ، والطحان يطحن

له ، والنساج ينسج له ، والخياط يخيط له ، والجزار يجزر له ، والبناء يبني له ، وسائر الناس كل متوَّل شغلاً له فيه مصلحة وبه إليه ضرورة"[1].

ويعلق ابن حزم على هذا قائلاً "ولقد صدق ولعمري ان في كلامه من الحكم لما يستنير الهمم الساكنة الى ماهيئت له ، وأي كلام في نوع هذا أحسن من كلامه في تعاون الناس[2] .

أنّ ما تقدم يؤكد على أهمية تعاون المجتمع إزاء الحياة ومظاهر النمو الحضاري .

1- ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ)، رسائل ابن حزم ، تحقيق احسان عباس، القاهرة1954، ص83.

2- م.ن ، ص83.

المبحث الثالث

العلاقة بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين

كان هدف العرب الفاتحين هو العدل والتسامح والمساواة ، فلم ير الإسلام بأساً من أن يعيش المسيحيون واليهود جنب الى جنب مع المسلمين في مجتمع واحد وتكون المساواة بينهم هي أصل العلاقة في الحقوق والواجبات ، ولا ضرر من أن تقوم الكنائس والأديرة الى جانب المساجد ، وقد اهتم الفاتحون العرب المسلمون بتنظيم شؤون الحكم والإدارة [1] ، وتم تقسيم الأندلس الى عدة ولايات كبيرة على رأس كل ولاية حاكم محلي يعينه الأمير في الأندلس ، وفي هذه الولايات والقواعد الجديدة تفرقت

القبائل العربية الإسلامية فنزلت قبائل دمشق بقرطبة والبيرة ، وقبائل حمص باشبيلية ولبلة وجيان ، وقبائل فلسطين سكنوا في شذونه والجزيرة الخضراء ، وقبائل الاردن قطنوا برية ومالقة ، وقبائل اليمن بطليطلة ، وقبائل المغرب العربي بالجزيرة الخضراء ، أمّا العراقيون فقد نزلوا بغرناطة ، والمصريون بتدمير وماردة وباجة ، والحجازيون استقروا بالقواعد الداخلية .[2]

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج4، ص630.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص19.

إنّ هذه الجماعات السكانية تمثل العرب المسلمين الذين دخلوا الأندلس في اوقات لاحقة من تاريخ الفتح العربي الإسلامي ، لان الفاتحين الأوائل الذين رافقوا حملة طارق بن زياد وموسى بن نصير استقروا على امتداد الطريق الذي سلكها القائدين العربيين ، وقد كان لجهود العرب المسلمين الأثر الواضح في حصول الاستقرار في الأندلس [1] ، حيث بذل عبد العزيز بن موسى بن نصير جهوداً كبيرة من اجل ذلك بعد أن خلفه والده على الأندلس بعد رحيله الى المشرق ، فقد اهتم بتحصين الثغور وقمع العصيان وعمل على تنظيم شؤون البلاد وإدارتها ، وانشأ ديواناً لتطبيق الأحكام الشرعية لتجمع حولها كلمة المسلمين من مختلف القبائل ، وكذلك على الزواج بين العرب وأهل البلاد معبراً عن الاستقرار في بلاد الأندلس تحت ظل الحكم العربي الإسلامي .[2]

1- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص17 ؛ حسن ، تاريخ الاسلام ، ج3، ص427.

2- مؤنس ، فجر الاندلس ، ص114 ؛ العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص282.

لقد كان المجتمع الأندلسي يتكون من الفاتحين وأهل البلاد الأصليين وكل منهما يتكون من أصول مختلفة واديان متباينة وهم :-

أولاً : العرب

وهم أقوام نزحت من شبه الجزيرة العربية على شكل دفعات في أثناء الفتوحات العربية الإسلامية ، وبعد أن أسس الأمير عبد الرحمن الداخل دولته في بلاد الأندلس ، كان محتاجاً الى من يدعمه ويثبت دعائم ملكه ، فاستقدم أقرباءه الذين وجدوا فيه ملجأ أميناً لهم من مطاردة العباسيين ، كما إنّ قسماً منهم توافدوا على الأندلس بعد أن علموا بانتصاراته [1] ، ولم يلبث هؤلاء أن يكونوا في المجتمع الأندلسي طبقة خاصة تحيط بالأمير ولها حق الأولوية والتقدم في الاحتفالات الرسمية ، كما كانت تتمتع بالامتيازات كالإعفاء من الضرائب والمرتبات العالية ، والى جانب الأمويين برزت جماعة أخرى تعرف بموالي الأمويين وقد خصهم بالعطاءات والوظائف [2].

ثانياً : البربر

لقد وصلت الى الأندلس أعداد كبيرة من البربر في حملة طارق بن زياد وسكنوا عدة مناطق وكان وجودهم عاملاً مشجعاً للآخرين من افريقيـــة

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج4، ص629.

2- م.ن ، ص630.

على العبور الى الأندلس ، وكانت سياسة الدولة الأموية في الأندلس تهدف الى الحد من الفوارق ، فبرز من بين البربر أناس كانت لهم مراكز مهمة في الحكم .[1]

ثالثاً : المولدون :

وهم الذين دخلوا الإسلام من سكان البلاد الأصليين ، ويطلق عليهم المسالمة ، كما اندمج الكثير من أهل البلاد بالفاتحين .[2]

رابعاً : المستعربون :

ويطلق هذا الاسم على المسيحيين واليهود الذين لم يسلموا ، وقد كان المسيحيون يتمركزون في المدن المهمة كطليطلة واشبيلية وقرطبة وماردة ، وتعد طليطلة مركزهم الرئيسي وفيها مطران الكنيسة ، وكان تعيينه وتعيين أساقفة المراكز الأخرى يخضع لمصادقة أمير البلاد او خليفتها ، وكان لهم قضاتهم ، وحفظ لهم العرب كنائسهم .

أما اليهود فنظراً لما لاقوه من اضطهاد على يد القوط فقد وقفوا الى جانب العرب مؤيدين لهم ، فاستخدمهم العرب في حاميات المدن التي فتحوها، وبالرغم من انتشارهم في معظم المدن الأندلسية ، إلا أنّ مركزهم كان في غرناطة وكورة البيرة ، وعلى العموم فقد كان التسامح مع أهل الذمة هو الطابع العام للسياسة في الأندلس ، إلا حين موالاتهم للعناصر المعادية للحكم العربي.[3]

1- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج4، ص630.
2- م.ن ، ج4 ، ص630.
3- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص38 ؛ حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص613.

إنّ كثرة المسيحيين في الأندلس كان لا يضايق المسلمين في شيء لان الإنسان يفتح البلاد ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفتح القلوب[1] بقوله عز وجل : (([illegible]))[2] ، فالنصر هو الفتح العسكري ، ولكن الفتح هو فتح القلوب ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يدخل الناس في الدين .

وعلى الرغم من بعد الأندلس عن البلاد العربية الإسلامية إلا أنّ الهجرة الى بلاد الأندلس كانت مستمرة [3] ، وقد نقل المهاجرون معالم الحضارة العربية الإسلامية الى الأندلس ، وشجعوا أهل البلاد على العلوم والآداب والفنون والاهتمام بالعلم والعلماء .[4]

1- مؤنس ، حسين ، موسوعة تاريخ الاندلس (تاريخ وفكر وحضارة وتراث) ، المكتبة الاندلسية ، ط2، ج2، القاهرة 2006 ، ص235.

2- سورة النصر : الايات 1-3.

3- مؤنس ، المرجع السابق ، ص236.

4- ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ص286.

المبحث الرابع

التأثيرات العربية الإسلامية في حياة السكان الأصليين

أولاً : الميدان الأدبي

بعد أن استقرَّ العرب المسلمون في بلاد الأندلس ركزوا على تنظيم شؤونها الإدارية والاجتماعية والعمرانية ، حيث عملوا على تقسيم البلاد الى ولايات يتولى كل منها عامل يقيم في قاعدتها ، وكان للعرب المسلمين تأثيرات كبيرة على الشعوب في اللغة والدين والعلوم والأدب وفي جميع مجالات الحياة ، إذ تشكل اللغة العربية ركناً

أساسياً في المجتمع بوصفها أداة التعبير عن الحضارة العربية الإسلامية بعلومها وفكرها [1] ، فهي تتصف بالمرونة والقدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها والبلاغة وسحر البيان لأنها لغة القران الكريم وقد عبّرت عن أعظم حضارة عرفها العالم في العصور الوسطى [2] ، وكان العامل الأساسي في انتشار اللغة العربية يرتبط بالإسلام لان سكان البلاد المفتوحة تطلب منهم معرفة أحكام الدين الإسلامي وتلاوة القران الكريم وسيرة الرسول محمد (ص).

1- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2، ص443.
2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص54.
3- ابن خلدون ، المقدمة ، ص546.

وكان مسلمو الأندلس يكتبون باللغة العربية ويتكلمون العربية والأندلسية والتي كانت متأثرة بشكل واضح بالعربية ، وهذا في ذاته نصر عظيم للعرب المسلمين ، وعاش سكان الأندلس من مسلمين ومسيحيين وغيرهم ثمانية قرون وهو فخر لهم وكانت أوربا تنظر الى قرطبة في أيام العرب المسلمين نظرة متميزة لان العرب المسلمين نقلوا الى بلاد الأندلس حضارتهم بعد فتحهم لها والاستقرار فيها .[1]

إنّ اللغة عموماً هي أداة الاتصال بين البشر وهي وسيلة من وسائل الحضارة وقد ارتبطت بالأدب[2] ، وقد تلقت أوربا آثار الثقافة العربية الإسلامية من مراكز متعددة كان أبرزها طريق الأندلس [3] .

وبلغ علماء المسلمين دوراً متميزاً في علوم اللغة والنحو حيث ألف أبو علي القالي (901-967م) معجماً واسعاً في اللغة[4] ، وهو الذي نشر علوم اللغة وآدابها في الأندلس ،

وكان احد كبار المدرسين بجامعة قرطبة وقد تعلم في بغداد ومن مؤلفاته كتاب (البارع في اللغة) و (الامالي).[5]

1- مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس ، ج2، ص232.

2- وات ، مونتكمري، تاثير الاسلام على اروبا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبود، جامعة الموصل 1982، ص16.

3- فهد ، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، ص220.

4- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ص495.

5- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج3، ص355.

وكان ابرز المؤلفين في الأدب ابن عبد ربه (860-940م)[1] وشهرته تستند الى مصنفه (العقد الفريد)[2]، وتميز علي بن حزم الأندلسي بكثرة التأليف في التاريخ والعلوم الدينية والحديث والمنطق والشعر وغيرها [3] ، وقد كانت المفردات العربية التي أضافتها بلاد الأندلس الى لغتها كثيرة وتمثلت في نواحي الحياة المختلفة[4]، وأكدت أعمال ابرز الشعراء في الأندلس خلال القرن الرابع عشر الميلادي على الصلة بينهم وبين الثقافة العربية الإسلامية ومنهم سرفانتس الذي ألف كتابه (دون كيشوت) بأسلوب يتضح لمن يقراه في اطلاع كاتبه على اللغة العربية والأمثال التي لا تزال شائعة بين العرب[5]، وكان لشعراء أوربا صلة بالثقافة العربية الإسلامية حيث لوحظ الشبه بين أوصاف الجنة عند محي الدين بن عربي وأوصاف دانتي لها في القصة الإلهية[6]، وكان دانتي يعرف الكثير عن سيرة الرسول محمد(ص) والإسراء والمعراج ، ولعله اطلع على رسالة الغفران لأبي العلاء المعري واقتبس من هذه المراجع رحلته الى العالم الآخر .[7]

1- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1، ص56.

2- ابن عبد ربه ، احمد بن محمد القرطبي(ت328هـ) العقد الفريد ، بيروت1986، ص221.

3- ابن خلكان ، المصدر السابق، ج2، ص22.

4- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص69.

5- فهد ، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، ص222.

6- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص569.

7- R,Weiss, The spread of Italian Humanis (London 1964) p.45

وان نتاجات عربية إسلامية من بينها رسالة الغفران قد كوّنت أسس (الكوميديا الإلهية)[1] ، وكتب بوكاشيو سنة (1349م) حكاياته الصباحات العشرة واستخدم أسلوب ألف ليلة وليلة ، وقد انتشرت في أوربا ، واقتبس منها الأديب الانكليزي شكسبير مسرحيته (العبرة بالخواتيم) ، كذلك الأديب الألماني ليسنغ مسرحيته (ناثان الحكيم)[2] .

كما تأثرت القصة في بلاد الأندلس وأوربا بما كان عند العرب من فنون القصص في العصور الوسطى وهي المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان في سبيل المجد والغرام [3] .

ويرى النقاد الأوربيون ان رحلة روبنسون كروز التي ألفها ديفوي كانت متأثرة بقصص ألف ليلة وليلة ورسالة حي بن يقظان[4]، وأكد لافونين الأديب الفرنسي على اقتدائه في أساطيره على كتاب كليلة ودمنة الذي عرفه الأوربيون عن طريق العرب المسلمين الذين كان لهم الفضل في وصول الورق والطباعة الى بلاد الأندلس ، واقترن ذلك بنقل التصانيف الأخرى والتي أصبحت حركة مألوفة في الأدب .[5]

1- عبد الرحمن ،عائشة ، رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، تونس، ص13.

2- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص63.

3- فهد ، تاريخ العلوم العربية ، ص221.

4- العقاد ، المرجع السابق ، ص67 ؛ ينظر مدني صالح ، ابن طفيل وقصة حي بن يقظان ، بغداد1989 ، ص

5- العقاد ، المرجع السابق ، ص67.

ومن خلال ما تقدم يتضح انه كان للأدب العربي الإسلامي اثر في آداب بلاد الأندلس والأوربيين ، حيث لم تخلُ نتاجات أشهر الأدباء من بطل أو نادرة إسلامية [1] ، وان أوربا لم تكن تعرف الفروسية ولا آدابها قبل وفود العرب المسلمين الى الأندلس ولا ذلك الغرام على نمط العذريين[2] ، ولم تنقطع الصلة بين الأدب العربي الإسلامي وبين الآداب الأوربية [3].

ثانياً : الفلسفة العربية الإسلامية

إنّ الفلسفة هي علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح [4] ، ولقد أنتج العرب المسلمون فكراً فلسفياً خاصاً بهم ، وأضافوا الى الفكر الإنساني إضافات أصيلة[5]، وقد بحثوا في موضوعات الفلسفة المختلفة فكتبوا في المعرفة والأخلاق والطبيعة ، ولم يظهر إبداعهم بالنتائج التي توصلوا إليها فحسب، وإنما في أسلوب عرضها والمجادلة فيها[6] ، وكانت فلسفتهم تتماشى مع عقيدتهم الإسلامية وأحوالهم الاجتماعية.[7]

1- صالح ، محمد محمد ، تاريخ اوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ، بغداد1981،ص101.

2- اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الاوربية ، بيروت1967م ، ص132.

3- حتي، تاريخ العرب (مطول) ، ج2، ص661.

4- فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، ص117.

5- زيدان ، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، القاهرة1958م ، ج3، ص197.

6- الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص282.

7- معروف ،ناجي، المدخل في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، بغداد، 1984م ، ص144؛ ينظر: النشار ، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ،ج1، مصر1977، ص102

وعرف الأوربيون لأول مرة كثيراً من التراث اليوناني القديم الذي ترجمه المسلمون الى العربية [1] ، فاخذ الأوربيون بترجمته من العربية الى اللاتينية ، ووجدوا هذا التراث مزوداً بشروح وإضافات دقيقة مما جعله موضع اهتمامهم منذ أواخر العصور الوسطى.[2]

وارتقت الفلسفة بفضل جهود الفلاسفة المسلمين الذين كانوا مشاهير في العصور الوسطى ، تمثلت فيهم القدرة على الصبر والاستقصاء في الشرح والتفصيل الذي كان أساساً للثقافة الأوربية.[3]

ومن الفلاسفة العرب المسلمين والذين كان لهم أثراً بارزاً في الحضارة الإنسانية هم الكندي وأشهر مؤلفاته (رسائل الكندي الفلسفية)[4] ، وقد تأثر روجر بيكون[5] ، بترجمة لاتينية لكتاب الكندي عنوانها (De aspeclibus) ، والفارابي الذي أطلق عليه المعلم الثاني لأنه جمع الفلسفة اليونانية ورتبها وشرحها ، حيث سمي أرسطو المعلم الأول لأنه جمع ما تفرق من مباحث المنطق ومسائله وهذبها .[6]

1- زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي، ج3 ، ص197.
2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص97.
3- زيدان، المرجع السابق، ص196.
4- عاشور ، المرجع السابق، ص97.
5- روجر بيكون ، هو من ابرز العلماء الانكليز في القرن الثالث عشر وتولى التدريس في جامعة باريس، اليوسف، العصور الوسطى الاوربية ، ص217.
6- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص453.

من أشهر مؤلفاته (آراء أهل المدينة الفاضلة) و (إحصاء العلوم)[1] ، ويعتبر أول فيلسوف في الإسلام نظر الى الفلسفة نظرة شاملة ومن آثاره في أوربا شروحه كتب أرسطو [2] ، ومن الفلاسفة العرب المسلمين ايضاً ابن سينا ، وقد اشتهر في الطب والفلسفة وألف

كتباً عديدة منها (القانون في الطب) وكتاب (الإشارات والتنبيهات)[3] ، وترجمت كتبه الطبية والفلسفية الى اللاتينية فكانت احد ينابيع المعرفة في أوربا[4] .

ومن الفلاسفة البارزين الغزالي ومن مؤلفاته (تهافت الفلاسفة) ، وابن رشد ، وقد أعجب الأوربيون إعجاباً شديداً بشروح ابن رشد[5] ، ومن الفلاسفة ابن باجه الذي اتصف عصره (القرن الثاني عشر الميلادي) بالتبادل الفكري وانتقال العلماء والكتب بين المشرق والمغرب الإسلاميين[6] ، ومعظم كتاباته قد فقدت مثل كتاب (السماع الطبيعي) وكتاب (النفس)[7] .

كما اشتهر الفيلسوف ابن طفيل والذي كتب بالطب والفلسفة والفلك، وجمعت رسالته (حي بن يقظان) من سمو الأدب وعمق الفلسفة .[8]

1- محفوظ، حسين علي ، الفارابي في المراجع العربية ، ج1 ، بغداد1975 ، ص367 ؛ العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص91.
2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص97.
3- م.ن ، ص97.
4- م.ن ، ص98.
5- م.ن ، ص100.
6- م. ن ،/ ص98.
7- العقاد ، المرجع السابق ، ص93.
8- م.ن ، ص93.

ثالثاً : العلوم الإنسانية

احتلت العلوم الاجتماعية او الإنسانية ركناً أساسياً في النشاط الفكري والعلمي الذي تميزت به الحضارة العربية الإسلامية وفي مقدمة هذه العلوم يأتي علم التاريخ والجغرافية[1] ، ومع ظهور الإسلام بدأت النهضة الحضارية والتي كان للنشاط التاريخي

دور واضح فيها ، حيث اهتم المسلمون برواية أخبار الأمم السابقة إضافة الى الأحداث الي شهدها عهد الرسول محمد (ص) والخلفاء .[2]

وان العرب أول من كتب في فلسفة التاريخ والبحث في أسباب الحوادث ونتائجها قبل الأوربيين بقرون عديدة ، وتعتبر مقدمة ابن خلدون بداية السير في هذا السبيل ، فقد اعتبر ابن خلدون التاريخ علماً جديداً لا رواية وإخباراً ، وانه استعمل التحقيق والبحث العلمي وتحليل الأسباب في أية حادثة تاريخية .[3]

وبلغ فن التأليف التاريخي العربي الإسلامي أعلى درجاته في مؤلفات الطبري والمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وغيرهم .[4]

1- مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون، ط1 ، ج1 ، بيروت1978م ، ص7.

2- ابن خلدون ، المقدمة ، ص9.

3- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص132.

4- ابن النديم ، الفهرست ، ص79.

وللمؤرخين العرب المسلمين الأثر الكبير في بلاد الأندلس وأوربا ، حيث ترجمت مؤلفات الطبري وغيره من المؤرخين الى لغات أوربا [1] ، وقد ذكر العالم الأمريكي سارتون في عرضه لتاريخ العلوم مآثر العرب المسلمين في ميدان العلوم المتنوعة حيث أوضح "أنّ الجانب الأكبر في مهام الفكر الإنساني حمل أعباءه المسلمون فالفارابي أعظم الفلاسفة والطبري والمسعودي أشهر المؤرخين" .[2]

وكان للعرب المسلمين اهتمام بالجغرافية منذ العصور القديمة ، لان حياة التنقل والتجارة أدى الى حاجتهم لمعرفة الأماكن والطرق ، ومنذ القرن الأول للهجرة اتسعت معرفة العرب المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها [3] ، وقد خلف الجغرافيون ثروة كبيرة هي خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم عن المناطق التي زاروها [4] ، وأكد المؤرخون إنّ أوربا لم تطلع على جغرافية

بطليموس قبل انتقالها إليها عن طريق العرب المسلمين وإنها وصلت منقحة بعد أن أضاف إليها الجغرافيون المسلمون الكثير ، ولاسيما البيروني الذي كانت آرائه شائعة بين الأوربيين .[5]

1- مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخين ، ج1 ، ص362.
2- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2، ص478.
3- فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص191 .
4- حسن ، تاريخ الاسلام ، ج2 ، ص350.
5- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص45.

وبرز الإدريسي من خلال كتابه (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق) وقد بلغ إعجاب الأوربيين به وترجموه الى اللاتينية [1] ، وقد رسم الإدريسي معالم الأرض على كرة كبيرة من الفضة صنعها له روجر الثاني ملك صقلية ، ولذا فان علماء المسلمين هم أول من وضع أصول الرسم على جسم كروي مما كان له أثره جغرافياً في تحديد معالم الكرة الأرضية تحديداً واقعياً[2] ، ونتيجة للخرائط المرسومة والآراء التي نقلت عن العرب تلقى كولمبس صورة الكرة الأرضية من المصادر العربية وهو فضل يحسب لهم في كشف العالم الجديد [3] ، وقد ذكر ابن رسته : "ان الله عز وجل وضع الفلك مستديراً كاستدارة الكرة أجوف دواراً والأرض مستديرة أيضاً كالكرة مصمته في جوف الفلك" وأوضح ذلك بالبراهين قائلاً : " والدليل على ذلك إنّ الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد"[4] .

وقد جمع بعض المستشرقين جانباً من المؤلفات التي وضعها علماء المسلمين ورحلاتهم في الجغرافية وأطلقوا على تلك المجموعة (المكتبة الجغرافية العربية).[5]

1- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص674.

2- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص46.

3- م.ن ، ص48.

4- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص79.

5- م.ن ، ص79.

رابعا : العلوم الصرفة :

اهتم علماء العرب المسلمين بالرياضيات لدورها في كافة العلوم وكان لها الأثر البارز حيث مكنت العالم من التقدم في شتى جوانب المعرفة ، إذ أشار اليعقوبي الى رمز حسابي جديد هو الصفر الذي يعد من أهم المبادئ التي اهتدى إليها العقل البشري في الرياضيات ، وعرفت بلاد الأندلس وعن طريقها أوربا الصفر من المسلمين في القرن الثاني عشر الميلادي [1] ، وان فكرة الصفر تعتبر من أهم المآثر العلمية التي قدمها المسلمون الى العالم وقد استخدم العرب الصفر للدلالة على (لاشيء) ، يضاف الى ذلك أنّ علماء المسلمين عرفوا الكسر العشري وتحديد النسبة بين محيط الدائرة وقطرها وقسموا الأعداد الى زوجية وفردية وتوسعوا في بحوث النسبة والتناسب[2] .

وان محمد بن موسى الخوارزمي(ت846هـ) هو أشهر علماء الرياضيات وكان تأثيره كبيراً في الأندلس ثم الى أوربا في العصور الوسطى.[3]

1- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ص102؛ حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص462.
2- فهد ، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، ص143.
3- م.ن ، ص144.

ومازال الجبر وهو علم عربي في منشئه يحتفظ باسمه العربي في لغات العالم (Algebre) ويعتبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي مصدراً في أسس هذا العلم ونشأته [1] ، حيث ان علماء المسلمين اكتشفوا الأصول الأولى لهذا العلم وربطوا بين أطرافها ليكونوا منها علماً متكاملاً له قواعده ونظرياته وأصوله .

وظلَّ يدرس في المدارس والجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر الميلادي ، أما في الهندسة والمثلثات فكان علماء العرب المسلمين هم أول من ادخل المماس في حساب المثلثات ووضع النسبة المثلثية (الظل) وجداول (الجيب)[2] ، وكتبوا مؤلفات كثيرة وبحوث متعددة في المساحات والحجوم [3] ، وقد قطع المسلمون شوطاً بعيداً في الرياضيات حيث اتسمت مؤلفاتهم باتساع المعرفة ودقة البحث [4] ، وتركت آثارها وأسهمت بنصيب وافر في ميادين العلم .[5]

1- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص147.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص109.

3- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص58.

4- صالح ، تاريخ اوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ، ص73.

5- فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص411.

كما اهتم العرب المسلمين بالفلك وحركات الكواكب كظاهرة علمية لها فوائدها في تحديد المواقع على الأرض ومعرفة القبلة وحساب الأشهر والسنين ومواقيت الصلاة والصوم والحج[1] ، وان آيات قرآنية عديدة تحث على النظر الى السماء وما فيها من أجرام وأسرار،قال سبحانه وتعالى :

(([...]))[2] ، وقـــد فتـــح علماء المسلمين أبواباً جديدة فوسعوا المراصد الفلكية وطوروها ونشروها في مختلف البلدان الإسلامية حيث ساهمت في الانجازات العلمية وتأثرت بها بلاد الأندلس والعالم .[4]

وحقق العرب المسلمون انجازات كثيرة منها القول بكروية الأرض وقياس محيطها وحركة الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم ، وقد اجمع العلماء المسلمين إنّ الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على شكل الكرة .[5]

1- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص110.

2- سورة يس ، الايات 38-40.

3- فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص407.

4- زيدان ، تاريخ التمدن ، ج3، ص212.

5- ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص12.

ومن علماء المسلمين في علم الفلك يونس المصري الذي قام في أواخر القرن العاشر للميلاد بأبحاث في كسوف الشمس وخسوف القمر وتعيين الاعتدال الشمسي وتحديد خطوط الطول ، والبيروني الذي كتب في القرن الحادي عشر للميلاد رسالتين في الفلك هما :
(إفراد المقال في أمر الظلال) و (تمهيد المستقر لمعنى الممر) [1] .
والبتاني وكتابه (الزيج الصابي) وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي ، كما طبع في أوربا عدة طبعات منذ القرن السادس عشر الميلادي [2] ، ومازال علم الفلك اليوم مليئاً بأسماء الكواكب والأبراج والمصطلحات ذات الأصل العربي ، مما يشهد اثر العرب المسلمين على بلاد الأندلس بعد فتحها ، ومن ثم انتقال هذه العلوم الى أوربا ، حيث كانت الأندلس طريقاً لذلك.[3]

وقد أنجز العرب المسلمون في ثلاثة او أربعة قرون من الاكتشافات يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيراً ، حيث سادت الحضارة العربية الإسلامية العالم في العصور الوسطى .[4]

1- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة ، ص150.
2- الزيج : وجمعه ازياج ، يمثل جداول فلكية ورياضية عددية تحدد مواضع الكواكب السيارة في افلاكها ، وقواعد معرفة الشهور والايام ، اشهرها زيج البتاني، وزيج الخوارزمي وغيرها ، عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص112.
3- فهد ، تاريخ الفكر والعلوم ، ص215 ؛ معروف ، المرجع السابق، ص149.
4- لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مصر 1964م ، ص529.

وفي مجال الطب فقد ألف العرب المسلمون كتباً عديدة وترجمت الى اللاتينية واعتمدها الأطباء في الأندلس وانتقلت الى أوربا[1] ، ومنها كتاب (القانون) لابن سينا في القرن الثاني عشر الميلادي ، وكتاب (الحاوي) للرازي (679هـ/1279م) وهو واسع وقد أكمله طلابه بعد وفاته [2] ، وكتاب (التعريف لمن عجز عن التصريف) لأبي القاسم خلف بن العباس [3] ، وهو المرجع في

الجراحة وتجبير العظام ، وقد أطلقت جامعة برنستون الأمريكية اسم الرازي على اكبر أجنحتها تخليداً له واعترافاً بفضله في العلوم والطب [4] ، ومازالت كلية الطب في جامعة باريس تحتفظ في كبرى قاعاتها بصورتين كبيرتين أحداهما للرازي والأخرى لابن سينا [5] .

وكانت بغداد والقاهرة ودمشق مراكز علمية يقصدها طلاب المعرفة من كل مكان ، كما كانت قرطبة وطليطلة واشبيلية هدف الأوربيين يأتونها ليطلعوا على ما فيها من مآثر الحضارة العربية الإسلامية ونقل ما يمكن نقله الى بلادهم .[6]

1- الكروي ، المرجع في تاريخ الحضارة العربية ، ص295.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص122.

3- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص35.

4- Edward , G , Brown , Arabian medicine (cambridge1921)p.44

5- عاشور ، المرجع السابق ، ص123.

6- فهد ، تاريخ الفكر والعلوم العربية ، ص216.

وكان للعرب المسلمين مآثر في الكيمياء حيث ادخلوا فكرة التجربة العلمية وهي خطوة متقدمة في العلوم إذا ما قورنت بنظريات الإغريق[1] .

ومن ابرز علماء المسلمين في الكيمياء جابر بن حيان الكوفي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي وترك مصنفات كثيرة [2] ، وقد اعتمد في بحوثه على التجربة والمشاهدة مما جعل الأوربيون يشرعون في ترجمة مؤلفاته الى لغاتهم وظلوا يتداولونها الى أواخر القرن السابع عشر الميلادي[3] ، كما درس الرازي الكيمياء ومن ابرز كتبه هو (سر الأسرار)[4] الذي كان له أثر كبير في تطور علم الكيمياء طوال العصور الوسطى .

ويرجع الفضل الى علماء المسلمين في التوصل الى ما يعرف بالكيمياء الصناعية أي استخدام المواد الكيماوية في خدمة الصناعة ، حيث استخدموا خبرتهم في صباغة الأقمشة واستخدام المواد الكيماوية العازلة والمضادة للحريق [5] ، وتأثرت بلاد الأندلس وأوربا باكتشاف العرب المسلمين للبارود واستخدامه في أسلحة القتال.[6]

1- حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ص464.
2- ابن النديم ، الفهرست، ص354.
3- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص39.
4- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص118.
5- م.ن ، ص119.
6- العقاد ، المرجع السابق ، ص40.

وللعرب المسلمين تأثير كبير في بلاد الأندلس وأوربا في علم الفيزياء الذي يدرس الظواهر المرتبطة بطبيعة المواد والصوت والضوء والحركة وجعلوا منه علماً متكاملاً وعلى أسس علمية تجريبية[1] ، واخترعوا الآلات لقياس حرارة السوائل[2] ، وكتب علماء المسلمين في الضغط الجوي وكان كتاب (ميزان الحكمة) لابن الخازن من الكتب المتميزة في العلوم الطبيعية حيث توصل الى إنّ وزن الجسم في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي ولعله الوحيد الذي ظهر في العصور الوسطى [3] ، وتوصلوا بتجاربهم الى فكرة الجاذبية ، وألفوا كتباً في الضوء منها (اختلاف المناظر) و (اختلاف مناظر المرآة) لابن الكندي[4] ، كما بحثوا في الصوت وأوضحوا انه ينتشر على شكل موجات تتسع دائرتها وتضعف كلما ابتعدت عن مركز صدور الصوت ، وقد برع العرب المسلمون في هذه العلوم وأثرت في بلاد الأندلس ومنها انتقلت الى أوربا .[5]

1- الكروي ، المرجع في تاريخ الحضارة العربية ، ص305.

2- م.ن ، ص307.

3- م.ن ، ص308.

4- طوقان ، قدري حافظ ، العلوم عند العرب والمسلمين ، نابلس ، 1961م، ص35 ؛ حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص452.

5- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص143.

وأثرت مؤلفات ابن الهيثم في ميدان البصريات في أوربا ، وكان لكتابه المناظر (البصريات) قيمة كبيرة وقد أثنى عليه القفطي[1] ، وابن ابي اصيبعه[2] وغيرهم من المفكرين ، وقد سادت آراءه الفلكية والبصرية أوربا في العصور الوسطى[3] ، وقد نقلت مؤلفاته الى اللاتينية ، حيث نقل جيرارد الكريموني [4] كتاب (المناظر) ، وألف فيتلو[5] رسالة في الضوء اعتمد فيها على ابن الهيثم وأصبحت مشهورة معتمدة في أوربا حيث أنّ العرب المسلمين نهضوا في مجال الفيزياء، وبرعوا في البصريات ، وكتبوا في الضوء والمرايا كتابات قيمة ، ويؤكد ذلك مدى تقدم العرب المسلمين في هذا العلم الذي كانت له تأثيرات واضحة في الأندلس وأوربا .[6]

1- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، ليبزك ، 1903م ، ص165 .

2- ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت668هـ) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق ، نزار رضا ، بيروت1965م، ص90.

3- فروخ ، تاريخ العلوم ، ص404.

4- ولد عام 1114م في كريمونيا في مقاطعة لومبارديا (ايطاليا) درس اللغة العربية في طليطلة (الاندلس) ونقل كتباً كثيرة من اللغة العربية الى اللاتينية ، ويبدو انه نقل جميع كتاب المناظر لابن الهيثم الى اللاتينية ، وكانت وفاته في طليطلة عام (1187م) ، فروخ ، المرجع السابق، ص410.

5- ولد عام (1187)م في بولونية ، تلقى دروسه في باريس ، وهو عالم اشتهر بالبحث في علم الضوء (البصريات) والف فيه رسالة استمد مادتها من ابن الهيثم ، فروخ ، المرجع السابق، ص411.

6- الكروي، المرجع في تاريخ الحضارة العربية ، ص311.

ويتضح من ذلك براعة العرب المسلمين في الأدب والفلسفة والعلوم المختلفة ومن مآثرهم الحدائق التي لا تزال شهرتها في الأندلس الى اليوم [1] ، وقد اتسع نطاق التجارة بعد ازدهار الصناعة والزراعة ، كما تولت الدولة العربية الإسلامية تنظيم البريد ، أما النقود فقد اتبعت النماذج الشرقية كالدينار والدرهم ، واعتمدت المسكوكات العربية في ممالك النصارى في الشمال ، وظلت مدة طويلة لا تعرف من المسكوكات إلا العربية [2] ، وقد استمر الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ثمانية قرون (711-1492م) ، برع فيها العقل العربي في مختلف حقول المعرفة الإنسانية ، وقد انتشرت اللغة العربية انتشاراً كبيراً وازدهرت الحياة الفكرية ، لقد انتقلت علوم الشرق العربي وآدابه الى الأندلس فكان لها تأثيرها الواضح[3] ، وقد بذلت أوربا جهوداً كبيرة للحصول على ما يمكنها من الحضارة العربية الإسلامية عن طريق الأندلس.[4]

1- ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ،ج1، ص37.

2- م.ن ، ص38.

3- بالينثا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص330.

4- الدوميلي، العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ، بيروت 1962م ، ص453.

خامسا : الفنون العربية الإسلامية

انتشرت الفنون العربية الإسلامية في بلاد الأندلس واتضحت مظاهرها في العمارة (فن البناء) وتخطيط المدن وبناء المساجد ، والقصور ، والمدارس وإنشاء الجسور والقناطر وفي المستشفيات والحمامات وفي الأسوار والقلاع والحصون وغيرها [1] ، وقد تميزت هذه الفنون بتأثير الدين الإسلامي ورغبتهم في إظهار عظمة الإسلام وسلطة الدولة [2] ، حيث أوضح المستشرقون بان للعرب فناً يمتاز بتنوعه فاهتموا بدراسته [3] ، وقد ظهر اثر فن العمارة في المساجد وفي كثير من الكنائس والقصور وأصبحت المقرنصات العربية وهي الدلايات التي تشبه خلايا النحل والحجر الطبيعي الذي يتكون في الكهوف على هيئة أعمدة مدلاة غير منتظمة وهي تتدلى بعضها فوق بعض من السقوف او واجهات العمائر ، أصبحت طابعاً يميز العمارة العربية الإسلامية وتأثرت بها المباني في بلاد الأندلس وأوربا .[4]

1- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص450.

2- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص197.

3- Cres Well , K.A.C. Early Muslim Architectures (London 1968)p.24

4- معروف ، المرجع السابق ، ص195.

كما انتشرت الشرفات الزخرفية والتي تشبه أسنان المنشار وكذلك العقود ذات الأقواس المتعددة بفضل العرب المسلمين[1] ، وان اثر المآذن الإسلامية وهي اما حلزونية الشكل او مضلعة او مستديرة واضح في أبراج النواقيس في بلاد

الأندلس وأوربا، وقد أطلق على الزخرفة العربية الإسلامية (الارابسك) ويكون من الأوراق النباتية ، وأكثرها شيوعاً ورق العنب وسميَّ التوريق [2] ، وأضاف الفنانون العرب المسلمين عناصر هندسية كوحدات زخرفية من الخطوط المستقيمة والمتقاطعة والدائرية والمثلثة .[3]

ووجد البعض أنّ كلمة التوريق تقتصر على التعبير عن محتوى (الارابسك) فأصبحت تسميته (الرقش) وتعني (النقش) ثم استخدمت كلمة (التوشيح) وكان لها اثر في العصور الوسطى [4] .

واستخدم العرب الأعمدة المندمجة في أركان الدعائم ، وانتشرت الكتابات المحفورة في زخرفة المباني[5] ، والمغرب مدين للعرب المسلمين بطريقة الزخرفة النباتية والهندسية ، وشهد العلماء الأوربيون بذلك .[6]

1- اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية ، ص221.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص447.

3- معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ص195.

4- عاشور ، المرجع السابق ، ص449.

5- معروف، المرجع السابق ، ص197.

6- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص75.

ومارس العرب المسلمون في الأندلس معظم الفنون ، وامتازت مدرسة الفن بصناعة المعادن وما تشمله من فن الزخرفة وعمل النقوش البارزة[1] ، والترصيع بالذهب والفضة ونقش الحروف العربية [2] ، واشتهرت المدن الأندلسية في العصر العربي الإسلامي كطليطلة واشبيلية بصناعة الآلات المعدنية كالإسطرلاب لفائدته عند الملاحين فضلاً عن تعيين الصلاة وموقع الأماكن المقدسة [3] ، كما

انتشرت صناعة الأواني الخزفية الملونة حيث أصبحت بلنسية مركز هذه الصناعات العربية الإسلامية ، ثم انتشر الفخار الإسلامي من الأندلس الى اوربا. [4]

وتميزت مدرسة الفن العربي الإسلامي في الأندلس بأشكال أخرى من الخزف أشهرها الآجر المتعدد الألوان الذي لا يزال رائجاً في اسبانيا والبرتغال هو من اختراع العرب المسلمين[5] ، واشتهر العرب المسلمين في صناعة النسيج النفيس في الأندلس وكانت الشعوب العربية الإسلامية في مقدمة منتجي الأقمشة الحريرية في العصور الوسطى .[6]

1- حتي ، تاريخ العرب(مطول) ، ج2 ، ص702.
2- تعرف في اوربا بالصناعات الدمشقية.
3- المقري ، نفح الطيب، ج2، ص124.
4- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص75.
5- المقري، المصدر السابق، ص124.
6- م.ن ، ص123.

وتأثرت بلاد الأندلس بالموسيقى العربية الإسلامية ومنها انتقلت الى أوربا ، حيث اعتمد الأوربيون السلم الموسيقي وطريقة التدوين بالحروف التي هي من مبتكرات العرب المسلمين[1] ، وبعد قدوم علي بن نافع الملقب (زرياب)[2] الى الأندلس وهو من طلاب مدرسة الموصلي البغدادية[3] سعى الى تعليم الأندلسيين طرقاً موسيقية في كيفية ابتداء الغناء وإنهائه ، وجعل مضراب العود من قوادم النسر بدلاً من الخشب وهو أمر يساعد على نقاوة الصوت وسلامة الوتر وأضاف وتراً خامساً للعود وجعله في الوسط وهو يقابل النفس في الجسد بينما الأوتار الأربعة الأخرى تقابل الطبائع البشرية وهي الدم والصفراء والسوداء والبلغم، ومن الواضح إنّ المشتغلين بالموسيقى كانوا على دراية بمبادئ الطب ، فكما تتم حيوية الجسد

ويكمل انتعاشه بالروح كذلك تصفو الأنغام ويتم كمال الألحان بالوتر الخامس[4] ، ومازال تأثير موسيقى زرياب في الأندلس ، كما علم الأندلسيين الألحان المتطورة في الغناء لأنه يبهج النفس ويسرها.[5]

1- المقري ، نفح الطيب ، ص98.
2- زرياب ، كلمة فارسية تطلق على طائر اسود حسن التغريد، عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص427.
3- ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ص3.
4- المسعودي، مروج الذهب ، ج4، ص221.
5- م.ن ، ص222.

وانتشرت الموسيقى في الأندلس حيث أورد ابن عبد ربه " أنها مراد السمع ، وربيع القلب ، ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب ، وانس الوحيد"[1].

وأشار بعض الفلاسفة المسلمين الى أهمية فن الموسيقى في حياة الإنسان ، إذ أوضح الفارابي إنّ الغاية من السماع هو الوصول الى السعادة[2] وظهرت موسوعات موسيقية كتلك التي قام بها الفارابي والكندي وكانت الموسيقى القياسية (الإيقاع) تشكل جزءاً مهماً من الموسيقى العربية الإسلامية[3] ، وفي القرن الثاني عشر الميلادي كانت أوربا على معرفة بالمؤلفات العربية الإسلامية من خلال بلاد الأندلس[4] ، كما عمل علي بن نافع (زرياب) على تعليم أهل الأندلس على كيفية الطهي العراقي وأنواع الأطعمة وضرورة الترتيب في تقديمها ، كما أشار عليهم باستخدام الأواني الزجاجية بدلاً من الفضية والذهبية[5] ، ولم يقتصر على ذلك بل اهتم بتعليم أهل قرطبة تصفيف الشعر ورفعه خلف الأذان بدلاً من تركه مسدولاً على جباههم وعيونهم ، كما وضح لهم ارتداء الملابس في

أوقاتها المناسبة من حيث اللون والخفة والثقل، وفي الحقيقة أنها رمز للحضارة العربية الإسلامية في المشرق التي انتقلت الى الأندلس وأثرت في سكانها .[6]

1- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ص6.

2- عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، ص403.

3- العقاد ، اثر العرب في الحضارة الاوربية ، ص79.

4- عاشور ، المرجع السابق ، ص437.

5- م.ن ، ص427.

6- م. ن ، ص223.

الفصل الرابع

اثر بلاد الشام الحضاري على تطور قرطبة العمراني في عصر الإمارة الإسلامي

- المبحث الأول : الأثر الحضاري في المجال العمراني

أولاً: العمران الديني

1- المساجد والجوامع
2- الكنائس والأديرة

ثانياً : العمران المدني

1- القصور
2- الدور الرسمية والعامة
3- المدارس
4- القناطر والجسور

ثالثاً: العمران الحربي

1- الأسوار
2- الأبراج والقلاع
3- الثغور

- المبحث الثاني: فن العمارة والبناء وتأثرهما بالفن العربي الإسلامي لبلاد الشام

الفصل الرابع

اثر بلاد الشام الحضاري على تطور قرطبة العمراني في عصر الإمارة الإسلامي

المبحث الأول

الأثر الحضاري في المجال العمراني

مقدمة :

يعني العمران كل ما يبنى على الأرض بهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع وتستجيب لكافة متطلباته وهو الفن العلمي لإقامة أبنية تتوفر فيها عناصر المتانة والمنفعة والجمال وتفي حاجات الناس المادية والنفسية والروحية في حدود أوسع الإمكانيات وبأحسن الوسائل في العصر التي تكون فيه .[1]

وان العمران يشكل أهم المعالم الحضارية التي لازالت شاهدة على تلاقح الوجود الإسلامي مع المجتمع الأندلسي ، اذ كان فتح العرب المسلمين للأندلس حدثاً حضارياً وعمرانياً وانجازاً كبيراً وأعلن عن حياة جديدة في هذه البلاد البعيدة[2] ، وكان له الأثر في حياة ومستقبل الأندلس وما جاورها من بلدان أوربا الغربية[3]، ومع انشغال العرب المسلمين في عصر الولاة بالمشاكل الحربية والسياسية داخل الأندلس وعلــــى حدودها الشمالية الشرقيـــة عبــر جبال (البرت)

1- ثويني ، علي ، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، بغداد2005م، ص510.

2- ابن بسام ، ابو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ،ج2، بيروت 1975م، ص940.

3- المعاضيدي ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس، ص280.

إلا أنهم عملوا على نقل الحضارة وبكل جوانبها الى هذه البلاد ، وحاولوا أن يجعلوا من قرطبة ، التي أصبحت حاضرة الدولة الأموية في الأندلس تماثل حواضر العرب المسلمين في المشرق من حيث المباني والحدائق والطرق ونظام الحياة ، ولما وصل عبد

الرحمن الداخل الى الأندلس وأصبح أميراً على هذه البلاد ، أولى الجانب الحضاري لدولته الجديدة وحاضرتها قرطبة اهتماما كبيراً ، رغم المشاكل التي واجهته الداخلية منها والخارجية ،حيث بذل كل جهده من اجل أن يجعل من عاصمته قرطبة مدينة تضاهي بغداد عاصمة العباسيين في المشرق وادخل الى بلاد الأندلس لأول مرة الكثير من النباتات والأشجار التي جلبها من المشرق كالنخيل والموز والرمان وغيرها ونظم البريد في قرطبة ومدن الأندلس الأخرى وبنى داراً لضرب النقود واستخدم الأسلوب الذي كان تضرب عليه في المشرق في عهد الدولة الأموية .[1]

وتعني الإشادة بمدينة قرطبة في عهد الأمويين الى ما بلغته أمارة عبد الرحمن الداخل في الأندلس الى هذه المكانة المتميزة تاريخياً وحضارياً ، وجاءت نتيجة لما يمتلكه من مؤهلات قيادية ، وشهد عهد الإمارة تحولاً نوعياً إذ تحولت الأندلس من ولاية تابعة لمركز الخلافة او الى أفريقيا الى أمارة مستقلة .[2]

1- المعاضيدي ، خاشع ، امير الاندلس عبد الرحمن الداخل، بغداد1989م ، ص108.
2- وديع ، تاريخ الاندلس ، ص181.

وبعد أن نظم عبد الرحمن الداخل شؤون الدولة الإدارية وقمع الثورات اتجه الى الاهتمام بالأعمال العمرانية الدينية والمدنية .[1]

أولا : العمران الديني :

1- المساجد والجوامع :

يُعد المسجد مظهراً من مظاهر العمارة الدينية وله منزلة كبيرة في نفوس المسلمين فهو مركز إشعاع ديني وعلمي واجتماعي وهو بيت الله ، لذلك كان الأمراء والخلفاء

والسلاطين في مختلف أنحاء العالم يهتمون به ، فادخلوا على شكل المسجد البسيط الذي أسّسه الرسول الكريم محمد (ص) في المدينة المنورة كثيرا من التعديلات والإضافات لمكانته.

وقد شيّد المسلمون المساجد في كل مكان وصلوا إليه لان بناء المسجد من الأعمال الأولى في كل مدينة إسلامية فالمساجد ليست دور عبادة فقط بل أنها دور علم أيضاً[2] ، وفيه تعقد الاجتماعات السياسية ، وتوزع ألوية الجيش فليس غريباً أن يسيطر المسجد على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .[3]

1- الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس، ص47.
2- ابو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب ، ص206.
3- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص376.

لذا فان وجود الجامع الإسلامي يعني أساس العمران الديني ، لذلك اهتم الأمراء والخلفاء في الأندلس ببناء المساجد في كل مدينة إسلامية ، وكان المسجد الجامع في قرطبة اكبر هذه المساجد وأعظمها ، حيث كان كل منهم يزيد على من قبله الى أن اكتمل بناءه .[1]

وعندما دخل المسلمون الأندلس كان من الواجب بناء مسجد تؤدى فيه الصلاة الجامعة ، إذ أنهم شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم (شنت بنجنت) وابتنوا في ذلك الشطر مسجداً جامعاً بسيطاً من حيث التصميم ، وتكييف البناء حسبما يتطلبه الدين الإسلامي امتثالاً لما فعله أبو عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد بعد استشارة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من مشاطرة الروم كنائسهم[2] ، في الشام مثل كنيسة دمشق التي فتحت صلحاً ، كان هذا المسجد في البداية يفي بالحاجة لأنهم كانوا قليلو العدد فضلاً عن أنهم جنوداً يتنقلون من مدينة الى أخرى ، ولقد اشرف على تأسيسه رجلان من التابعين هما حنش بن عبد الله الصنعاني[3] وأبو

عبد الرحمن الحبلي الأنصاري[4] ، أما الشطر الآخر من الكنيسة فقد بقي بأيدي النصارى وكان كل منهم يؤدي شعائره الدينية ويدل ذلك على التسامح الديني [5]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص83 ؛ ابو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب، ص314 .
2- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2 ، ص229.
3- حنش بن عبد الله الصنعاني ، هو من التابعين غزا المغرب مع رويقع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان ممن ثاروا مع عبد الله بن الزبير على عبد الملك لكنه عفا عنه توفي بسرقسطة 100هـ ، الحميدي ابي عبد الله محمد بن عبد الله الازدي، جذوة المقتبس ،القاهرة، 2008م ، ص201 ؛ ابن الفرضي ،ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي، تاريخ علماء الاندلس ، القاهرة، 2008م ، ص125 .
4- ابو عبد الرحمن الحبلي الانصاري ، تابعي يروي عن ابن عمر توفي في افريقية 100هـ ، المقري ، نفح الطيب ، ج4، ص6.
5- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص382.

وان المسلمين عندما دخلوا بلاد الأندلس لم تكن لديهم الأجهزة الفنية التي يحتاجونها ، كما كانوا يجهلون أماكن الحجر ومصادر استخراج الرخام وعناصر البناء الأخرى [1] وبعد حقبة من الزمن أصبح هذا المسجد يضيق بالمصلين بعد أن تزايدت أعداد الوافدين على قرطبة حيث نزلها أمراء العرب فأصبح المصلون يعلقون سقيفة بعد أخرى يستظلون بها من حر الشمس ،وكان يصعب عليهم الوصول الى داخل المسجد وكذلك القيام باعتدال لتقارب السقف من الأرض [2] .

أما الكنيسة فقد بقيت الى آخر عهد الولاة قبل أن تهدم ويقام مكانها المسجد الجامع الجديد ، إذ دخل عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس سنة (138هـ/756م)[3] بعد إن فرّ من المشرق اثر سقوط الدولة الأموية في دمشق على يد العباسيين .[4]

ودخل الأندلس واستقر في قرطبة واهتم بشؤون المسلمين في الأندلس فبنى العديد من المساجد [5] ، وأصبح عددها أربعمائة وواحد وتسعين مسجداً ثم زادت بعد ذلك كثيراً .[6]

1- سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص382.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص96.

3- الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت 1960م ، ص261.

4- الضبي ، بغية الملتمس ، ص277.

5- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص495.

6- الحميري ، الروض المعطار ، ص157.

اعتمد عبد الرحمن الداخل السياسة المركزية في الدولة ، وكان اهتمامه بالبناء يتجلى بصورة أكثر في المسجد الجامع في قرطبة حيث شعر بما يعانيه المصلون من ضيق فيه وعدم استيعابه لهم لكنه انشغل في بداية حكمه بالقضاء على الفتن والاضطرابات ، إلا انه تمكن من تأسيس المسجد الجامع في قرطبة وأراد له أن يتناسب وعظمة الإمارة لذلك انفق مبالغ طائلة لبنائه .[1]

وفي سنة (169هـ) اشترى عبد الرحمن الداخل موضع الجامع بقرطبة من النصارى ، وكان بالموضع كنيسة قديمة ، بمائة ألف دينار وزاده في ساحة المسجد ، وفي سنة (170هـ) أسس الجامع بقرطبة ، وعمل في بنائه وإتقانه وانفق عليه مائتي ألف دينار [2] ، وفي ذلك يقول بعضهم[3] :

وابرز في ذات الإله ووجهـــه	ثمانين ألف من لجين وعسجد
وأنفقها في مسجد رأسه التقـــى	ومنهجه دين النبي محمـــــد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه	يلوح كلمح البارق المتوقـــد

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص229.

2- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص166.

3- قائل هذه الابيات هو دحية بن محمد البلوي ، مجهول ، فتح الاندلس ، ص108 .

وكان عبد الرحمن قد شرع في بناء الجامع سنة (169هـ/785م) وتم بناؤه في (170هـ/786م) [1] ، ويشير المقري انه بدا البناء فيه (168هـ/784م) واكتمل (170هـ/786م) [2] ، إذ إنّ هذا المسجد قد شمل مكان المسجد الأول والكنيسة ، وكان عبد الرحمن الداخل يسعى لإتمام البناء في أسرع وقت ممكن حتى يتمكن المصلون من أداء الصلاة في المسجد ، وان هذا الانجاز السريع يعود الى أنّ العناصر الأساسية لهذا العمل من أعمدة وتيجانها وأحجار منحوتة قد أخذت جاهزة من مباني قوطية ورومانية .[2]

ويُعد مسجد قرطبة الذي بناه عبد الرحمن الداخل من ابرز ما خلفه الأمويون من آثار وهو يمثل مرحلة من مراحل النضج والتطور الفني والمعماري من الطراز العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية كان بعضها قد انتقل الى الغرب الإسلامي من المشرق الإسلامي عن طريق العرب المسلمين الفاتحين لبلاد الأندلس .[4]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص299.

2- نفح الطيب ، ج2، ص97.

3- امين ، احمد ، ظهر الاسلام ، ج3، القاهرة 1962م ، ص295 ، بدر ، احمد ، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) دمشق 1974، ص144.

4- الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة 1984م ، ص73 ؛ زعبلاوي ، يوسف ، مسجد قرطبة ، مجلة العربي ، العدد 168 ، الكويت 1972م.

ويمثل الجامع من الناحية الفنية رمز شامخ للدولة العربية الإسلامية في الأندلس[1] ، أما من الناحية العلمية فانه يعد جامعــة إسلامية تدرس فيــها العلوم الدينية واللغويـــــة حيث

يقدم اليـــها طلاب العـــلم للـــدرس والتحصيل العلمي [2] ، لقد أراد الأمير عبد الرحمن الداخل لهذا المسجد أن يكون من أعظم مساجد الإسلام ، ولكي يتناسب مع هيبة الإمارة وسلطانها في هذه الديار البعيدة ، وكان هذا الجامع في تخطيطه وتصميمه يبين ما وصلت إليه الإمارة في الأندلس من قوة .[3]

لكن بناءه لم يتم في عهد عبد الرحمن الداخل حيث توفي يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الأخر سنة (172هـ/788م) في مدينة ماردة من بلاد جوف الأندلس وحمل إلى قرطبة ودفن فيها [4] ، فاتمّه خلفاؤه من بعده ، وأضافوا عليه ووسعوا فيه كثيراً ، حتى صار يضرب به المثل في العظمة والسعة حتى سميَّ الجامع الأعظم .[5]

1- ابو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب ، ص223.

2- الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، دار الارشاد للطباعة ، بيروت1969م ، ص157 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص377 .

3- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص83.

4- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص169.

5- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص264 ؛ رشيد ، نهاد عبد الستار ، مسجد قرطبة وفن العمارة الاندلسية ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 1، العراق 1979 ؛ الكيالي ، سامي ، في الربوع الاندلسية ، سلسلة الرحلات-3- (حلب) 1963، ص99.

وقد بني الجامع في الحقبة التي كان فيها الفن الإسلامي في أوج مجده والدولة في الأندلس على جانب كبير من الرخاء ، فاجتمع بذلك المال والفن فأصبح يضاهي بعظمته جوامع الشرق [1] ، لذلك اشتهرت قرطبة به ، فهو من إحدى غرائب الأرض الذي ليس في بلاد الأندلس اكبر منه [2] ، وفي ذلك يقول ابن عطية[3].

استودع الله أهل قرطبـــــة حيث وجدت الحياء والكرما

والجامع الأعظم العتيق ولا   زال مدى الدهر مأمنا حرما

كما وصف بأنه الجامع المشهور أمره الشائع ذكره ، من اجل مصانع الدنيا ، كبر مساحة ، وجمال هيئة ، وإتقان بنية ، وزاد فيه أمراء وخلفاء الدولة الأموية في الأندلس زيادة بعد زيادة ، حتى بلغ الغاية في الإتقان ، فصار يحار فيه النظر ، ويعجز عنه الوصف فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولا وعرضاً . [4]

1- لوبون ، حضارة العرب ، ص84 ؛ الصبحي، محمد ابراهيم ، الحضارة العربية واثرها على اوربا ، بيروت1984م ، ص77.

2- المقري ، نقلاً عن الرازي ، نفح الطيب ، ج2 ، ص8.

3- هو ابو عبد الله عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي فقيه من اهل غرناطة توفى سنة 542هـ ، ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ،ج3، ص539 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص149 .

4- الحميري ، الروض المعطار ، ص153.

كان شبه قرطبة بدمشق من خلال جامع قرطبة حيث يمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من الجامع الأموي بدمشق ، مثل العقود المزدوجة التي تزيد من ارتفاع السقف وتجعله مناسباً مع اتساع المسجد ، وكذلك يلاحظ التأثير في وضع المئذنة وفي الممر الذي يصل المسجد بقصر الإمارة والمعروف بالساباط [1].

وان قرطبة تقع على نهر الوادي الكبير ، ودمشق تقع على نهر بردى ويطل عليها جبل قاسيون ، كما يطل على قرطبة جبل العروس[2] ، أراد عبد الرحمن الداخل بعد أن استقر له الأمر في الأندلس بناء المسجد الجامع في قرطبة حيث ازداد عدد المسلمين من السكان الأصليين للأندلس ، فضلاً عن تدفق العرب من المشرق و المغرب الى هذه البلاد ،

وأصبحت الحاجة لإنشاء المساجد الجامعة الكبيرة ، وكان قد بدا العمل فيه سنة 170هـ [3] لكن بناءه لم يتم في عهده فأتمّه ابنه الأمير هشام واستمرت الزيادات فيه بعد ذلك [4].

1- المقري ، نفح الطيب، ج2، ص9.

2- ابو زيدون ، تاريخ الاندلس ، ص185.

3- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص59 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص58.

4- Dozy , R. P. A , Histoire des Musulmans d'Espagne , (Leyden ,1861) p.242.

كان مسجد قرطبة من أشهر مساجد الإسلام الجامعة في المغرب والأندلس ومفخرة من مفاخرها وفي ذلك يقول القاضي ابو محمد بن عطية[1] .

بأربع فاقت الأمصار قرطبة منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثــة والعلم اكبر شيء وهو رابعها

يقع مسجد قرطبة فوق بقعة صخرية في جنوب غرب قرطبة بالقرب من القنطرة العربية القديمة المقامة على نهر الوادي الكبير وتحيط به الطرق الضيقة من جهاته الأربعة[2] ، وأصبح أثراً عربياً ومن ابرز الآثار الإسلامية الباقية في الأندلس[3] .

ولقد بنيت جدرانه من الحجر الجيري ، المائل الى اصفرار في كتل تثبت على جوانبها الطولية والعرضية بصورة متعاقبة ، ولهذا النظام المعماري فوائد حيث انه يعطي مظهراً تام الانسجام في البناء ويتطلب جهداً قليلاً في نقل الأحجار .[4]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص150.
2- عنان ، محمد عبد الله ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة1966م ، ص70.
3- مورينو ، مانويل جومت ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، تحقيق لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز سالم ، مصر 1977، ص18.

يمثل المسجد الجامع من الخارج شكلاً رباعياً ذا جهات قليلة الارتفاع متحدة المظهر وقد وضعت بين مسافة وأخرى دعائم تشبه الأبراج يتخللها باب كبير تزينه زخارف ونوافذ مزدوجة وتبلغ مساحة البناء (76,70 × 75,73م)[1] ، وينقسم الجامع الى قسمين ، قسم مسقوف يسمى (بيت الصلاة) والأخر مكشوف (الصحن) .

يتألف القسم الأول (بيت الصلاة) من تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة تمتد الى اثنتي عشر قوساً تقوم على عمد من الرخام[2] ، تتجه من الشمال الى الجنوب حيث تكون عمودية على جدار القبلة خمسة من اليمين وخمسة من الشمال ، أما الوسطى فهي أكبرهن جميعاً حيث كان يقوم تحتها المحراب الذي صلى به صقر قريش[3] ، ويفصل الأقواس بعضها عن بعض أعمدة من الرخام جلبت من اشبيلية واربونة وقسطنطينة ، وهذه الأعمدة قديمة قوطية الأصل او رومانية [4] ، كما جلب المعماري الأعمدة من مواقع عديدة أخرى مثل قرطاجنة (قرب تونس حالياً) او من ايطاليا وكلفت عبد الرحمن الداخل مبالغ طائلة .[5]

1- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص24.

2- الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص2.

3- مؤنس، حسين، رحلة الاندلس، القاهرة1963م، ص76.

4- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ،ج1، ص371.

5- مؤنس ، المرجع السابق ، ص77 ؛ عنان ، الاثار الاندلسية ، ص20.

وعلى الرغم من استخدامه الأعمدة المختلفة والمهندسين والعمال من مختلف الأجناس إلا أنّ الطراز العربي كان واضحاً ليس بالمحراب والقبلة والمنبر والمئذنة فقط بل تعداه الى البناء كله [1] ، وقد اختلفت هذه الأعمدة من حيث الطول واللون والشكل إلا إنّ المعماريين عرفوا كيف يساوون بينها واعتمدوا الحساب الدقيق لاحتمال الأعمدة الأولى على الأرض ثم أوزان الأعمدة الثانية وأوزانها والسقف فوقها .[2]

وعندما يدخل المرء الى بيت الصلاة يمر بين الصفوف من الأعمدة الممتدة الى مسافة بعيدة كأنها غابة من النخيل حيث يبلغ عدد تلك الأعمدة (1273) عمود [3] ، ويتسلل الضوء من النوافذ الخارجية الى داخل بيت الصلاة وتتسم العناصر المختلفة باتساق في المظهر الخارجي في التركيب الداخلي يحدده تداخل العقود ، يكتنفه ظلام خفيف ، وارض البلاطات شبه ترابية ، يلمع من خلالها بريق الرخام المنقوش بالذهب واللازورد ، والأحجار المذهبة ، وقوالب الآجر الحمراء المرصعة بالحجارة الصفراء.[4]

1- هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص477.

2- يوسف، شريف، المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية ،بغداد، 1980، ص59.

3- ابن غالب ، فرحة الانفس، ص10 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين، ص397 .

4- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص30.

والعقد عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطتي ارتكاز ومنها العقود المنحنية وتتمثل في عقد حدوي او متجاوز وقوسه يتجاوز نصف الدائرة ويستعمل في العمارة الأندلسية والمغربية وفي عقد حدوي مستدير وهو يشبه سابقه بقدر ما تطورت استدارته واشتمل على

رقبة كما شاع في العمارة الأندلسية المغربية استعمال عقد حدوي مدبب حيث يرسم من مركزين يقعان فوق خط فتحته .

وشاعت في العمارة الإسلامية في الأندلس العقود المفصصة وتتألف من أقواس متعددة متصلة وقد انتشر استعمالها نظراً لتأثيراتها الجمالية التي تكتنفها صفة الضوء والظل في حركة الفصوص[1] .

وكذلك استعملت في عمارة المغرب العربي والأندلس العقود المزخرفة وتمثلت في العقود المهدبة او بدلايات قوسها مزخرف بالدلايات فضلاً عن أنواع عديدة من العقود ، والهدف من الزخرفة هو تزويق الشيء وجعله جميلاً وزخرف الأرض نباتها قال تعالى : ((⚇🙰⇱❷⬁⌘⇱♾ ♊🙵♓✌ ⋖💣⬂⑩♦📪 ⌂⌨⬩🙬📷 ♦♌❑⬈▤♦③ ⬁❐❐🕮))[2] ، والزخرفة تعني الأعمال الفنية التزويقية المكرسة للطراز المعماري الخاص بكل حقبة زمنية وتتطور مع الزمن وتنتقل وتؤثر في غيرها ولا تنقطع.[3]

1- عبد البديع لطفي، الاسلام في اسبانيا ، دار الطباعة الحديثة ، مصر 1958م ، ص181.

2- سورة الاسراء : الاية 93.

3- ثويني ، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، ص371.

اتسعت آفاق الفن عند العرب المسلمين حيث استطاعوا أن يبتكروا صوراً فنية جديدة لا تخرج في إطارها عن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف واتخذوا طرازاً خاصاً بهم ، وقد تميز هذا الطراز بالأعمدة والأقواس والعقود والقباب والمقرنصات أو الدلايات وهي زخارف معمارية تشبه خلايا النحل بارزة ومدلاة في طبقات مصفوف بعضها فوق بعض في واجهات المساجد والمآذن او في تيجان بعض الأعمدة او في القباب .[1]

وقد استخدمت المقرنصات في السقوف الخشبية فضلاً عن استخدامها في العمائر نفسها ، والمقرنص عنصر نباتي جوهره مجموعة من الحنايا المقببة يتدلى أو يستقر بعضها فوق بعض بطبقات أو صفوف ، عادة ما تكون مندرجة بشكل متناوب وتدعى تلك الصفوف (حطات) وابسطها يبدأ بواحدة ثم بثلاث حنايا ، وان المثلث الكروي قد ظهر في العمارة الشامية قبل الإسلام وظهر أسفل القباب للعمارة الباقية في البادية من العهد الأموي ويمكن إجمال أهم أنواع المقرنصات المستعملة في العمارة العربية .

- المقرنصات الكبيرة ذات مركزين أو مدببة لغرض هيكلي.
- مقرنصات بطن العقد والمتكونة من حطة واحدة في حمل بداية العقد.
- المقرنصات المركبة بين أكثر من طريقة رسم.
- المقرنص المتدلي ويقع عادة في بطن العقد والمقرنص المخروطي.[2]

1- ثويني ، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، ص717.

2- م.ن ، ص720.

وتوصف أعمدة المسجد الجامع بقرطبة بقوتها اذ يقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ويكون من اجتماع هذه الأعمدة صفوف من الصحون المتوازية المؤدية الى باحته ، وتتقاطع هذه الصحون وصحون أخرى كتقاطع الأضلاع الذي ينشا عنه زوايا قائمة ويتألف من مجموع تلك الأعمدة شكل مميز ويعلوها أقواس بارزة .[1]

أما التيجان المختلفة الأشكال في الجامع فهي تحتوي على صور أوراق نباتات كثيرة الرسوم الهندسية[2] ، وبعضها الآخر في شكل ناقوس تزينها الألوان ، والأعمدة معقودة تقسم بيت الصلاة أفقياً ورأسياً[3] ، حيث استفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه

نظره من عناصر سواء كانت نباتية او حيوانية او ادمية ليحقق أهدافه الزخرفية وكأنما يأخذ من كل بستان زهرة .[4]

أما القسم الآخر من الجامع فهو الصحن الذي ظل شكله ووظيفته دون تغيير فيها إلا انه ظهر في الأندلس شيء جديد وهو غرس الأشجار وخاصة النارانج والبرتقال ، حيث أنّ المسجد النبوي كان مغروساً بالنخيل .[5]

1- لوبون ، حضارة العرب ، ص352.

2- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص31.

3- الالفي ، ابو صالح ، الفن الاسلامي ، القاهرة 1969م ، ص111.

4- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص22 ؛ خالد ، اثار الاندلس، ص44.

5- عبد الحميد ، سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، مصر 1986م ، ص254.

وقد عهد عبد الرحمن الداخل الى الفقيه (صعصعة بن سلام) الدمشقي بغرس صحن المسجد الجامع في قرطبة بالأشجار وقد اتبع أمراء الأندلس هذا التقليد في مساجد الأندلس الأخرى [1] ، ويشمل الصحن فناء واسع مستطيل الشكل يبلغ ثلث رقعة المسجد أي انه يشغل الجزء الأكبر من المسجد[2] ، كان طول الجامع مائة ذراع وعرضه ثمانون ذراعاً وارتفاعه اثنتي عشر ذراع .

أما سقف الجامع فهو مسطح يتألف من ألواح خشبية عريضة مصفوفة مثبته بالجص تمسكها عوارض خشبية طويلة ، وتكسو هذه اللوحات زخارف هندسية متنوعة ، وبالرغم من كثرة عددها إلا أنها لا تشبه احدها الأخرى ، وخشب هذا السقف من أشجار الصنوبر المعروفة بقوتها ، ويحيط بالألواح إطار خشبي مزين بكتابات من آيات القران الكريم [3] ، وقد وصف الحميري سقف الجامع الأعظم قائلاً :
"وفي سقف الجامع من ضروب الصنائع والنقوش ما لا يشبه بعضها

بعضاً وقد احكم تزيينها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والتكحيل"[4]

1- العميد ، اثار المغرب والاندلس ، ص222.

2- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص22.

3- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2، ص4.

4- الروض المعطار ، ص154.

وانشأ هشام بن عبد الرحمن مئذنة المسجد والتي كانت قاعدتها مربعة الشكل طول كل جانب منها ستة أمتار ، وان ارتفاعها حتى موضع الآذان بلغ أربعين ذراعا [1] ، وكان ذلك بعد إكماله بناء الجامع والذي شرع فيه أبوه عبد الرحمن الداخل [2] ، كما أكمل الأمير هشام سقائف المسجد حيث بنى سقائف لصلاة النساء في نهاية بيت الصلاة[3] ، وبنى ميضأة وجلب إليها المياه[4] ، وجاء بعده الى السلطة ابنه الحكم (180-206هـ/796-821م) ويبدو انه لم يكن له اثر في بناء مسجد قرطبة ، فكانت الزيادة الأخرى للجامع من الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) (206-238هـ/821-852م)[5].

كما قام ببناء العديد من المساجد والجوامع في الأندلس [6] ، إلا انه توفي دون أن يستكمل تنميق زيادته في المسجد الجامع بقرطبة ، فأتمها ابنه الأمير محمد الذي تولى السلطة (238-373هـ/852-886م) الذي كان شغوفاً بالبناء سخياً في الإنفاق عليه [7]، وكانت رسوم الدولة الأموية في الأندلس ومنها ولاية العهد هي امتداد لرسوم دار الخلافة الأموية في المشرق [8].

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص230.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص125 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج1، ص338.

3- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس، ص43.

4- ابن غالب ، فرحة الانفس، ص28 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2، ص575.

5- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص78.

6- المراكشي ، المعجب ، ص48 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص347.

7- ابن حيان ، المقتبس، ص56.

8- السلطاني ، غانم هاشم خضير ، رسوم دار الخلافة الاموية ، اطروحة دكتوراة ، بغداد1990م، ص67.

وكان محراب الجامع متميزاً في شكله وطوله من القبلة الى الجوف ثمانية اذرع ونصف وارتفاعه ثلاثة عشر ذراعاً ونصف [1] ، وقد بني بالآجر[2] ، وقد أقيم على واجهته سبعة عقود ثلاثية الفصوص ، مزججة دقيقة الصنع والزخرفة [3] ، حيث نقش المحراب من الداخل والخارج بالتوريقات ، وزينت بلوحات رخامية حفرت بها زخارف نباتية وان الكتابة في الإطار الخارجي لواجهة المحراب تبدأ في السطر الأول من اليمين ومن الجهة السفلى وتصعد ثم تسير من اليمين الى اليسار ثم تنحدر الى أسفل اليسار وكذلك السطر الثاني .

يتكون المحراب من غرفة تؤدي إليها بوابة متميزة الزخارف والأقواس[4] ، التي استخدمها لأول مرة بثبات في بناء إسلامي[5] ، وتتألف القباب التي تعلو المسجد من ضلوع متقاطعة فيما بينها ، وعن يمين المحراب أقيم المنبر الذي ليس مثله في حسن صنعته وصنع من ألواح مؤلفة من الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس والمرجان وأوصاله من فضة مثبتة ، مما يدل على تقدم صناعة الحفر على الخشب .[6]

1- ابن غالب ، فرحة الانفس، ص28.

2- لوبون ، حضارة العرب ، ص54.

3- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص162.

4- يوسف ، المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ص59.

5- الجيوسي ، سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، بيروت 1998م، ص85.

6- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص8 ؛ ارسلان ، الحلل السندسية ، ج1 ، ص142.

وان ارتفاع المئذنة ثلاثة وسبعون ذراعاً الى أعلى القبة [1] ، أما مقصورة المسجد فكان طولها من القبلة الى الجوف ستة وخمسون ذراعاً وعرضها من الشرق الى الغرب أربعة وعشرون ذراعاً[2] ، وكان للجامع في عهد عبد الرحمن الداخل خمسة أبواب ثلاثة منها تنفتح على الصحن واثنان في بيت الصلاة ، تزين المسجد الثريات التي تعمل بالزيت وكان عددها (280) ثرية ، منها واحدة كانت يوقد فيها ألف مصباح وكانت أصغرها تحمل اثنتي عشر مصباحاً [3] .

وقد قام حكام الأندلس بإضافات عديدة للمسجد فعندما توفى عبد الرحمن الداخل سنة (172هـ/788م) لم يستكمل بناء جميع العناصر المعمارية ، كالمئذنة وسقائف النساء لانشغاله بإكمال أعمال البناء الأخرى وبناء عدة مساجد ، لذلك أكمله الأمير هشام بن عبد الرحمن (171-179هـ/787-821م)[4] ، الذي جاء بعد والده الى الحكم ، حيث إنّ الجامع لم يكمل في زمانه وقد اكتمل زمن ابنه هشام .[5]

1- مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص116.

2- ابن غالب ، فرحة الانفس، ص28.

3- خطاب ، محمود شيت، الاندلس وماجاورها ، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج2 ، ج3 ، بغداد1987م .

4- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص41.

5- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص545.

2- الكنائس والأديرة

كان للكنائس والأديرة ارتباطاً بالعمارة الدينية في بلاد الأندلس ، لذا فانه من الضروري إعطاء صورة موجزة عنها ليتضح من خلاله تمتع أهل البلاد الأصليين في الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي بالحرية الدينية والتسامح وكانت لهم كنائسهم ، إذ إنّ العرب المسلمون عند الفتح لم يعملوا على هدم جميع الكنائس في المدن المفتوحة ، لكنهم حولوا بعض الكنائس الرئيسة الى مساجد كما هو في كنيسة (شنت بنجنت) في قرطبة لازدياد عدد المسلمين من السكان الأصليين في الأندلس ووفود أعداد كثيرة من المشرق والمغرب الى بلاد الأندلس ، وفي الوقت نفسه تركوا في العديد من مدن الأندلس كنائسها لكي يزاول المسيحيون شعائرهم فيها وكانت في كثير من الأحيان تقوم الى جانب المسجد .

أنّ المساجد تختلف عن الكنائس في إنّ الأولى تتكون من أروقة متوازية في حين الثانية تتكون من وحدة معمارية منفصلة ذات محاور ثابتة [1] ، وكانت مآذن المساجد تختلف في حجمها عن أبراج الكنائس والأديرة [2].

1- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص15.

2- شلبي ، التاريخ الاسلامي ، ج2 ، ص148.

وكانت الكنائس في قرطبة داخل المدينة وخارجها ، حيث أنّ في حي الطرازين كنيسة كبيرة تحتفظ برفات القديس (زيلو SauZoilo) ورجال الدين (spera –in-deo) ، وهناك كنيسة أخرى في غرب المدينة هي (شنت اجلح san Aciscla) .

كما كانت هناك كنيسة ثالثة تسمى كنيسة القديسين الثلاثة وهم (Marcial , Enevo , Fausto) ، وهناك كنيسة أخرى في قرطبة هي كنيسة (سانتياجو)[(1)].

وقد كان المسيحيون يقيمون كنائس جديدة من وقت الى آخر فضلاً عن كنائسهم القديمة (2) ، إذ ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ))(3) ، إلا أنّ العرب قاموا بهدم عدداً من الكنائس التي كان أهلها يتخذون منها حصوناً يحاربون منها ، وكان النصارى يميلون الى تقليل النور في الكنائس عكس البناء العربي الذي يتميز بالنور والضوء من جوانبه المختلفة (4) ، اما الاديرة فكان منها حول قرطبة (15) ديراً وان اليهود كانوا يعانون من اضطهاد القوط الغربيين ، وأنهم أيدوا العرب الفاتحين فحصلوا على الامتيازات وتمتعوا بتسامح المسلمين الديني .(5)

1- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص15 ؛ خلاف ، قرطبة الاسلامية ، ص73.

2- خلاف ، المرجع السابق ، ص75.

3- سورة البقرة ، الاية : 256.

4- ابو دياك ، الوجيز في تاريخ العرب ، ص223.

5- الخالدي ، خالد يونس ، اليهود في الاندلس، اطروحة دكتوراة ، كلية الاداب ، 1999م، ص170 .

ثانياً : العمران المدني

1- القصور

ازدهرت قرطبة في عهد الإمارة حيث زينتها القصور والمتنزهات ، إذ حرص عبد الرحمن الداخل على جعلها شبيهة بدمشق في منازلها البيضاء المزينة بالإزهار والورود ونافورات المياه وبنى في شمالها قصراً صيفياً على سفح جبل قرطبة سماه قصر الرصافة محاكياً في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك الذي بناه خارج دمشق في بادية الشام سنة (110هـ) وسماه بنفس الاسم ولا تزال توجد في هذا المكان من قرطبة قرية تحمل هذا الاسم (LaRuzafa).[1]

وأصبحت قرطبة تضاهي العواصم العالمية حيث بلغ عدد ارباضها واحد وعشرون ربضاً[2] وفي كل منها توجد المساجد والأسواق والحمامات وغيرها من المرافق العامة وكانت تلك الارباض تحيط بقرطبة .[3]

واهتم عبد الرحمن الداخل ببناء القصور الكبيرة داخل قرطبة او بالقرب منها ومن تلك القصور التي شيدها قصر الكامل ، والقصر الحائر ، والقصر المبارك ، والقصر المعشوق ، وكان يحيطها بالأسوار ذات الأبواب الكبيرة.[4]

1- العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلس ، ص319.
2- ابن غالب ، فرحة الانفس، ص296 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص458.
3- ابن حبان ، المقتبس ، ص46 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ص466.
4- المعاضيدي ، امير الاندلس عبد الرحمن الداخل ، ص109.

وبالرغم من إنّ عبد الرحمن الداخل واجه الثورات والأخطار والفتن في الأندلس إلا انه استطاع القيام بحركة عمرانية كان للفنون العربية الإسلامية الأثر الكبير فيها بعد استقراره حيث شرع في تعظيم قرطبة فجددها وشيد مبانيها .[1]

وقد اتخذ العرب المسلمين بعد فتح بلاد الأندلس القصور الاسبانية كمقر لحكمهم وسكنهم ، وكانت هذه القصور توجد في المدن القديمة ، ومنها القصر المعروف (ببلاط قرطبة) وهو بناء روماني قديم تداول على سكنه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ، حيث اتخذه الولاة مقراً لهم ، وبعد قيام الدولة الأموية جعله عبد الرحمن الداخل مقراً لولايته ومركزاً لتصريف شؤون دولته حيث بدا العناية به وانشأ حوله الرياض ووسع رقعته وجلب اليه المياه العذبة من الجبال القريبة من قرطبة [2] وزرعت البساتين والحقول المحيطة به بكافة أنواع المزروعات التي دخلت الأندلس عن طريق العرب ومنها التوت وقصب السكر والنخيل والموز ، وأضاف الى القصر إضافات جديدة حتى يكون جديراً كقصر للإمارة .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص456.

2- حتى واخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص607 ؛ حسن ، تاريخ الاسلام ، ج2 ، ص71.

3- العميد ، اثار المغرب والاندلس ، ص204.

إذ أضاف اليه البرك وأحواض الرخام التي زينها بتماثيل مختلفة الأشكال مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس مما اكسب ذلك القصر منظراً فريدا [1] وكان حكام الأندلس ومنهم الأمير محمد وأبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد قاموا ببناء المجالس في هذا القصر [2] وكانت أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط أيام هدوء واستقرار وكثرت الأموال عنده واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها المياه من الجبال [3] ، وهو أول من ضرب السكة بقرطبة من بني أمية .[4]

كانت منية الرصافة أول منية أنشئت في قرطبة على يد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (138هـ/756م) وهي تمثل قصر كبير او مجموعة قصور على سفح جبل في الشمال الغربي من قرطبة على بعد)(3كم) منها لكي يتخذها منزلاً له تشبهاً برصافة جده هشام بن عبد الملك الذي بنى في الشام رصافة بالقرب من الرقة[5] ، حيث كان الأمراء في الشام لايحبذون البقاء في قصورهم طويلاً لذلك كانوا يتخذون لأنفسهم قصوراً

1- الصبحي ، الحضارة العربية وأثرها على أوربا ، ص91.

2- المقري ، نقلاً عن ابن خلدون ، نفح الطيب، ج2، ص112.

3- الزركلي ، خير الدين زكريا بن محمد ، الاعلام ، ج3، بيروت 1970 ، ص305.

4- مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ج1 ، ص114 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص91.

5- فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص182.

ريفية يخرجون اليها لقضاء أياماً بعيداً عن الحياة الرسمية وأمور الحكم لذلك نجد إنّ أمراء الأندلس قد تأثروا بهم في ذلك .[1]

وكان القصر في هذه الرصافة تحيط به الأشجار التي جلبت من أماكن مختلفة من الشام والمغرب كان أشهرها الرمان الذي جلبه عبد الرحمن الداخل من الشام من رصافة جده هشام ، إذ أرسل قاضيه معاوية بن صالح الى الشام لياتيه باخته ام الاصبغ ثم عاد من رحلته وكان معه كثيراً من مزروعات الشام ، ولما وصل معاوية بن صالح الى الأمير عبد الرحمن الداخل ادخل عليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يتذكرون الشام ويتأسفون عليها ، وكان فيهم رجل يسمى (سفر بن عبد

الكلاعي) فاخذ الرمان وغرسه حتى نما فجاء به الى الداخل فغرس منه بمنية الرصافة.[2]

وأصبحت تتمتع بمنظر جميل وانتشرت غروس الشام وأفريقيا في بلاد الأندلس ، وقد وصف الشاعر احمد بن فرج الرمان بقوله[3]

ولابسة صدفاً احمرا أتتك وقد ملئت جواهرا

1- عنان ، دولة الاسلام ، ج1 ، ص200 ؛ مؤنس ، رحلة الاندلس ، ص11.
2- الخشني ، قضاة قرطبة ، ص16.
3- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص468.

كما بنى الأمير الربضي في الجانب الغربي من قرطبة على ضفة الوادي الكبير (منية عجب)[1] ، وبنى الأمير محمد بن عبد الرحمن (منية قيطش) في الجانب الغربي ايضاً من قرطبة وإحاطتها بالبساتين[2] ، وانشأ الأمير عبد الله (منية عبد الله) على شاطئ الوادي الكبير وكان الماء يصلها عن طريق ناعورة لذلك عرفت (بمنية الناعورة) ، وقد اشتراها الأمير عبد الله أيام أبيه الأمير محمد بن عبد الرحمن من خليل البيطار سنة (253هـ)[3] ، وقد أنشاها منية واسعة الخطة أرادها للفرجة ، وقد أكثر غرسها لتكون متميزة عن غيرها .[4]

1- ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، 380 .
2- فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص182.
3- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج1 ، ص250.
4- ابن حيان ، المقتبس ، ص38.

2- الدور الرسمية والعامة :

كان لبلاد الشام آثاراً واضحة على نهضة قرطبة العمرانية والتي أصبحت زاهية بمنشاتها ومبانيها وقد حرص الأمراء الأمويين بان يشيع نمط العمارة الإسلامية فيها ، وقد استعمل الكلس الجيري لطلاء جدران الدور للمحافظة على نظافتها ، وكان مظهرها الخارجي ابيض اللون حيث يعكس حرارة الشمس في فصل الصيف ، ولها نوافذ تطل على الطرقات وأبواب خشبية تؤدي الى ممر تزين جدرانه النقوش والزخارف ذات الطابع المشرقي .[1]

وقد أصبحت الأندلس تعيش حياة متحضرة خلال القرن الرابع الهجري[2] ، وكانت غالبية الدور فيها في تلك المدة تتألف من طابقين وتحتوي على حدائق ومياه جارية ويملؤها النور الطبيعي من الداخل ، وكانت بيوت قرطبة ذات طابع عربي .[3]

1- خالد ، اثار الاندلس ، ص61.

2- Diehl Charles &G,Marcais ,Histoire du Moyen Age , t, lll , paris 1936 ,p404.

3- خالد ، المرجع السابق ، ص62.

وكثيراً ما يتوسط هذه الدور حوض ماء صغير او نافورة ، وقد يخصص ركناً من المنزل ليكون حديقة تضم أشجار النخيل او الليمون او البرتقال ، وشجيرات الياسمين التي ينتشر عطر أزهارها في المنزل .[1]

وأنشأت في قرطبة بيوتً عديدة سواء كانت دوراً خاصة او رسمية او بيوت العامة [2] ، وان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة ، بحيث انه كان يمشى فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال[3] ، حيث تميزت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من الدور المحاذية بينما لم يكن في لندن وباريس ذلك ، وقد اتسعت الحركة العمرانية في قرطبة اتساعاًكبيراً اذ اتصلت العمارة في قرطبة أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً وفي عرضها فرسخين ، وفي الأميال أربعة وعشرون ميلاً في الطول وستة أميال في العرض كل ذلك ديار وقصور وبساتين ومساجد وخانات وحمامات بطول ضفة الوادي الكبير .[4]

1- سالم ، العمارة الدينية بالاندلس ، ج2، ص122.

2- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج1، ص219.

3- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ن ص4.

4- م.ن ، ج2 ، ص5.

ومن الدور الخاصة التي تعود للأمراء وبعض الشخصيات الذي كان لها أثراً في تاريخ قرطبة خلال القرن الرابع الهجري :

دار الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وتقع بالقرب من باب القنطرة[1] .

دار الأمير عبد الله بن محمد وتقع بجوار باب قرطبة الغربي .[2]

دار القاضي منذر بن سعيد البلوطي والتي تقع بالقرب من مقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة خلف باب عامر القرشي.[3]

دار بقي بن مخلد التي تقع بظاهر قرطبة على الشارع الممتد من باب عبد الجبار .[4]

دار مطرف بن عبد الله التي كانت تقع بالقرب من قنطرة الوادي الكبير .[5]

دار الصميل بن حاتم وتقع في الربض القبلي المعروف بربض شقندة.[6]

دار الفقيه المشاور أبي إبراهيم وكانت بجوار مسجد ابي عثمان تجاه باب الصناعة احد أبواب قصر قرطبة الشمالية .[7]

دار محمد بن سعيد الأموي وتقع داخل منية الأمير عبد الله بالشرقية .[8]

واقتفى الخليفة الناصر ذلك الأثر حيث لم يكن ينشا له غلام من بنيه إلا وابتنى له قصراً بالمدينة يقرن لكل واحد بمنية خارج البلد في أماكن متنزهاته .[9]

1- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص79.

2- ابن حيان ، المقتبس، ج1،ص124.

3- المقري ، نفح الطيب، ج2، ص229.

4- ابن حيان ، المصدر السابق ، ص37.

5- ابن القوطية ، المصدر السابق، ص106 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص221.

6- ابن الابار ، الحلة السيراء ،ج1، ص68.

7- المقري ،المصدر السابق ، ج1، ص354.

ابن حيان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص153.

8- م.ن ، ص16.

وكانت (دار الطراز والخلع) من الدور التي أنشاها الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط)[1] ، إلا أنّ ابن حيان ينسبها الى الأمير عبد الرحمن الداخل[2] ، حيث اختصت بصناعة البرود الأميرية لذلك عرفت (الدار البردية) ثم اتسعت مرافقها في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وتولى دار الطراز عدة أشخاص ففي عهد الأمير عبد الله بن محمد تولاها زيان الفتى[3] .

وكذلك (دار الصناعة) في الطرف الغربي من قرطبة و (دار الرهائن) بالقرب من باب القنطرة ، إذ كان بها المستعربون من أهل طليطلة الذين كانوا يثيرون الفتن وهي غير دار الحبس[4] .

لقد شهدت الدولة الأموية في الأندلس ولادة الفن الإسلامي المعماري الذي جاء مصاحباً لمظاهر الترف التي أحاط الأمراء الأمويون فيها أنفسهم وقد بدأت الحركة العمرانية في عهد عبد الرحمن الداخل ونشطت وتوسعت بعد ذلك حيث أبدع الأمويون في تشييد الدور سواء كانت دوراً خاصة او دوراً رسمية .[5]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص136.

2- ابن حيان ، المقتبس، ص66.

3- ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2، ص223.

4- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس، ص94.

5- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص229 ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، ص37.

3- المدارس

بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ، اهتم المسلمون بعمارة المدارس ، لان طلب العلم فريضة عل كل مسلم ومسلمة ، وقد دخل الأندلس في عهد الولاة بعض التابعين[1] والذين كان لهم دور في تأسيس المدارس وتدريس كتاب الله وسنة رسوله [2] ، وتعد المدرسة المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي فضلاً عن العلوم الأخرى ، كالتفسير والحديث والطب والنحو والأدب ، وقد انتشر التعليم في الأندلس حيث كان هناك نسبة من الناس ممن يحسنون القراءة والكتابة في حين ظلت أوربا متأخرة في ذلك الزمن [3] وتنافس الأمراء في الأندلس على تشييد المدارس في كل مدينة ، حيث انتشرت في قرطبة المدارس مما أدى الى اتساع النشاط الحضاري فيها .

وفي البداية كان المسجد بمثابة جامعة تتألف من عدة حلقات وكان المعلم او الشيخ يجلس في جانب من جوانب المسجد وأمامه طلابه وتعرف بالكتاتيب وقد تكون في المساجد او في البيوت الخاصة ، يذهب اليه الطلاب فيحفظون منه القران ويتعلمون القراءة والكتابة والنحو والعربية والحساب .[4]

1- من التابعين موسى بن نصير ، حنش الصنعاني، علي بن رباح، عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، ينظر: المراكشي ، المعجب، ص9 ؛ المقري ، نفح الطيب ،ج1، ص277.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس، ص40.

3- حتي واخرون ، تاريخ العرب(مطول) ، ج2، ص688.

4- الجندي، انعام ، الرائد في الادب العربي، ج1 ، بيروت 1979م، ص51.

وشيّد الأمير عبد الرحمن الداخل العديد من المدارس [1] اذ انه اهتم بالعلوم في الأندلس فأسست المدارس التي كان يعلم فيها الفقه والشريعة والطب والرياضيات والأدب والشعر[2] ، وان المدرسة من الناحية الهندسية كانت تتضمن أمكنة لإقامة المدرسين والطلاب ومكاناً للاجتماعات والتدريس الى جانب مكان الصلاة ، وتتكون المدارس من صحن أساس في الوسط يفتح على إيوانين صغيرين تحيطهما يميناً وشمالاً غرف صغيرة تخصص لسكن

الطلاب والمدرسين ، وكان التعليم في الأندلس في بادئ الأمر يقوم على كتابة الخط وقراءة القران وتعليم الصرف والنحو واللغة[3] ، ثم تطور في المرحلة اللاحقة الى تفسير القران وعلوم الدين فضلاً عن الفلسفة وأصول اللغة والشعر والتاريخ والجغرافية وازداد عدد الطلبة في قرطبة وبلغ عدة آلاف [4].

كما كان للأمير هشام بن عبد الرحمن دور في نهضة قرطبة العلمية إذ انه اهتم بنشر اللغة العربية [5] ، حتى أصبح القوط يعتمدونها بدلاً من اللاتينية حيث أصبحت تدرس في مدارس اليهود .[6]

1- عفيفي ، نجيب، المستشرقون، بيروت1937م، ص24.

2- الصوفي، الدولة الأموية في قرطبة ، ج1 ، ص58.

3- حتي وآخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2، ص668.

4- م.ن ، ص668.

5- الحميدي، جذوة المقتبس، ص11 ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص282.

6- بيهم ، قوافل العربية ومواكبها ، ج1 ، ص111 ؛ عيسى ، تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص101 ؛ الراشد ، عبد الجليل ، التأثيرات العراقية في الأندلس وأوربا ، بغداد 2001م ، ص41.

وكان الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) شغوفاً بالعلم ، فقد اوفد قبل توليه الحكم عالماً من قرطبة هو (عباس بن ناصح) الى العراق من اجل استطلاع الآثار العلمية واستنساخها[1] ، وفي عهده شهدت قرطبة كثيراً من التأثيرات المشرقية عامة والعراقية خاصة ساهمت في تطور المستوى الاجتماعي والأدبي والفني فيها [2] ، ولم يقتصر التعليم على الرجال فقط بل كان تعليم النساء شائعاً في الأندلس، وأقبلت على حفظ الدواوين في الأدب وكتابة الشعر مما أدى الى ظهور طبقة من النساء ذات المكانة البارزة في المجتمع[3] ، وقد ساعد الاهتمام بالخط الكوفي على ازدهار الحركة العلمية في قرطبة حيث

كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها .[4]

وهكذا ازدهرت قرطبة حضارياً بجهود العلماء والأمراء والخلفاء الذين أسهموا في تطورها فانتشرت المجالس الأدبية والعلمية ، وأصبحت من أحسن بلاد الأندلس ولأهلها رئاسة ووقار ولا تزال سمة العلم متوارثة فيهم ، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً واعتناء بخزائن الكتب .[5]

1- لوبون ، حضارة العرب ، ص43.
2- عيسى ، تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص101.
3- ابن بشكوال ، الصلة ، ص692.
4- المراكشي ، المعجب ، ص520 ؛ الجزري، تقدم العلوم عند العرب ، ص247.
5- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص8.

إنّ التعليم في الأندلس قد شمل كل طبقات المجتمع من الأغنياء والفقراء الرجال والنساء لذلك لم يبق فيهم جاهل [1] ، حيث ذكر المستشرق دوزي بعد دراسته تاريخ الأندلس وثقافتها : "انه لم يكن في كل الأندلس أمي في يوم لم يكن في أوربا من يلم بالقراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القسس"[2].

ومن ذلك نلاحظ الاهتمام بالعلم وإنشاء المدارس حيث امتازت قرطبة بالأدب وتشجيعها له [3] ، وقد أشاد الجميع بهذه المدينة ، وأطلقوا عليها (جوهرة العالم) حيث وفد اليها الطلاب من أنحاء أوربا ، ومن أساتذة مدارسها الفيلسوف ابن رشد والطبيب ابن زهر ، والأديب ابن خلدون ، والفقيه ابن حزم وغيرهم .[4]

كما ذكرها المؤرخين العرب والأجانب : "هي مدينة العلم نزلها جملة من التابعين"[5] .

1- عجيل ، كريم ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الاسلامية ، ط1 ، بغداد1976 ، ص194.

2- عفيفي ، المستشرقون ، ص27.

3- جلوب ، السير جون ، امبراطورية العرب ، تحقيق خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1966م ، ص15.

4- الصبحي ، الحضارة العربية واثرها على اوربا ، ص91.

5- المراكشي ، المعجب ؛المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص277.

وفي عهد الخلافة في بلاد الأندلس ، اهتم عبد الرحمن الناصر بتأسيس المدارس في أرجاء الأندلس فضلاً عن المؤسسات العلمية والثقافية التي أدت الى التطور في جميع مظاهر الفكر والتقدم العلمي[1] ، وقد حرص الحكام الأندلسيون على تربية الأبناء وإعدادهم فكرياً وتشجيعهم على التعلم عند افضل المعلمين من اجل مواصلة الحركة العلمية [2] ، وكان للخليفة الحكم المستنصر الدور الكبير في رعاية العلم والعلماء إذ كان فقيهاً عالماً بالأنساب والسير حافظاً للتواريخ عارفاً بأيام الناس جمع أهل العلم من كل مصر[3] ، وامتازت سياسته بالميل الى السلم والاهتمام بالحركة العلمية بشكل اوسع نظراً لاستقرار الأوضاع الداخلية ولطموحاته الشخصية وولعه بالعلوم والمؤلفات وقد وصف بأنه "عالماً بالأنساب ، حافظاً للتاريخ جماعاً للكتب مميزاً للرجال من كل عالم وجيل ، وكان قدوة"[4].

لقد اهتم بنشر التعليم بين عامة الناس في الأندلس وذلك بفتح الكتاتيب في المساجد والبيوت وذلك ضمن حملة التعليم المجاني للطبقة الفقيرة من أولاد الضعفاء والمساكين في الأندلس.[5]

1- صاعد الاندلسي ، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت467هـ) طبقات الامم ، نشره ، الاب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت1921م ، ص64.
2- ابن حيان القرطبي، المقتبس، ص24.
3- مجهول ، ذكر بلاد الاندلس، ج1، ص169.
4- ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص41.
5- ابن حيان ، المصدر السابق ، ص207.

وكانت من أعماله اتخاذه المؤدبين لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين القران حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ، ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتباً ، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة[1].

كما أنشا المكتبات العامة والخاصة ، وتضم نفائس الكتب في العلوم المختلفة ، وكانت المكتبة الخاصة للخليفة توصف بان عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط وان عدد كتبها بلغ (400,000) مجلد[2] .

حيث جمع نوادر الكتب في شتى العلوم ، إذ انه كان ولعاً ومحباً لاقتناء الكتب ولم يسمع بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها ، واهتم بالعلم ، ونوه بأهله ، ورغب الناس في طلبه ووصلت عطاياه وصلاته الى فقهاء الأمصار النائية عنه ، ومنهم ابو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما.[3]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص240.

2- ابن حزم القرطبي ، علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ) جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة 1962م ، ص100 ؛ مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ج1 ، ص169.

3- ابن بشكوال ، الصلة ، ج1 ، ص202.

كما انه بذل جهداً للحصول على أنفس وأثمن الكتب التي تصدر في بغداد حيث أرسل الى ابو الفرج الأصفهاني ألف دينار ذهباً ، يلتمس نسخة من كتابه الذي ألفه (الأغاني) ، ووصلت اليه نسخة منقحة قبل أن يظهر الكتاب للآخرين او ينسخه احد ومعه قصيدة من شعره [1].

وقد سعى الخليفة الحكم المستنصر على تشكيل المجمع العلمي الأندلسي في قرطبة يجتمع فيه كبار العلماء ومشاهيرهم في الأندلس ، وكان يقع على نهر الوادي الكبير يدعى بدار الملك وكان معروفاً عند أمراء الأندلس .[2]

وكان يبذل جهداً كبيراً في مطالعة الكتب والتعليق عليها ، وكان مع هذا كثير الاهتمام بكتبه وفي أي فن كان من فنون العلم ، يقرؤه ويكتب فيه بخطه ، أما في أوله او آخره او في تصانيفه ، نسب المؤلف والتعريف به ، ويذكر انساب الرواة له ، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن ، وصار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ينقلونه من خطه ، وانه يشمل على فوائد جمّة في أنواع شتى [3] ،

1- ابن بشكوال ، الصلة ، ج1 ، ص201 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص146.

2- بدر ، احمد ، الحياة الفكرية في الاندلس ، مقالة في دراسات تاريخية ، دمشق ، العدد 19:/ نيسان ، تموز1985م، ص106.

3- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ص202.

فضلاً عن ذلك فانه شجع حركة التأليف في مختلف فنون المعرفة واستقدم العلماء ورحب بهم وأغدق عليهم الأموال والهبات منهم محمد بن حارث الخشني من علماء سبته صاحب كتاب (قضاة قرطبة) ومحمد بن يوسف الوراق من المغرب ومحمد بن الازرق من مصر ومحمد بن العباس من حلب في الشام وغيرهم .[1]

واشتهرت مكانة قرطبة العلمية تحت إشرافه حتى يقال انه جمع العلماء على أسلوب الأكاديميات العلمية المعاصرة[2] ، حيث أصبح المجتمع الأندلسي يتهافت على تلقي العلوم مما أدى الى زيادة الوعي الثقافي ، حتى كان هناك نوع من التنافس على حفظ العلوم ، وفي عهده أصبحت مدارس قرطبة أعظم مدارس العالم ، وقصدها الطلاب من مسلمين وغيرهم لا من اسبانيا فحسب بل من مدن أوربية[3] ، وكانت مدارس قرطبة ومكتباتها مركزاً للترجمة من اليونانية والهندية وغيرها من الكتب القديمة الى اللغة العربية.[4]

ومما تقدم يتضح أنّ قرطبة في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر أصبحت عروس الغرب ، وأنها امتلأت بالمدارس[5].

1- بدر ، الحياة الفكرية في الاندلس ، ص114.

2- بيهم ، قوافل العروبه ومواكبها ، ج1 ، ص112 ؛ بدر ، المرجع السابق ، ص110.

3- حتي واخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص631.

4- زكريا ، زكريا هاشم ، فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، تحقيق محمد احمد المهدي، القاهرة 1970 ، ص267.

5- راضي ، علي محمد ، الاندلس والناصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 1962م ، ص40.

4- القناطر والجسور

كانت القناطر والجسور موضع اهتمام الأمويين في الأندلس واهم القناطر هي قنطرة قرطبة التي تصل بين مدينة قرطبة وضاحية شقندة ، وإنها من بناء الإمبراطور أغسطس ، وقد وجدها المسلمون مهدمة عند الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس ولم يبق منها سوى دعائمها .[1]

وبعد فتح قرطبة وجدوا فيها آثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثائق الأركان من تأسيس الأمم القديمة ، قد هدفها زيادة المياه في النهر على مرّ الزمان[2] ، وعلى الرغم مما كان به عهد الولاة من الاضطرابات والفتن إلا أنّ العرب المسلمون لم ينشغلوا عن البناء والعمران ، فكانت أولى أعمال البناء قام بها والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني حيث كانت سياسته الإصلاحية في الإدارة والاقتصاد والعمران نقطة تحول في تاريخ الأندلس ، وبناء هذه القنطرة كان من الاعمال البارزة التي اقترنت به [3] ، اذ عمل على تجديدها مستخدماً أحجار سور قرطبة التي تهدم من غربها سنة (101هـ) وأصبحت إحدى مفاخر قرطبة ، وحرص الأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس منذ ذلك

1- المقري ، نفح الطيب، ج2، ص25.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2 ، ص34.

3- عنان ، دولة الاسلام ، ج1 ، ص75.

التاريخ على إصلاحها وتجديدها حيث كانت لهذه القنطرة أهمية كبيرة في الحركة العمرانية في قرطبة [1] ، ثم تعرضت القنطرة سنة (161هـ) الى سيل جارف سدّ حناياها وهدم بعضها لزيادة مياه النهر [2] ، فأعاد ترميمها الأمير هشام بن عبد الرحمن وتولى بناءها بنفسه وانفق في إصلاحها اموالاً كثيرة [3] وتعطى الأجرة بين يديه .[4]

ومن الغريب أنّ الرعية في الأندلس كانت تتصور إنّ تجديد الأمير هشام بن عبد الرحمن للقنطرة كان لمصلحته الخاصة ، واعتقد بعض الناس إنما بناها لتصييده ونزهته ،[5] وبعد ذلك تعرضت الى أكثر من سيل كان في سنة (182هـ) وسيل آخر (288هـ،) هدم دعائمها وبعض أرجلها ، وفي سنة (331هـ) تثلمت فأصلحها عبد الرحمن الناصر .[6]

1- فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص175.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص83.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص388.

4- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1، ص66.

5- ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج1 ، ص14 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص388 .

6- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص316.

ثالثاً : العمران الحربي

1- الأسوار

كان اهتمام الأمويين بإقامة الأسوار في كافة المدن الأندلسية واضحاً ، وأول هذه المدن هي قرطبة التي تهدمت أجزاء متعددة من أسوارها خلال الفتوحات الإسلامية ، وخاصة سورها القبلي والغربي ، ونتيجة لاتساع نطاق هذه المدينة بازدياد سكانها

وعمرانها وإقامة الارباض خارج المدينة واتصالها بالأحياء (الحومات) أصبحت مدينة مفتوحة ، فأقيمت أسوار عديدة لحمايتها .[1]

وكانت من الحجر الذي استخرج من الجبل الأسود الذي يقع شمال مدينة قرطبة ، وكان هذا النوع من الحجر ضعيف المقاومة ، لذلك فانه كثيراً ما كان يتهدم او يتآكل بسبب الأحوال الجوية او الحروب ، مما دفع الأمراء والخلفاء الأمويين المتعاقبين على السلطة بترميم وإصلاح هذه الأسوار ، وكانت حدود قرطبة اقرب الى المستطيل[2] ، وعند الفتح العربي الإسلامي تمكنوا من الاستيلاء عليها من ثغرة في سورها القبلي بجانب القنطرة التي تهدمت واتسعت بعد ذلك كما تهدمت أسوارها في الجانب الغربي ، فأصبحت قرطبة مفتوحة للداخلين والخارجين .[3]

1- خالد ، اثار الاندلس ، ص36.
2- فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص170.
3- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج1 ، ص33.

ولمّا استقر العرب المسلمون ووطدوا حكمهم في الجزء الأعظم من شبه الجزيرة الأيبيرية ، قاموا بإنشاء مراكز عمرانية تهدف إلى تحقيق المصالح الاقتصادية وتدعيم نظامهم الدفاعي ، حيث أنّ أكثر مدن بلاد الأندلس التي أسسها العرب تميزت بصفات حربية مما يدل على أنها كانت للدفاع عن بعض المناطق[1] ، ولقد استعمل العرب المسلمون أحجار الأسوار الرومانية القديمة في منشاتهم الدينية والمدنية وتحولت مواضع هذه الأسوار الى شوارع واسعة ،ثم عمل المسلمون على إنشاء أسوار إسلامية البناء وأكثر اتساعاً من هذه الأسوار القديمة حيث أصبحت الأسوار الجديدة تحيط بكل ما حدث في المدينة من توسع عمراني جديد بعد الفتح العربي الإسلامي[2] ، وذلك ما فعله والي الأندلس السمح

بن مالك الخولاني في بنائه جسر قرطبة اذ استخدم أحجار سور المدينة المهدم
.[3]

وتم ذلك سنة (101هـ/719م) [4] ، ولم يتهيأ للسمح بن مالك الخولاني من بناء السور حيث استشهد سنة (102هـ/720م) في طرسونة وظل السور مهدماً الى آخر عهد الولاة ولم تتم عمارته إلا على يد عبد الرحمن الداخل .[5]

1- ابو دياك ، الوجيز في تاريخ المغرب ، ص314.
2- سالم ، العمارة الحربية بالاندلس ، ج2، ص151 .
3- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص26.
4- ابو دياك ، المرجع السابق ، ص315.
5- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص17.

وفي عهد الإمارة أصبحت قرطبة حاضرة الدولة الأموية في الأندلس ، فأصبح إحاطتها بسور يقيها خطر الطامعين ضرورة ملحة إذ أنّ الحوادث التي وقعت تدل على ذلك [1] ، فبنى الأمير عبد الرحمن الداخل سورا ً حصينا ً حول المدينة وكان ذلك سنة (150هـ/766م) .[2]

وكان الأمير عبد الرحمن الداخل قد بنى أسوار قرطبة على الطريقة الدمشقية ، إذ تم بناء القنطرة من احجاره ، وتحيط الأسوار مدينة قرطبة من جهاتها الأربع ، إما الرصافة والجانب الشرقي والجانب الغربي فكان يحيط بها خندق حيث كان يُعد خط الدفاع الأول عن قرطبة ، وقد أغنى النهر عن الخندق من الجهة القبلية [4] ، وما زالت بقايا سور الأمير عبد الرحمن الداخل قائمة ابتداء من المستشفى العسكري في قرطبة ، وظلّ سور قرطبة الروماني القديم موضع رعاية الأمويين .[5]

1- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص990.

2- ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (732هـ) المختصر في اخبار البشر ، ج1 ، بيروت(لا.ت) ، ص9.

3- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس، ص294.

4- ابن الخطيب، اعمال الاعلام ، ص103.

5- سالم ، العمارة الحربية بالاندلس ، ج2 ، ص152.

2- الأبراج والقلاع

كانت الأبراج تتوزع على أسوار قرطبة ، وفيها استخدمت الأبراج المربعة في التحصينات المعمارية حول المدينة ، والبرج يتألف من نصف أدنى للارتفاع ونصف آخر علوي تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى هدفها الحماية ، وفي جدران الأبراج منافذ للسهام ويغطي الغرفة في أحيان كثيرة قبوات نصف كروية ، وان البرج المستدير هو أفضل الأنواع لاستدراته ، وسهولة الاتصال من أجزائه ، وكانت الأبراج منتشرة على طول سواحل الأندلس ، وان إيقاد النار في الأبراج إيذاناً بالحرب إنما هي عادة عربية ، كما كان يحيط الأسوار أسوار أخرى أمامية وتخترقها أبواب تسهل عملية اتصال المدينة بخارجها [1].

وتعد قرطبة كثيرة المعاقل والحصون ومن أمثلة هذه الحصون (حصن القصير)[2] الذي يقع شرقي قرطبة على النهر وبينه وبين قرطبة ثمانية عشر ميلاً (وحصن المدور) الذي يقع على جبل يبلغ ارتفاعه (155م) مابين قرطبة واشبيلية ، بينه وبين قرطبة ستة عشر ميلاً ، حيث أسسه عبد الرحمن الداخل سنة (142هـ/759م) ولا تزال آثاره باقية .[3]

1- سالم ، المساجد والقصور ، ص156.
2- ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص175 ؛ الجزري ، تقدم العرب في العلوم والصناعات ، ص181.
3- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص456.

3- الثغـــــور

كانت الغزوات التي يشنّها أعداء الدولة العربية الإسلامية على سواحلها دافعاً لاهتمام الأمراء الأمويين على تحصين الثغور وإقامة القواعد ، وقد أنجز الأمير عبد الرحمن الداخل الكثير في هذا المجال ، والثغور قواعد ثابتة للدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية ولشن الغارات على الأعداء ، كما اتخذت مخازناً للسلاح وكانوا يعملون على تحصينها وترميم ما تضرر منها ، وجعلوا للجنود المستقرين فيها عطاء كبير لان عملهم حماية الحدود والغزو [1] .

وقد استطاع الأمير هشام بن عبد الرحمن أن يحمي حدود الدولة ، وقد بذل جهوداً كبيرة من اجل تحصين الثغور وتعزيزها بالمقاتلين وكان حسن السيرة في رعيته وتحصينه لثغوره .[3]

وعمل الأمير الحكم الربضي على حفظ الأمن في قرطبة وهو أول من جند بالأندلس الأجناد وجمع الأسلحة والعدد واستكثر الحشم وارتبط الخيل على بابه .[3]

1- زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج3 ، ص202.

2- مجهول ، اخبار مجموعة ، ص120.
3- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص127.

وكان الأمويون في الأندلس يحافظون على خزائن السلاح ومعدات التموين عن طريق وضعها في أماكن أمينة وحصينة وكثيراً ما كانوا يعملون على بناء القلاع والحصون لهذا الغرض ، كما عمل الأمير عبد الرحمن الداخل على إنشاء مصانع للأسلحة في قرطبة .

من خلال ما تقدم نلاحظ الاهتمام بتحصين مدينة قرطبة وإقامة القواعد فيها وإحاطتها بالأسوار ، حيث تحتفظ الأندلس بتراث عظيم يتضمن القلاع والحصون الإسلامية التي تنطق بالدور الكبير التي قامت به ، كما تعبّر هذه التحصينات الدفاعية عن الجهاد العربي الإسلامي لنشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية [1] ، إذ كانت قرطبة أشبه ما تكون بالقلعة او حامية عسكرية وقد وصف الشاعر كعب الاشقري القلعة : [2]

محلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زال عنها سحابها

لقد انتشرت في قرطبة وغيرها من مدن بلاد الأندلس التحصينات العسكرية سواء كانت قلاعاً او أسواراً للمدن وكانت القصور مزودة بأبراج ومزاغل .[3]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص95.
2- النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت732هـ) نهاية الارب في فنون الادب ، القاهرة 1923م ، ص404.
3- الالفي ، الفن الاسلامي ، ص123.

تُعد المباني الأندلسية قمة في فن الهندسة المعمارية فقد شيّد العرب المسلمون في الأندلس الكثير من العمائر والأبنية من قصور ومساجد وحصون وأبراج ، إلا أنّ معظمها

هدم في ظل التعصب الديني الذي أعقب خروج العرب من الأندلس[1] ، ومن الآثار الباقية مسجد قرطبة وقصر الزهراء بقرطبة وقصر الحمراء في غرناطة والجيرالد (المنارة) في اشبيلية ، ان هذه الآثار وغيرها قد تحدت بأصالتها عوادي الزمن ومعاول الهدم[2] ومع كونها من الآثار التي يفد لأجلها السياح الى اسبانيا من مختلف أنحاء العالم فهي سجل خالد لتراث العرب المسلمين في الأندلس.

وكان للفن العربي الإسلامي تأثير كبير على الفنون الأوربية وقد أكدَّ ذلك علماء أوربيون بفضل العرب ليس في الفن وحده وإنما في مختلف جوانب الحضارة .[3]

1- العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص152.

2- طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الاندلسي ، الموصل، 1987م، ص75 .

3- ارسلان ، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، ص303.

المبحث الثاني

فن العمارة والبناء وتأثرهما بالفن العربي الاسلامي لبلاد الشام

استطاع الأمير عبد الرحمن الداخل تنظيم شؤون الإدارة والحكم في بلاد الأندلس حيث انه "لما ألفى الأندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك ، عاطلاً أرهف أهلها بالطاعة

السلطانية ، وحنكهم بالسيرة المملوكية ، وأخذهم بالآداب ، فاكسبهم عما قليل المروءة ، واقامهم على الطريقة ، وبدا فدون الدواوين ، ورفع الاواوين ، وفرض الأعطية ، وعقد الولاية ، وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للملك آلته ، واخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، ولم يلبث ان دانت له بلاد الأندلس ، واستقل له الأمر فيها"[1].

وبعد نجاح سياسته وتوطيد حكمه بفضل وجهود وزرائه وحجابه الذين أحسن اختيارهم ، ممن أيدوه ونصروه واخلصوا له ومنهم عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن بخت ، وتمام بن علقمة ، وحسان بن مالك ، عمل على تشييد المنشات والعمائر في حاضرته قرطبة حيث ظهرت فيها حركة عمرانية لم تشهدها من قبل ، وأصبحت من المدن الكبيرة وعاصمة للإمارة الأموية ولما تمهد ملكه شرع في تنظيم قرطبة ، وشيد مبانيها ، وحصنها بالسور. [2]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص31.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص71.

وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ، ووسع فناءه وأصلح مساجد المدن ، ثم أنشا مدينة الرصافة تشبهاً برصافة جده هشام بن عبد الملك ، واتخذ بها قصراً حسناً وحدائقاً واسعة ، ونقل إليها الأشجار من بلاد الشام[1] ، حيث يلاحظ التأثير الشامي في كل منشاته ، وانه حاول أن يجدد مظاهر الخلافة الأموية في المشرق وما انقرض من آثارها ، الشامية حتى تكون استمراراً للحضارة الأموية في بلاد الشام إذ أقدم كأجداده الذين عملوا على بناء القصور خارج عاصمتهم أما للتمتع بهدوء الصحراء او لقضاء فصل الشتاء في البوادي ، منها ما كان في أودية الأردن مثل قصر عمره في عصر الوليد بن عبد الملك ، ومنها في عين الجار (عنجر) بلبنان الذي بناه الوليد الثاني ، والقصور التي أقامها هشام بن عبد الملك مثل قصر المفجر شمال أريحا ، وكان شتوياً وعلى جدرانه رسوم أدمية وحيوانية ، وقصر

الحير الشرقي الذي يبعد (60) ميلاً الى الشمال الشرقي من تدمر و (40) ميلاً من الرصافة ، وقصر الحير الغربي الواقع على بعد (40) ميلاً الى الجنوب الغربي من تدمر ، وقد أشارت المصادر التاريخية الى نزول هشام بن عبد الملك الرصافة وبنائه قصرين بها قصر الحير الشرقي في سنة 728م ، والحير الغربي سنة 830م[2] ، وكان عبد الرحمن الداخل يتذكر قصور أجداده خاصة قصور رصافة جده هشام ، فأقام منية الرصافة في الشمال الغربي من قرطبة للنزهة وسكناه في أكثر أوقاته ، وذلك في بدايـــــة إمارته [3] ، وزرع فيها ما جلبه إليه رسلـــه الى

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص318.
2- م.ن ، ج2 ، ص12.
3- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج5 ، ص519.

الشام من النوى المختارة والحبوب حتى نمت أشجاراً وأثمرت بالفواكه ، وانتشرت بأرض الأندلس[1] ، ومن فواكه منية الرصافة بقرطبة الرمان السفري ، وقيل انه الرمان المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ، وغزارة الماء ، ونوعية الشكل [2] ، وقد حصل سفر بن يزيد الكلاعي على بعض ذلك الرمان الذي وصل الى الأمير عبد الرحمن الداخل ، وغرسه حتى نما فجاء به الى الأمير الداخل فغرس منه بمنية الرصافة فأصبحت تتمتع بمنظر متميز ومنها انتشرت غروس الشام في الأندلس [3] ، ومن الأشجار التي كانت ترسلها أم الاصبغ أخت الأمير عبد الرحمن الداخل من الشام ، واهتم بغرسها في منية الرصافة لتذكره برصافة جده هشام أشجار النخيل ، وعندما شاهد في منية الرصافة نخلة أثارت أشجان عبد الرحمن الداخل وقال فيها :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلـــة   تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرّب والنوى   وطول التنائي عن بني وعن أهلـــي

نشأت بأرض أنت فيها غريبـــة   فمثلك في الأقصاء والمنتأى مثلـــي

يا نخل أنت غريبة مثلـــــــــي   في الغرب نائية عن الأصــــــــل[4]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص14.

2- ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج1 ، ص38.

3- المقري ، المصدر السابق ، ج2، ص15.

4- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص90 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص10.

وكان لقصر الرصافة سور يحيط به وفيه أبواب ومنها باب الجبل في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط [1] ، وفي قصر الرصافة أقام اردون الرابع ملك قشتالة المخلوع ، بعد أن وعده الخليفة الحكم المستنصر بنصرته ومساعدته على استرجاع عرشه [2] ، وقد زاد أمراء الأندلس بعد عبد الرحمن الداخل في عمارة الرصافة وتنافس الشعراء في وصفها[3] .

ولم يكن قصر الرصافة الذي أقامه عبد الرحمن الداخل القصر الوحيد في قرطبة الذي يشير الى انتقال التأثيرات الشامية الى الأندلس ، فهناك قصر آخر يعرف بقصر الدمشق ، واغلب الظن انه من بناء عبد الرحمن الداخل في قرطبة ، واتخذه الأمويين مكاناً لراحتهم وأفراحهم وقلدوا به قصورهم بالمشرق ، وقد شيد هذا القصر بالصفاح والعمد ، وقد أبدع في بنائه ، وزين سقفه بالزخارف المذهبة والمفضضة ، وأحيطت رياضه وجداوله في ساحاته بأرضيات مرخمة [4].

ولمّا استقرت أركان الدولة الأموية في عهد عبد الرحمن الداخل وتمهدت قواعد حكمه عمل على تمكين النظم الإدارية التي كانت سائدة في المشرق الإسلامي في زمن الدولة الأموية ، وتطبيقها ، حيث ارتقت الأندلس من مجرد ولاية تابعة للخلافة الأموية الى مصاف الدول الكبرى المستقلة .[5]

1- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص84.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص269.

3- م.ن ، ج2 ، ص15.

4- م.ن ، ج2 ، ص190.

5- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص26.

وان المسجد الجامع بقرطبة الذي أقامه الأمير عبد الرحمن الداخل يعكس التأثيرات الشامية في زخارفه المعمارية ونظام عقوده المزدوجة وسقفه ، وفي وضع مئذنة الجامع ، وفي تصميم مجنباته حول الصحن ، كما تذكر عقود جامع قرطبة المتعامدة على جدار القبلة بنظائرها في المسجد الأقصى، وان عبد الرحمن قد استعان بمهندسين سوريين في بناء هذا المسجد الجامع ، كما استعان الأمير عبد الرحمن الأوسط بعبد الله بن سنان احد الموالي الشاميين في بناء سور اشبيلية بعد غزوة النورمان لها في سنة 230هـ [1] ، وقد بذل عبد الرحمن الداخل جهوداً في نشر التقاليد الشامية التي كان يتذكرها في غربته فطبقها على أعماله العمرانية ، إذ كانت روحه مشدودة الى موطن صباه الى بلاد الشام والتي ما فارقت ذاكرته يوماً من الأيام ، فقد كان ذا شاعرية رقيقة وما قاله بهذا الشأن ، هذه الأبيات من مقطوعة شعرية ، بعثها الى أخته أم الاصبغ التي بقيت في بلاد الشام ولم تلحق به الى الأندلس ، يصف شوقه وحنينه الى وطنه الأول وموضع صباه الذي اضطر الى تركه ومنها [2] :

أيها الراكب الميمم ارضـــي	اقر من بعضي السلام لبعضـــــــــي
إن جسمي كما علمت بأرض	وفؤادي ومالكيه بـــــــــــــأرض
قدر البين بيننا فافترقنـــــــا	وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله الفراق علينـــا	فعسى باجتماعنا سوف يقضـــــي

1- ابن القوطية ، افتتاح الأندلس ، ص65.

2- المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، 23.

الفصل الخامس

حضارة بلاد الشام وأثرها على نهضة قرطبة العمرانية في عصر الخلافة الأندلسية

- المبحث الأول: عبد الرحمن الناصر وجهوده في وحدة البلاد
- المبحث الثاني: العلاقات الدبلوماسية في عصر الخلافة الأندلسية
- المبحث الثالث: مظاهر الحضارة العمرانية في قرطبة الإسلامية

  أولا: المساجد والجوامع

  ثانياً: المدن

  ثالثاً: الحمامات
- المبحث الرابع: الصناع والحرفيين وإثرهم في ازدهار العمران في الأندلس

الفصل الخامس

حضارة بلاد الشام وأثرها على نهضة قرطبة العمرانية في عصر الخلافة الأندلسية

المبحث الأول

عبد الرحمن الناصر وجهوده في وحدة البلاد

استطاع الأمراء الأمويون من عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الثاني (الأوسط) تثبيت دعائم الإمارة وشيوع مظاهر الحضارة في مختلف نواحي الحياة ، فكانت قرطبة في عهدهم قوة مركزية دانت لها كل الأقاليم بعد أن تمكنوا من إخماد الثورات والفتن الداخلية وأوقفوا الغزوات والتوسع المسيحي في داخل الأندلس ، كما حافظ الأمراءعلى التفوق السياسي والعسكري للإمارة رغم كل الظروف الصعبة التي تحيط بقرطبة .

ولما توفي عبد الرحمن الثاني (الأوسط) ولى الحكم من بعده أمراء واجهوا مشاكل عديدة هم محمد بن عبد الرحمن التي امتدت ولايته من (238-273هـ) وخلفه المنذر بن محمد من (273هـ-275هـ) ثم خلفه عبد الله بن محمد من (275هـ-300هـ) ، وكانت مدة حكمهم تقدر بنحو 62 عاماً[1] ، مليئة بالاضطرابات السياسية والفتن والثورات وقيام دويلات مستقلة عن سلطة الحكومة المركزية في قرطبة ، حتى أصبح الأمير لا تمتد صلاحياته إلا في قرطبة ونواحيها فقط ، وقد أحاطت بها المخاطر وتفككت وحدتها السياسية.[2]

1- عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ص169 ؛ الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس ، ص146.
2- ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص41.

إنّ المجتمع في بلاد الأندلس في تلك الحقبة لم يكن واحداً ، بل كان يضم في تركيبته السكانية شعوباً وأجناساً متعددة ، فضلاً عن سكان البلاد الأصليين والذين ينقسمون الى المولدين المسلمين والمستعربين المسيحيين وهناك العرب الفاتحون وهم ينقسمون الى عرب الجنوب وعرب الشمال ، واستمرت

صراعاتهم في الأندلس ومن الفاتحين البربر ، فضلاً عن ذلك شعوب الولايات الشمالية الاسبانية مثل سكان جليقية ، والبشكنس سكان نافارا ، والقطلان سكان قطالونيا ، فهذه الأقوام والأجناس تمثل طبيعة المجتمع الأندلسي والذي لا يمكن السيطرة على هذا التنوع العرقي والديني الا بوجود قوة مركزية [1] ، وقد استغلت هذه العناصر المتنوعة الظروف التي تعيشها الإمارة بعد وفاة عبد الرحمن الثاني سنة (238هـ/852م)، وأسسوا عدة كيانات مستقلة عن الإمارة المركزية في قرطبة ، فالمولدون أعلنوا عن تشكيل دويلات مستقلة ثلاث ، الأولى كانت الى بني موسى في منطقة سرقسطة او الثغر الأعلى ، والثانية الى بني مروان الجليقي في ولاية بطليوس غرب اسبانيا ، والثالثة الى بني حفصون في المرتفعات الجنوبية الاسبانية وقاعدتهم بشتر.[2]

1- الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس ، ص248.

2- ابن القوطية ، افتتاح الاندلس ، ص90 ؛ اخبار مجموعة ، ص51.

أما زعماء البربر فقد استقل بنو ذي النون في طليطلة ، ومن العرب إبراهيم بن حجاج في اشبيلية وقرمونة ، وهكذا أصبح حال الأندلس حيث كانت الظروف المحيطة بالإمارة صعبة فقد مزقتها الانشقاقات والاضطرابات والفتن وأتعبتها الحروب ، فكان لابد من معالجة هذه المخاطر .[1]

وبعد وفاة الأمير عبد الله بن محمد سنة (300هـ/912م) ولى عبد الرحمن بن محمد الإمارة دون أعمامه ، حيث كانت الأندلس يومها تحتاج الى الهمّة العالية والسياسة الحكيمة

لحل مشاكلها ، وتوفير الاستقرار المطلوب ، إذ تعلقت به آمال الناس وكان يتوقد عزماً ،ويتحرق شوقاً لتوطيد دولة الإسلام في الأندلس واستقرارها .

كان عبد الرحمن بن محمد (الثالث) أميرا ً حازما ً وذكيا ً وشجاعا ً ، محباً للإصلاح وحريصاً عليه ،قاد الجيوش بنفسه ، وانزل العصاة من حصونهم لشجاعته بالسيف أحياناً وبالسياسة الحكيمة أحياناً أخرى ، عفا عمن طلب الأمان وعاد الى الطاعة ، أحبه رعيته واخلصوا له ، وكان قدوة لهم لذلك استطاع أن يقضي على المناوئين ويعيد للأندلس وحدتها ومكانتها ، ومواجهة الثورات الداخلية. [2]

1- الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس ، ص248.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص223.

وجد عبد الرحمن بن محمد (الثالث) ارض الأندلس مضطربة بالثائرين جمرة نفاق تحتدم ونار فتنة تشتعل ، فعمد قبل كل شيء الى إخماد هذه النيران ، وكانت سياسته تهدف الى جعل السلطة المركزية في يده ، وتوحيد الأندلس ، لهذا كان لزاماً عليه اعتماد الترهيب والترغيب ، او الشدة واللين ،وقد شرع في تنفيذ خطته في إصرار وعزم ، فأرسل كتبه الى العمال في جميع مناطق الأندلس يطلب الطاعة والاستسلام . [1]

وكان أول رد فعل بالطاعة وصله من سعيد بن سليم عامل حصن مارتس من كورة جيان ، وأوفد أمناءه الى أنحاء البلاد لأخذ البيعة حيث أرسل الى حكام الثغرين الأدنى والأقصى الفقيه أبي مروان عبيد الله بن يحيى ومحمد بن عبد الله بن نصر ، والى كورة الغرب حفص بن عبد الرحمن ، واحمد بن عبد الملك ، وكان أول من بايع الأمير عبد

الرحمن بن محمد (الثالث) من الأطراف محمد بن عبد الرحمن التجيبي أمير سرقسطة ، وتتابعت البيعة والاستسلام من جميع أنحاء الأندلس ، واستبشر الناس خيراً بهذا الأمير الذي دخلت محبته في نفوسهم ، لما أبداه من التسامح للخارجين على السلطة المركزية .[2]

1- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص203.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص161.

أما بنو حجاج باشبيلية فقد استطاع الأمير عبد الرحمن الثالث أن يجتذب اليه منهم احمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج والذي وليَّ اشبيلية بعد وفاة عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج سنة (301هـ/913م) فسلم له مدينة اشبيلية في نفس السنة ، ثم أذعن له محمد بن إبراهيم بن حجاج حاكم قرمونة ، وبعد قدوم محمد بن إبراهيم بن حجاج على الأمير عبد الرحمن الثالث عرض عليه محاربة أهل اشبيلية فأخرجه لذلك مع قاسم بن وليد الكلبي وحاصراها شهوراً ثم خرج اليها الحاجب بدر بن احمد فدخلها سنة (301هـ/913م) وهدم أسوارها ، وتم تعيين سعيد بن المنذر عليها فبنى القصر القديم المعروف بدار الإمارة وحصنه بسور من الحجر [1].

ومن اخطر المشكلات التي واجهت الأمير عبد الرحمن الثالث هي مشكلة ابن حفصون ، حيث لم يستطع من سبقه القضاء عليها واستفحل أمرها وقويت شوكتها واتسعت رقعتها ، وقد تتابعت عليه الحملات حتى ضعف أمره ، فوجد طريق المصالحة والطاعة للسلطة المركزية هو الأمثل ، وتمكن

الأمير عبد الرحمن الثالث من التخلص منه بعد وفاته سنة (305هـ/917م) ، وكذلك من أبنائه من بعده سنة (315هـ/927م).[2]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص224.

2- الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس ، ص248.

واستطاع عبد الرحمن الثالث من هزيمة أعدائه ، وان يوحد الأندلس تحت قوة قرطبة المركزية ويعيد لها السيادة الإسلامية [1] ، بعد أن حقق الانتصارات وكانت الظروف لأطراف النزاع مهيأة لقبول مبادرته حيث استغل الوقت المناسب لإصدار رسائله إذ تعبت الناس من كثرة الحروب التي شهدتها في عصر الاضطرابات ، وان الجهود قد انصبت جميعها على مقاومة وقتال المنشقين مما أدى الى إضعاف قوتهم ، وتمكن عبد الرحمن الثالث من معرفة هذه العوامل واتخاذ قرار المصالحة الذي كان الحل المناسب لحسم النزاعات بعد أن ضمن حقوق أطراف النزاع عن طريق السلام والعودة الى السلطة المركزية في قرطبة .[2]

تولى الأمير عبد الرحمن الثالث وهو يحمل فكرة وخطة ومشروع لإقامة حكومة قوية واتبع أسلوب الحزم واللين محاولاً جمع كلمة البلاد وتوحيدها ، وقد وصف بالخصال الحميدة وأعجب بحكمه وسياسته وان أعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الإسلام بملكه [3] وقد اخمد نيران الفتن وفتح الأندلس كما فتحها جده عبد الرحمن الداخل .[4]

1- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص202.
2- العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص168.
3- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص144.
4- مجهول ، المصدر السابق ، ص203.

وبعد أن بلغ عبد الرحمن الثالث من القوة والنفوذ واجتاز أصعب المراحل في طريق الوحدة السياسية ، خطى خطوة جديدة هي إعلانه الخلافة عام (316هـ/929م) وتلقب بأمير المؤمنين وبذلك منح حكمه صفة دينية وسياسية منافساً بها المشرق الإسلامي لان الدولة عظمت في أيامه ، حين اختل نظام ملك العباسيين بالمشرق .[1]

وتشير المصادر التاريخية الى أنّ عبد الرحمن بن محمد الثالث هو الذي قرر هذا الأمر بنفسه بعد أن دانت له جميع المناطق خارج قرطبة ، إذ انه في سنة 316هـ/929م قرر أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه ، بأمير المؤمنين ، فعهد الى احمد بن بقي القاضي صاحب الصلاة بقرطبة ، وفي يوم الجمعة من ذي الحجة سنة 316هـ ، اصدر الخليفة الجديد منشوراً عاماً على عماله في الكور والمدن الأندلسية قائلاً : "وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، إذ إنّ كل مدعو بهذا الاسم غير منتحل له ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أنّ التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه"[2].

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص343 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص137.

2- العبادي ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص178.

رفع العرب المسلمون راية الإسلام والجهاد في سبيل الله ، فالعزة لله ولرسوله وللمسلمين ، لايرضون بالهوان ولا بالذل لغير الله ملتمساً ومسلكاً ولم يكن مجتمع المسلمين في الأندلس فقيراً بموارده ، ولا ضعيفاً بإمكاناته ، غير أنّ تلك الموارد كانت تضيع في صراعات تبتعد بالمسلمين عن السبيل القويم ، فاستطاع عبد الرحمن الناصر معالجة تلك الأوضاع فعامل الأعداء في الداخل باللين والقوة ، وعفى عن كثير منهم ، وتآلف القوم وهدأت القوى الثائرة ، فانصرف لبناء القدرة الذاتية ووجهها نحو الأعداء الحقيقيين الخارجيين ، فأخضعهم مرات عديدة واقتنعوا في النهاية بعجزهم عن مجابهته فاستكانوا وخضعوا [2].

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، لم يكن مجد أندلس المسلمين قائماً على القدرة الاقتصادية ، وان كانت هي القاعدة الأساسية لبناء الدولة ، كما انه لم يكن قائماً على القدرة العسكرية وان كانت هي أداة بناء الدولة المزدهرة ، وكذلك لم يكن قائماً على العلم والمعرفة وان كان ذلك هو الترجمة العملية لاقتران القوة العسكرية بالقوة الاقتصادية ، إذن فقد كان مجد أندلس المسلمين قائماً على التكامل في دفع القدرات والإمكانات المتوفرة لتعزيز دولة الإسلام والمسلمين وتحقيق وحدتها تحت قيادة مخلصة .[2]

1- مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ج1 ، ص161 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص224.
2- العسلي ، بسام ، عبد الرحمن الناصر ، ط2 ، بيروت 1983 ، ص6.

المبحث الثاني

إتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الاسبانية والدول الأوربية ، إذ اجتمعت في شخصيته عدة مواهب أهلته ليكون حاكماً على قدر كبير من النجاح ، فهو سياسي مرن ، وأداري وقائد شجاع ، فضلاً عن ثقافة أدبية واسعة وذوق فني رفيع ، وشخصية كهذه لابد أن تترك أثرها على دولة الأندلس بصورة عامة وقرطبة بصورة خاصة حيث وصل بانجازاته الى أن يجعل منها جوهرة العالم تزدحم بالسكان وتشمخ في سمائها العمائر والقصور ويؤمها أصحاب العلم وطلابه من كل حدب وصوب [1] .

وأصبح عبد الرحمن الناصر الشخصية الأكبر قوة في غربي البحر المتوسط ، وتم تبادل السفارات والهدايا مع عدد من ملوك الدول الأوربية بسبب قوة جيشه ، وغنى الأندلس ، والازدهار العلمي ، والأمن والاستقرار ، والموقع الجغرافي المتميز للأندلس ، وعندما سمعت به ملوك الروم والفرنجة وسائر الأمم ، أقدمت إليه ، وأوفدت خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية وتوجهت الوفود والسفارات تخطب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها وكسب صداقة الخليفة عبد الرحمن الناصر لأنه أصبح موضع إعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة له [2].

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص343 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص137.
2- الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، ص74 ؛ العسلي ، عبد الرحمن الناصر ، ص118.

إذْ وصل إليه سنة (336هـ/947م) قسطنطين بن ليون بن شل صاحب القسطنطينية ، واحتفل عبد الرحمن الناصر بلقائهم في يوم مشهود ورتب العساكر بالسلاح وزين قصر الخلافة ، وجعل سرير الخلافة بين مقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقرابة ، ووقف الوزراء في أماكنهم الخاصة ، ودخلت الوفود واستغربت ما شاهدته ، وأوصلوا رسائلهم ، وأمر يومئذٍ الخطباء أن يعظموا الإسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله ، وقد أجاب

عبد الرحمن الناصر على هذه السفارة بوفد رفيع المستوى لتوطيد العلاقة مع القسطنطينية وأرسل معهم هشام بن كليب ليجدد الهدنة وعاد بعد سنتين بعد إكمال مهمته .[1]

كما وصل في سنة (343هـ/945م) وفد ملك الصقالبة هوتو ، واحتفل بقدومه وبعث مع الوفد الأسقف ريفا لتأكيد العلاقة .

وفي سنة (344هـ/946م) جاء وفد اردون بن رذمير يطلب السلام فعقد له .[2]

1- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص142ى ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص37.

2- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص142 ؛ الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، ص75.

ومن العلاقات المثيرة التي شهدتها الخلافة الأموية في الأندلس أثناء مدة حكم عبد الرحمن الناصر ، ذلك الاتصال الذي حصل بينها وبين الإمبراطورية الرومانية التي كان على رأسها اوتو الأول وهو أقوى الشخصيات الأوربية في ذلك الوقت ، وتجدر الإشارة الى أن إمبراطورية شارلمان التي توارثها هذا الملك (اوتو) فقدت كثيراً من أهميتها السابقة ،ولم تعد مكافئة في قوتها السياسية مع الخلافة الأموية في الأندلس .[1]

ويبدو أنّ هذه الاتصالات قد جاءت نتيجة للغارات البحرية التي كان يشنها الأندلسيون على سواحل بلاده الجنوبية ، فان اوتو الأول اعتبر في حينها إنّ عبد

الرحمن الناصر هو المسؤول عن أعمال القرصنة والتخريب التي يقوم بها البحارة الأندلسيون وأرسل الى الخليفة الناصر رسالة شديدة اللهجة رد عليها الخليفة برسالة مماثلة سنة 339هـ/950م [2]، وبعد رسائل عديدة متشنجة ورسل فشلوا فـــي تحقيــق السلام والصلـــح

1- العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص412.

2- م. ن، ص413.

أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر سفيراً الى الإمبراطور اوتو واختار رجلاً يجيد العربية واللاتينية وهو (رثموندو Recemundo) المعروف في الروايات العربية ربيع بن زيد ، إذ استقبله الإمبراطور وأجابه الى كل ما اقترحه ، وهكذا تم الصلح بين الطرفين وتبددت السحب السوداء التي غمرت العلاقات بينهما ، حيث كان لسفير الناصر دوره الايجابي في هذا المجال [1].

وتشير المصادر التاريخية الى مراسيم استقبال الخليفة عبد الرحمن الناصر رسل الملوك الذين وفدوا الى قرطبة حيث :

"جلس الناصر على سرير الملك بقصر الزهراء لدخولهم عليه ، بعد أن أمر باستقبالهم بالعدد والأجناد ، واستوي الناصر على سريره في بهو المجلس الزاهر ، وجلس على يمينه ابنه الحكم ، وجلس سائر أولاده عن يمينه ويساره ، وجلس الوزراء والحجاب على منازلهم صفوفاً ، فدخل الرسل وقد قدموا الهدايا بين أيديهم ، وقد دهشوا لهول ما عاينوه من حسن التنظيم ، فصعقوا بين يدي الخليفة ، فأشار إليهم ، فدعوا إليه كتاب مرسلهم قسطنطين ، وكان بلون سماوي مكتوباً بالذهب ".[2]

1- العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص413.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص324.

وشهد عهد الخليفة الحكم الثاني نشاطاً دبلوماسياً حيث استقبلت قرطبة عدد من السفارات منها وصول (اردينو) الرابع حاكم جليقية عام (351هـ/962م) بصحبة (20) رجلاً من خاصته [1].

وقد استقبل الحكم الثاني الوفد بحفاوة وتقدير " اذ دخل بين صفي الترتيب ، يقلب الطرف في نظم الصفوف ، ويحيل النظر ، فراعهم ما أبصروه"[2] .

وكان أول ما زار الملك الضيف (اردينو) قبر الخليفة عبد الرحمن الناصر مظهراً الحزن لفقده ، حتى خلع قلنسوته وانحنى أمام قبره .[3] ووفدت سفارة شانجو الأول ملك ليون عام (355هـ/966م) لطلب الصلح والسلام مع حكومة قرطبة والموافقة علـــى نقـــل رفات بلايـــــو

1- Torres Balbas ,Arte Hispano Musulman ,en Lacoleccion Historia de Espana ,(Madrid , 1957),p591.

2- المقري ، ازهار الرياض في اخبار عياض ، دار احياء التراث الاسلامي ، ج2 ، الرباط ، 1978 ، ص289.

3- الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، ص84.

الى ليون فاستجاب الخليفة لذلك الطلب وتم نقله في حفل كبير من قبلهم [1].

وفي سنة (360هـ/970م) استقبلت قرطبة سفارة من الممالك الاسبانية، إذ وصل وفد غرسيه بن شانجه ملك البشكنس مع جماعة من الاساقفة يرغبون في الصلح بعد أن كان قد توقف فاجابهم الحكم الثاني [2].

واستقبلت قرطبة سنة (362هـ/973م) عدد من الممالك الاسبانية حيث " جلس أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء جلوساً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفدوا اليه شهده الوزراء والحجاب وقد طلب من الوفود فحضروا وأذن لرسل الملوك فوصل أولهم رسل شانجه بن غرسيه بن شانجه صاحب بنبلونة ثم رسل فردلند ثم رسل غومس فانهوا ما تحملوا من مرسليهم واقتضوا أجوبتهم الذي قدموا من اجلها وإقامة الصلات بينهم ".[3]

وفي سنة (363هـ/973م) وفدت الى قرطبة سفارة مملكة جليقية ، وفي نفس السنة 363هـ استقبل الخليفة الحكم الثاني ثلاث سفارات هي سفارة برشلونة وسفارة الإفرنج وسفارة قشتالة .[4]

1- الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثاني ، ص89.
2- البشكنس : هم سكان نافارافي اقصى شمال اسبانيا ، مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص129.
3- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص145.
4- ابن حيان القرطبي ، المقتبس ، ص63.

وقد وصل رسول صاحب مدينة برشلونة مع كتابه الذي تضمن التزامه بالطاعة [1] ، كما وصل رسول هوتو ملك الإفرنج مجدداً لعهده ومؤكداً لعقده، وكذلك مملكة قشتالة الذي يحمل رسولها كتاباً للخلافة يتضمن الالتزام بالسلم [2] .

فضلاً عن سفارة النورماند رداً على رسالة الملك تيوفلس حيث قاد يحيى بن الحكم الغزال الجياني السفارة التي أوفدها الأمير عبد الرحمن الثاني للتفاوض ووضع حد للهجمات ومعرفة أسباب حدوثها ، لما كان له من بديهية الرأي وحسن الجواب والإقدام والدخول والخروج من كل باب [3] ، وحاول يحيى الغزال تلطيف الموقف عند ملك النورماند ، إذ أخفى الكأس من الذهب المزدان بالأحجار الكريمة الذي شرب فيه ماءاً ، مما أثار استغراب الملك ، وقال يحيى الغزال إنّ السفراء عند أمراءنا يمكنهم الاحتفاظ بالكؤوس الذي يشربون بها ، فان كان لديكم غير ذلك فاني مستعد لإعادته إليكم .

أنّ السفارات المذكورة تؤكد العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس والممالك الأخرى ، وبذلك فقد تميزت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس بالقوة التي أدت الى وصول العديد من المبعوثين من ملوك الدول طالبين عقد اتفاقيات السلام .[4]

1- ابن حيان القرطبي ، المقتبس ، ص182.
2- م.ن ، ص183.
3- ابن دحية الكلبي البلنسي ، الحافظ مجد الدين (ت633هـ) المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري واخرون ، القاهرة 1955م ، ص138.
4- بروفنسال ، ليفي ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة 1956م ، ص106.

المبحث الثالث

مظاهر الحضارة العمرانية في قرطبة الإسلامية

أولاً : المساجد والجوامع

يثير المسجد الجامع في قرطبة الإعجاب ، وانه واكب تاريخ الأمويين في الأندلس ، بحيث أصبح لكل أمير منهم بصماته الواضحة عليه ، فيكون مع كل عهد أكثر اتساعاً ، حتى إذا كانت خلافة عبد الرحمن الناصر بلغ أقصى اتساعه فمن ناحية الجنوب أصبح محاذياً لنهر الوادي الكبير [1] .

ومن إضافات عبد الرحمن الناصر لهذا المسجد الجامع انه أقام له صومعة (مئذنة) جديدة كبيرة من الحجر سنة 340هـ/950م ، وذلك بسبب تصدع القديمة ، وإنها كانت ذات مطلع واحد ، فأمر بإزالتها وجعل للمئذنة الجديدة مطلعين فصل بينهما بالبناء فلا يلتقي الصاعدون إلا بأعلاها ، وكان لكل مطلع مائة وسبعة أدراج ، وطولها ثمانون ذراعاً الى وقوف المؤذن ، وفي أعلى المنارة ثلاث رمانات تغشى النواظر بشعاعها وتخطف الإبصار بالتماعها الأولى من الذهب والوسطى من الفضة والثالثة من الذهب ايضاً[2] ، ولقد اشتهر عهد عبد الرحمن الناصر بالرقي والازدهار وبناء المنشآت العمرانية الكبيرة .[3]

1- عبد الجواد ، محمد توفيق ، تاريخ العمارة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1969م ، ص277.

2- Amador de los Rios , In scripciones arabes de cordoba (Madrid , 1892), p.56.

3- الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي ، ج1 ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1981م ، ص278.

ووصف بأنه من ملوك العالم البارزين في العصور الوسطى[1] ، حيث ذكر إبراهيم بن صاحب الصلاة المسجد الجامع في قرطبة قائلاً : " واني شخصت الى قرطبة حرسها الله منشرح الصدر ، لحضور ليلة القدر ، والجامع قدس الله بقعته ومكانه ، وثبت أساسه وأركانه ، قد كسي ببردة الازدهاء ، وجلي في معرض البهاء ، كأن شرفاته فلول في سنان ، وكأنما ضربت على سمائه كلل ، او خلعت على أرجائه حلل ، وكان الشمس خلقت فيه ضياءها ، ونسجت على أقطاره افياءها ، فترى نهاراً قد أحدق به ليل ، كما أحدق بربوة سيل ، ليل دامس ، ونهار شامس ، وكإشارة السبابات في التحيات ، والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود ، وعرضت عليها عرض الجنود ، ليجتلي طلاقة روائها القريب والبعيد ، ويستوي في هداية ضيائها الشقي والسعيد..."، ويصف قباب الجامع ومحرابه قائلاً : " وظهور القباب مؤللة وبطونها مهللة ، كأنها تيجان ، رُصع فيها ياقوت ومرجان ، قد قوّس محرابها احكم تقويس ، ووشم بمثل ريش الطواويس ، حتى كأنه بالمجرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق ، وكان اللازورد ، حول وشومه، وبين رسومه ، نتف من قوام الحمام او كسف من ظلل الغمام"[2].

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص90.

2- م.ن ، ص91.

وأقام الخليفة عبد الرحمن الناصر المئذنة الجديدة للأسباب الاتية :

1. تصدع المئذنة التي بناها الأمير هشام بن عبد الرحمن بحيث أصبح وجودها خطراً على حياة المؤذنين او من يصلي في السقيفة الشمالية ، وان الذي دعاه الى بنائها صدع حدث في القديمة فهدمت الى قواعدها .[1]
2. ضيق صحن الجامع بالنسبة لبيت الصلاة الذي اتسع اتساعاً كبيراً نحو القبلة بعد زيادة عبد الرحمن الأوسط .[2]
3. كان الجدار الشمالي للجامع الذي يستند عليه الجدار القبلي للمئذنة منحرفاً بعض الشيء نحو الشمال الشرقي ، ولم يكن محاذياً لجدار القبلة ، لذلك اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر بإقامة جدار شمالي يوازي جدار القبلة حتى يتم تناسق المجنبات وتنظيم أشكالها .[3]
4. أراد عبد الرحمن الناصر ان يسجل في الجامع زيادة تعبر عن قوة الخلافة ولما كان مشغولاً ببناء الزهراء فقد اكتفى بتوسيع الصحن وإقامة مجنبات جديدة تدور حوله وإقامة صومعة كبيرة تتناسب مع اتساع مساحته .[4]
5. لم تعد تليق بعظمة الجامع وأصبحت صغيرة بالنسبة للمسجد في اتساع مسجد قرطبة بعد زيادة عبد الرحمن الأوسط .[5]

1- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج1، ص334.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص228.

3- سالم ، المرجع السابق ، ج1 ، ص235.

4- م.ن ,ج1 ، ص243.

5- م ن ، ج1 ، ص237.

أما الخليفة الحكم المستنصر بالله فقد بذل جهوداً كبيرة في العمران بالمسجد الجامع في قرطبة وأضاف اليه زيادات وتوسيعات بارزة .[1]

وفي سنة 355هـ/964م ، تم العمل بمنبر جامع قرطبة ، ونصب بالمقصورة ، وكان مؤلف بالأبنوس والصندل الأحمر والأصفر ، ووصلت تكاليفه الى خمسة وثلاثون ألف وخمسمائة دينار ، وعدد درجاته تسع درجات، وفي سنة 356هـ/966م أوصل الماء العذب الى سقايات الجامع ، والميضأتين اللتين مع جانبيه ، وقد جلبه من عين بجبل قرطبة ، ويجري في قناة من حجر متقنة البناء ومحكمة الهندسة ، ويعد من التحف الفنية في العمارة الإسلامية [2] .

كما اهتم الحاجب المنصور بن أبي عامر بتعمير الجامع بقرطبة وتوسيعه وزيادته على ما كان بناه الخلفاء قبله ، وقد ابتدأ بذلك في رجب سنة 381هـ/991م ، وتولى مهمة الإشراف الفنية (أمية بن احمد المرواني) بتكليف من الحاجب المنصور وكان العمل فيه ثلاث سنوات ، حيث صلى الناس فيه في رجب سنة 384هـ/994م.[3]

1- Ricard , pour comprendre l'art muslman (paris,1924) ,p.132.

2- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص212.

3- الكبيسي ، خليل ابراهيم ، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس، اطروحة دكتوراه ، بغداد ، كلية الاداب، 1980 ، ص65.

وصف جامع قرطبة " بأنه من أشهر جوامع الإسلام حسناً ، وإتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة في ذلك تعني عن استغراق الوصف فيه ، ومن عجيب شانه انه لا تنسج به العنكبوت ، ولا تدخله ، ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف"[1] ، كما وصف الجامع وما به من العجائب " في يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه ، غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر ، وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، دبرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما ، احدهما تحت أول باب والثاني تحت آخرها ،والطاستان مثقوبتان ، فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة ، وتبصر البازين ممران أعناقهما بالبندقين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي ، وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة ، لا يزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها ، ثم تعود الى حالها الأول ، ولها بالليل تدبير آخر" .[2]

1- ابن جبير ، محمد بن احمد (ت614هـ) ، رحلة بن جبير ، بيروت ،1979م ، ص235 ؛ المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت375هـ/985م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، 1906م، ص223.

2- ابن جبير ، المصدر السابق ، ص236.

يُعد مسجد قرطبة الجامع مثالاً على اثر العرب المسلمين الحضاري في بلاد الأندلس ، حيث كان عملاً فنياً لا ترقى الى مصافه سوى أعمال فنية معدودة ، وقد تحول في عهد الخليفة الناصر والمستنصر الى أشبه ما يكون بالجامعة[1] ، وان عدداً من الفقهاء والعلماء درسوا فيه ومنهم :

1. القاضي الفرج بن كنانة : وهو من شذونة ومن الفقهاء بالأندلس رحل الى المشرق وعندما عاد من رحلته ولاه الأمير الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة سنة (118هـ) .[2]
2. القاضي يحيى بن معمر : كان زاهداً ورعاً عينه الأمير عبد الرحمن الأوسط على القضاء سنة (209هـ) وكانت له رحلة الى المشرق لقي فيها أشهب بن عبد العزيز وسمع منه ومن غيره ، وقد صلى يحيى بن معمر صلاة الخسوف سنة (218هـ/833م) ، وكان شديداً على طلابه.[3]
3. الفقيه ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي : كان بحراً بالعلوم يزخر وجلا عن الألباب الصدأ وسمع بالأندلس وتفقه [4] وله في الفقه كتاب (الواضحة) وقد توفي بالاندلس سنة (328هـ/852م)[5].
4. القاضي منذر بن سعيد البلوطي : وهو من الفقهاء البارزين تولـــــــى

1- عيسى ، تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص73.

2- ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، ص391.

3- النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص44.

4- ابن الفرضي المصدر السابق ، ص315.

5- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص144.

قضاء الجماعة في قرطبة من سنة 329هـ الى 335 هـ ، فضلاً عن الصلاة في المسجد الجامع بقرطبة ، وله مواقف بارزة في خلافة عبد الرحمن الناصر حيث نهض في حفل استقبال سفير الدولة البيزنطية وخطب خطبة بليغة .[1]

5. الخشني القيرواني : هو الذي أمره الخليفة الحكم المستنصر بتأليف كتاب (قضاة قرطبة) إذ قال : " وسألت أهل العلم كما تقدم من سيرهم قولاً وفعلاً فالفت من ذلك فصولاً وقصصاً تبهج السامعين "[2] .

كان لهذا المسجد مكانته الخاصة عند أهل قرطبة حتى انه عندما يقرر احدهم الرحيل من قرطبة كان يزوره متبركاً به ، فالقاضي ابو محمد عبد الحق بن عطية حينما أراد الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع مودعاً وانشد شعراً مرتجلاً فيه[3] ، ولهذه المدينة أهمية كبيرة حيث يقدم اليها الكثير من الناس لشؤونهم المختلفة ، وكان إنشاء الجامع فيها يضيف لها أهمية خاصة في نظر العالم العربي الإسلامي ، وان لها تاريخ مجيد عند العرب المسلمين ، وان المسجد الجامع في قرطبة معلماً حضارياً شاخصاً يبرهن على ما أبدعه العرب المسلمون في فنون العمارة والبناء في ذلك الوقت ، واستمرارية هيكله المعماري الى حقبة طويلة .[4]

1- الخشني ، قضاة قرطبة ، ص120 ؛ النباهي ، تاريخ قضاة قرطبة ، ص45.

2- ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة ، ص2.

3- ابن الابار ، التكملة ، ص576.

4- السامرائي ، خليل واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص140.

ثانياً : المدن

اهتم الخلفاء الأمويون بتشييد المدن ، إذ ابتدأ عبد الرحمن الناصر ببناء مدينة الزهراء في الأول من محرم سنة 325هـ/936م[1] ، وجلب اليها الرخام من قرطاجنة افريقية ، وكان يعطي على كل رخامة كبيرة او صغيرة عشرة دنانير سوى ما يلزمه من النفقة على قطعها ونقلها ، ودخل في قصر الزهراء من سواري الرخام (4312) سارية

منها من بلاد الإفرنج (19) سارية ، والباقي من مقاطع بلاد الأندلس وافريقية ، فكان الرخام الأبيض من المرية ، والوردي والأخضر من افريقية ، والحوض المنقوش المذهب جلبه اليه احمد اليوناني من صاحب القسطنطينية ، والحوض الأخضر الصغير جلبه اليه احمد بن كرم الفيلسوف من الشام ، وفيه نقوش وتماثيل على صور الإنسان ، فأمر به الناصر فنصب في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ، ونصب عليه اثني عشر تمثالاً من ذهب مرصعة بالجواهر النفيسة تمج الماء من أفواهها[2] ، وهي مدينة مؤلفة من مجموعة قصور محلاة بالذهب[3] وتتخللها الأســـواق والبحيرات الجميلـــة وحدائـــق

1- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص204.
2- هيكل ، احمد ، الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، مصر1970م .
3- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص112.

تحتوي على مساكن للوحوش المختلفة وأقفاص للطيور المتنوعة ، وأشار بعض المؤرخين الى إنّ فكرة إنشاء عبد الرحمن الناصر لمدينة الزهراء يرجع الى اهتمامه بالعمران والبناء والبعض الآخر يرى انه أراد أن يظهر عظمة خلافته بعدما حقق شهرة واسعة في أوربا خلال انتصاراته العسكرية ، حيث أصبح عصره عصر ازدهار حضاري وتقدم في كافة المجالات وذلك دفعه الى بناء مدينة شامخة.[1]

كما انه وجد أنّ قصر الإمارة بقرطبة قدم عليه العهد ولم يكن يتسع لإضافات أخرى[2] ، وانه لقى من الوزير ابن شهيد قطعاً من الصخر و (300000) عود من الخشب مما يستعمل للبناء على سبيل الهدية[3].

تقع مدينة الزهراء شمالي غرب قرطبة ، والمسافة بينهما خمسة أميال على سفح جبل العروس ، وهو موقع يشرف على السهول الممتدة على نهر الوادي الكبير [4] ، وقد استمر العمل في مدينة الزهراء نحو أربعين سنة ، خمساً وعشرون سنة في حياة عبد الرحمن الناصر وما تبقى كان في عهد ابنه الحكم المستنصر أي الى سنة 365هـ/976م .[5]

1- ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، ص376.
2- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص67.
3- المقري ، ازهار الرياض ، ج2 ، ص261.
4- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص175.
5- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص102.

وكلف عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم مشرفاً على تنفيذ المشروع ، أما المهندس او (العريف) فهو مسلمة بن عبد الله يعاونه عبد الله بن يونس عريف البنائين ، وحسن بن محمد وعلي بن جعفر الاسكندراني[1] ، وكان الذي وضع تصميم هذه المدينة وقام بتنفيذ منشاتها تحت إشراف الحكم معماري أندلسي مشهور ، هو مسلمة بن عبد الله وهو دون شك من أعلام هندسة تخطيط المدن .[2]

وكانت طبيعة الأرض المتدرجة لا تحجب عن بعضها رؤية سهل
قرطبة الفسيح حول نهر الوادي الكبير وشكل بنائها مستطيل يمتد من

الشرق الى الغرب ، في المدرج الأعلى أقيمت القصور الكبيرة وبعض القاعات لاستقبال كبار الموظفين ، وبلغ عدد الأبنية الخاصة للخليفة وعائلته ورجال بلاطه أربعمائة ، فضلاً عن مقرات الإدارة مثل دار السكة ، أما الحدائق والصالات فكانت تغطي المدرج الأوسط ، وكان المدرج الأدنى يضم المسجد ومساكن أتباع الخليفة وحاشيته ، والمواد المستخدمة في البناء فكان أهمها الفسيفساء المستوردة من بيزنطة والرخام من اليونان وروما وقرطاجة حيث ازدانت بقطع منحوتة متميزة[3].

1- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص38 ؛ مورينو ، الفن الاسلامي ، ص72.

2- مؤنس ، حسين ، رحلة الاندلس ، ص113.

3- مورينو المرجع السابق ، ص72.

وكان الزئبق يملأ إحدى صهاريجها ولؤلؤة عجيبة معلقة في واحدة من قاعاتها كذلك استخدم تماثيل مذهبة لحيوانات معروفة في ذلك الزمن ، والأبواب الخشبية والعاج والحديد والبرونز ، واستخدم الأعمدة المصنوعة من البلور الصخري[1] ، وكانت الاستعانة بمهندسين من المشارقة (العرفاء) الذين وفدوا من بغداد ودمشق واشتركوا في تشييدها .[2]

وقد استخدم حيوانات النقل كالبغال بأعداد كبيرة في نقل أحجار البناء لمدينة الزهراء ، وبلغ عدد أبوابها خمسة عشر ألف باب [3] ، وكانت مصاريعها ملبسة بالحديد والنحاس[4] ، منها المصفح بالحديد ومنها بالنحاس الأصفر ، ومنها المنقوش والمرصع[5] ،ويصل مدينة الزهراء بقرطبة طريق يبدأ من

باب الهدى شمالي العاصمة ويتجه الى الرصافة ثم الى الغرب عابراً عدة قناطر مرور بسفح جبل العروس وينتهي عند الباب الذي يتوسط أسوار المدينة الشمالية وهو المعروف بباب الجبل .[6]

1- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص72.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ص172.

3- م.ن ، ص66.

4- سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص409.

5- ابن غالب الغرناطي ، فرحة الانفس ، ص33.

6- فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص202.

ويؤدي طريق آخر جنوب الرصافة الى باب يتوسط أسوار المدينة القبلية ويعرف بباب الصحراء او باب الصورة وكانت الأبنية تملأ هذا الطريق[1] ، وتمشي فيه الناس ليلاً بضوء السرج المتصلة عشرة أميال .[2]

"ان عبد الرحمن بن محمد صاحب قرطبة ابتنى في غربها مدينة سماها الزهراء في سفح جبل يعرف بطلش ، وخطط فيها الأسواق والخانات والقصور والمتنزهات ، ودعى اليها العامة ، وأمر مناديه في جميع مناطق الأندلس ، ألا من أراد أن يبني داراً او يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله من المعونة أربع مائة درهم ، فتسارع الناس الى العمارة ، وتزايدت الأبنية ، وكادت أن تتصل بين قرطبة والزهراء ، ونقل اليها بيت ماله وديوانه ومحاسبه وخزائنه وذخائره"[3] ، وبنى في قصرها مجلس الخلافة ، كانت جدرانه من الذهب والرخام الصافي في لونه ، الملون في أجناسه ، وفي وسطه البديع اليتيمه التي أتحفه بها ليون ملك القسطنطينية ، وكانت قراميد هذا المجلس من

الذهب والفضة وفي وسطه صهريج مملوء بالزئبق ، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على أقواس من العاج والابنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر ، وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب

1- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص108.
2- المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص203.
3- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص107.

فيضرب شعاعها في المجلس وحيطانه ، فيظهر من ذلك نور يأخذ بالأبصار وكان عبد الرحمن الناصر إذا أراد ان يفزع أهل مجلسه أومأ الى احد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق ، فيظهر في المجلس نور كلمعان البرق يأخذ بمجامع القلوب ، فيخيل لمن كان في المجلس كأنه قد طار بهم مادام الزئبق يتحرك ، وهذا المجلس لم يقدم لبنائه احد قبل عبد الرحمن الناصر ، وإنما تهيأ له ذلك لكثرة الزئبق عنده.[1]

فكان بناء الزهراء في غاية الحصانة والإتقان ، وجلب اليها المياه ، وتتخللها الحدائق والبساتين ، وعندما بنى عبد الرحمن الناصر قصر الزهراء "اتفق الناس على انه لم يكن مثله في الإسلام ، ومادخل اليه احد من سائر البلاد والنحل المختلفة ، الا وكلهم قطع انه لم يرَ له شبيهاً ، بل لم يسمع به حتى انه أعجب ما يؤمله القاطع الى الأندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والأخبار عن هذا تتسع والأدلة تكثر"[2].

ومدينة الزهراء اغرب مابني في الإسلام وأعجبه في بلاد الأندلس فكان يعمل فيها من العمال في كل يوم عشرة آلاف رجل ، ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة ، وكان أجرة

كل رجل درهم ونصف ، والدابة درهمان ، والمعلمين ثلاثة دراهم ، وكان يصرف في كل يوم من الصخر المنجور المعدل ستة آلاف صخرة .[3]

1- مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص206.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص101.

3- مجهول ، المصدر السابق ، ص204-205.

وقد وصفت الزهراء " بأنها من أعاجيب أبنية الدنيا أنشاها عبد الرحمن الناصر احد ملوك الأمويين في الأندلس بالقرب من قرطبة أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكان عدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باباً "[1] ، والمسافة بين مدينة قرطبة والزهراء خمسة أميال ، وهي قائمة بأسوارها وقصورها ، وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البناء ، فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يعجز الوصف عن صفاتها والجزء الأوسط بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجوامع .[2]

وأوجد عبد الرحمن الناصر أماكن للوحوش محاطة بالاسيجة ، ومسارح للطيور تحيطها الشباك[3] ، ودوراً لصناعة الآلات للحرب[4] ، وبحيرة لتربية الأسماك في قصره ، وكان يفتت في كل يوم لحيتان البحيرة اثني عشر ألف خبرة وكميات من الحمص ينقع مع الخبز [5] ، وكان عدد الصقالبة بالزهراء ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسين ، وكانت ماؤنتهم من اللحم في كل يوم ستة عشر ألف رطل سوى الصيد وأصناف الطيور والحيتان .[6]

1- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4، ص117.

2- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص312.
3- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص184.
4- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص112.
5- مجهول ، تاريخ الاندلس، ص208.
6- م.ن ، ص208.

واتخذ عبد الرحمن الناصر لسطح القبة المائلة الى الصرح الممدود المشهور شأنه بالزهراء قراميد مغشاة ذهباً وفضة ، انفق عليها مالاً كثيراً ، وكانت تستلب الأبصار بمصابيح أنوارها المشعة وجلس فيها بعد إتمامها ، فقال لوزرائه وخاصته مفتخراً بما صنعه ، وبما يتصل بها من البدائع :

"هل سمعتم او رأيتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا او قدر عليه ، قالوا : لا انك الأوحد في شانك كله ، وما سبقك الى ذلك ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره ، فأبهجه قولهم وسره جداً"[1] ، وقد انتقل الى مدينته الجديدة ولم تكتمل بعد من حيث البناء في سنة 336هـ/947م ، ونقل إليها دار السكة [2] ، وكذلك بيت ماله وديوانه ومحبسه وخزائنه وذخائره .[3]

لقد تفوق العرب المسلمون على غيرهم في مختلف مجالات الحضارة والرقي فأصبح إنشاء المدن احد مظاهر هذا النشاط والتقدم [4] ، ونلاحظ من خلال أعمال عبد الرحمن الناصر إنّ الأندلس شهدت نوعاً من الرفاهية والازدهار في شتى الميادين ، العمرانية والاقتصادية والنهضة الفكرية .[5]

1- ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص38 ؛ ابن غالب الغرناطي ، فرحة الانفس ، ص33.
2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ،ص215 ؛ فكري ، قرطبة في العصر الاموي ، ص231.
3- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص107.

4- ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، ص377.
5- راضي ، الاندلس والناصر ، ص34.

وازدهرت مدينة الزهراء بقصورها ، وقد تغنى بها الشعراء ونظموا فيها القصائد اذ وصفها ابن هذيل بقوله [1]:

كأن حناياهـــــا مصفـــــــــف إذا ألهبته الشمس أرحاهما نشـــرا
كأن سواريها شكت فترة الضنى فباتت هضيمات الحشا نحلاً صفرا
كأن الذي زان البياض نحورها يعذبها هجراً ويقطعها كبــــــــرا
كأن النخيل الباسقات الى العـلا عذارى جمال رجلت لما شقـــــرا
كأن جنـــــي الجلنــــــار وروده عشيقان لما استجمعا اظهر اخفــرا

وبذل عبد الرحمن الناصر جهوداً كبيرة في بناء مدينة الزهراء الذائع خبرها ، المنتشر صيتها في الأرض ، وعمل في تنميقها ، وإتقان قصورها ، وزخرفتها [2] ، ومن ذلك تبين العناية الكبيرة بمدينة الزهراء ومما زاد في أهميتها ، إنّ الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر كانا يقضيان اغلب أوقاتهما لما يتوفر من وسائل للراحة فيها [3].

1- الكتاني ، ابي عبيد الله محمد ، التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، تحقيق احسان عباس ، بيروت, 1966م , ص76 .
2- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص106.
3- العميد ، اثار المغرب والاندلس ، ص288.

ومن الأعمال العمرانية الأخرى للخليفة عبد الرحمن الناصر تشييده مدينة سالم (celi medina) التي تقع شمالي مدينة مدريد بحوالي 153كم في الطريق بين مدريد وسرقسطة وقد عرفت قديماً في العصر الروماني اوسيلين (ocilis)[1] ، ولما فتح العرب المسلمون بلاد الأندلس ، عمّرها زعيم مغربي هو سالم بن ورعال المصمودي الذي كان من قادة الرعيل الأول الذين شاركوا في فتح الأندلس ، ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد سالم ، ولما وليَّ عبد الرحمن الناصر أعاد بناءها وجعلها ثغراً حربياً لمواجهة إمارة قشتالة وذلك في سنة 335هـ/946م ، واشرف على بنائها مولاه غالب وغيره من قواد الثغور ، وبنيت أحسن بناء ، وأصبحت منذ ذلك الحين قاعدة الثغر الأوسط الى جانب طليطلة قاعدة الثغر الأدنى ، وسرقسطة قاعدة الثغر الأعلى .[2]

كما شيّد الخليفة عبد الرحمن الناصر مدينة المرية في الجنوب الأندلسي على البحر الأبيض المتوسط وذلك في سنة 344هـ/955م ، وقد وصفت بأنها مدينة محدثة بالأندلس ، أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وابتنت فيها محارس ، وهي من أشهر مراسي الأندلس ، وعليها سور حصين منيع .[3]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص213.

2- العبادي ، المجمل في تاريخ الاندلس ، ص208 ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص304.

3- Jose Angel Tapia Garrido ,Historia General de Almeria ysu province Vitoria ,1976, p.23.

؛ ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص183.

وبعد ذلك بدا شان مدينة الزهراء يقل تدريجياً منذ أن ابتنى الحاجب المنصور بن أبي عامر مدينة الزاهرة عام (368هـ/978م)[1] وانتقل إليها (370هـ/980م) مع خاصته ووزرائه وعامته ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة [2] ، واتخذ فيها الدواوين

، وتم فيها بناء القصور والدور وانشأت فيها الأسواق واتصلت ارباضها بارباض قرطبة.[3]

وحجر الخليفة هشام المؤيد في مدينة الزهراء [4] ، ومع ذلك فقد كان لها أثراً في تاريخ الأندلس ، حيث اهتم العلماء الأسبان منذ نحو قرن بالكشف عن معالمها وأطلالها ، لما يلقي ذلك من أضواء على أحوال الخلافة الأندلسية ، ونظمها الإدارية والاجتماعية وعلى مدى تطور الفن الأندلسي في أزهى عصوره [5] ، وقد كشفت الحفريات منذ سنة 1910م الكثير من الأطلال والنقوش والزخارف التي مازال بعضها قائماً على الجدران وهذا يعطي الصورة الواضحة عن هندسة المدينة وفخامة صروحها.[6]

1- العميد ، اثار المغرب والاندلس ، ص288.

2- ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص189.

3- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، ص412.

4- م.ن ، ص142.

5- عنان ، الاثار الاندلسية ، ص36.

6- Bosco Ricardo, Medina Azahara y Alamiriya (Madrid 1912) p.20.

؛ ينظر : مورينو ، الفن الاسلامي ، ص72.

وبدأ الحاجب المنصور بن أبي عامر ببناء مدينة سماها الزاهرة[1] حيث أراد الخليفة الحكم المستنصر إقامة هذه المدينة لأجل أن يحفظ الملك لابنه هشام المؤيد من بعده ، فأمر حاجبه جعفر بن عثمان المصحفي (ت372هـ/983م) للبحث عن موضع للمدينة والشروع في إنشائها ، وكان الحاجب المنصور من الذين ساهموا في البناء وكان في ذلك الوقت ولي عهد الخليفة على ابنه المؤيد هشام والقائم على شؤون

الدولة[2] ، وكانت المنطقة التي اختارها الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي تعرف (الش) ، وهو إقليم من كور تدمير قريباً من اريولة في الأندلس.[3]

يشير المؤرخون الى أنّ (الش) تقع غربي مدينة قرطبة [4] ، وكان الخليفة قد وقف على البقعة التي بنيت فيها الزاهرة ، واهتم بشأنها الحكم فنظر فيها وحدد جهاتها وهي غربي مدينة الزهراء ، ووجد انتقال الملك اليها ، فأمر صاحبه أبا محمد المصحفي بالسبق الى بنائها طمعاً في مزية سعدها ، وألا يخرج الأمر من يده فانفق عليها مالاً عظيماً.[5]

1- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص83.

2- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص112.

3- الحميري ، الروض المعطار ، ص30.

4- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص258.

5- م.ن ، ص275.

وأراد المنصور بن أبي عامر أن ينافس الخلفاء ومنهم عبد الرحمن الناصر ويؤكد انه لا يقل عنه نفوذاً او سلطاناً ، فضلاً عن اتخاذه هذه المدينة بالقرب من قرطبة التي تقع في الجانب الشرقي من نهر الوادي الكبير وهذا يجعل مدينة الزاهرة قريبة من عاصمة الخلافة القديمة قرطبة[1] ، ولتمجيد اسمه والتوسع في دوائر سلطته وانه أراد أن يجري في ذلك على نسق المتغلبين على سلطان بني العباس في الشرق ، فبدأ يشيد الدولة على راية وطبعها بطابعه [2] ، حيث انه من خلال العمران والبناء أراد أن يعبر الى ما وصل اليه من سلطة ونفوذ فابتنى لنفسه هذه المدينة[3] ، وكان مركزه في تلك الفترة يقوى ويسيطر على السلطة منذ أن اتخذ الزاهرة مقراً له ولحكمه .[4]

فقد شرع المنصور في بنائها سنة 368هـ،/978م وحشد لذلك العمال والفعلة وجلب اليها الرخام والقراميد والصخور والأخشاب وتوسع فيها وسوَّرها بأسوار مرتفعة .[5]

1- خلاف ، عبد الوهاب ، قرطبة الاسلامية في القرن الخامس الهجري ، (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) تونس ، 1984 ، ص24.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص272 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص384.

3- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج1 ، ص258.

4- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص272 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص146.

5- الصوفي ، تاريخ العرب في اسبانيا ، ص71 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص41.

وأحاطها بخندق كبير وبلغ خندقها المحيط بها من ناحية النهر سبعة وأربعون وخمسمائة ألف ذراع أي ستة عشر ميلاً[1] ، وفتح في القصر الذي بناه فيها عدة أبواب منها باب السباع والجنان وباب الفتح .[2]

استغرق بناء المدينة سنتين فانتقل المنصور بن أبي عامر اليها سنة 370هـ/980م [3] ، وشيّد الى جانب القصر الذي عرف باسم المدينة (قصر الزاهرة) مساكن للحرس ، وقد اتسعت المدينة في مدة قصيرة[4] ، لقد أنشا الحاجب المنصور في هذه المدينة المنيات والمتنزهات منها منية السرور ، وأقام فيها الشرفات العالية القائمة على أعمدة من رخام[5] ، وقد أشار إليها المقري قائلاً : "ذات الحسن النضير ، وهي جامعة بين روضة وغدير"[6]

وقد وصفها الشاعر احمد بن دراج بقوله : [7]

دار السرور المعتلى شرفاتها   فوق النجوم الزُهر في استعلاها

وكأن عز لما جادهـــــــا   نشرت عليها من نفس ملائهـــا

وكأن ريحان الحياة وروحها   تستنشق نافحات هوائهـــــــا

1- ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص103.
2- Sanchez-Albornoz ,Histotia de la Espana Musulmana ,(Buenos Aires ,1946) p.379.
3- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص189.
4- حتي واخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، ج2 ، ص53.
5- الكتاني ، التشبيهات ، ج1 ، ص67.
6- نفح الطيب ، ج2 ، ص136.
7- الكتاني المصدر السابق ، ص67.

ومن القصور أيضاً قصر ناصح والزاهي وكانت تحف بها الأشجار والأزهار[1] ، وكانت دار العامرية من أشهر القصور في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر التي بناها في مدينة الزاهرة ، وان بناء هذا القصر او المنية يشبه القصر الغربي للزهراء من حيث انه يشتمل على ثلاثة أروقة بقاعاتها وغرفها ، أما جدران القاعة فكانت على ارتفاع قد شيد بكتل من الحجر [2] ويغطي الجدران الجص الأحمر المقاوم للماء[3] ، وتعد هذه المنية (القصر) من المنيات المشهورة في قرطبة التي أنشاها الحاجب المنصور بن أبي عامر أواخر القرن الرابع الهجري (390هـ/999م)، وتمتد فيها قناة بصورة ملتوية بين بساتينها وكانت تزهي بأنواع الورود من النرجس والياسمين.[4]

وقد زينت هذه المدينة بقطع الرخام والرسوم والزخارف والنقوش الكتابية ، وفيها حوض من الرخام تكسوه توريقات وصور لحيوانات كانت معروفة في ذلك الوقت ،[5] حتى أصبحت من أهم ضواحي مدينة قرطبة ، وكان الحاجب المنصور بن ابي عامر يرتادها للراحة والتنزه.[6]

1- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج3، ص63.
2- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص194.
3- م.ن ، ص199.
4- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج1، ص136.
5- مورينو المرجع السابق ، ص199.
6- عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص77.

ثالثاً : الحمامات :

حمل العرب الفاتحين تقاليدهم كعادة الاستحمام الى اسبانيا وانتشرت فيها ، والحمامات الخاصة من الوحدات المعمارية التي انشات في الدور الكبيرة التي يمتلكها الأثرياء ، أما الآخرين فلم يستطيعوا إنشاء الحمامات بمنازلهم لذلك أقيمت الحمامات العامة لقاء اجر معين .

لقد ازداد عدد الحمامات إذ كثر بناؤها في المدن والقرى الأندلسية[1] ، وكان الاهتمام بها كبيراً من الناحية العمرانية ، والاستحمام عادة متأصلة في الإسلام ، لذلك انتشرت الحمامات بجانب المساجد ، حيث يسهل على المسلمين الاستحمام والتطهر قبل الدخول الى المسجد للصلاة ، لان النظافة من الإيمان ، وفي قرطبة حمامات كثيرة ، أبرزها الذي كانت بجوار المسجد الجامع ، حيث تتألف من قاعة وسطى ذات عقود مفرطحة متجاورة تقوم على عشرة أعمدة وتعلو هذه العقود قبوة ، ثم تحولت هذه القاعة الى بهو (صحن) ، والحمام هو المكان الذي يولد في النفس إحساساً بالراحة ، ويحدث فيها شعوراً بانتعاش بدني وروحي.[2]

1- سالم ، العمارة المدنية بالاندلس ، ج2 ، ص109.
2- م.ن ، ص112.

وللحمام مدخل يؤدي الى قاعات وتتصل فيما بينها عن طريق فتحات او أبواب ، وتتخذ شكلاً مستطيلاً ، او مربعاً ، ويؤدي المدخل الى ردهة صغيرة يليها حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبوة نصف اسطوانية ، يفصلها عن باقي القاعات عقدان يستندان فيما بينهما على عمود مركزي ، وتعرف هذه القاعة بالبيت البارد ، وفيها يضع المستحمون ملابسهم ويرتدونها عند الخروج .[1]
وقد وصف الشاعر إبراهيم بن خفاجة الأندلسي الحمام بقوله : [2]

أهلاً ببيت النار من منزل   شيّد لأبرار وفجـّار
يدخله ملتمس لـــــــــذَّة   فيدخل الجنة في النار

وفي بعض الحمامات غرفة تعرف ببيت المستراح ، يستخدمها المستحمون للراحة قبل خروجهم من الحمام ، وبعد البيت البارد هناك قاعة تعرف (البيت الوسطاني) وتكون أكثر اتساعاً من القاعة السابقة لها يتوسطها فراغ مركزي مربع الشكل يعلوه قبة ، ويحيط به أربعة ممرات مقببة ، تحملها عقود قائمة على أعمدة ويتخلل هذه القبوات الجانبية والوسطى فتحات تسمى مضاوي لإدخال الضوء[3] ، أما القاعة الأخيرة فتسمى البيت الساخن وتكون ذات شكل مستطيل تشبه الغرفة الأولى ويوضع في نهايتها موقد كبير (القدر) او (البرمه) ويخرج منها أنابيب الماء الساخن وتدخل من الجدران في الأحواض.[4]

1- خلاف ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص30.
2- النويري ، نهاية الارب ، ج1 ، ص139.
3- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص200.

4- سالم ، العمارة الدينية بالاندلس ، ج2 ، ص141.

انتشرت الحمامات العامة في قرطبة انتشاراً كبيراً ، وكذلك في المدن الإسلامية الأخرى ، لان النظافة عند المسلمين ليست من الإيمان فقط ، وإنما شرط أساسي لأداء الصلوات والعبادات بشكل عام ، وقد اختلفت الآراء حول عدد الحمامات في قرطبة ، فالبعض يجعل عدد حمامات قرطبة في ازدهارها وتطورها في عهد الخلافة (700) حمام [1] ، في حين يذكر آخر أنّ حمامات النساء فيها وصلت الى (300) حمام[2] ، وقيل ان عدد حمامات الرجال فيها وصل أيام المنصور بن أبي عامر الى (900)حمام [3] ، ورغم هذا الاختلاف في عدد حمامات قرطبة ، إلا انه يعكس حقيقة هامة ألا وهي كثرة الحمامات في قرطبة والاهتمام في إنشائها ، وكان للحمام فضلاً عن ذلك غرض ديني ، إذ انه يطهر جسد المرء تطهيراً تاماً ، ولعل ذلك هو ما يجعل المسلمون يغسلون جثث موتاهم قبل دفنها ، لان جسم الإنسان معرض لكل ما يفسد طهارته ، والماء يطهره ، وفي ذلك يقول الشاعر ابن فضل الله : [4]

وحمامكم كعبة للوفود نحج اليها حفاة عراة

1- ابن غالب الغرناطي ، فرحة الانفس ، ص27.

2- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص346.

3- ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص175.

4- سالم ، العمارة المدنية بالاندلس ، ج2 ، ص140.

وكانت الحمامات تضاء ليلاً بالشموع والشمعدان[1] ، لقد أسفرت الاكتشافات الأثرية التي أجريت سنة 1903م بجانب قصر الخلافة بقرطبة عن بناء قديم قد اختفى تحت التراب إلا انه لم يتهدم وهو عبارة عن حمام قديم حيث دلت زخرفته ذات العقود الصغيرة المؤلفة من ثلاث فصوص منتظمة فوق أعمدة ، وهذه الزخرفة تمت من الجص مدهونة باللون الأحمر والأصفر والأسود حيث حفظت إجزاء منها في متحف الآثار في قرطبة ، كذلك ظهرت قطع أخرى بها شرفا صغيرة مرتبة على ارض حمراء وبقايا نقش كبير بالخط الكوفي من الجص ذي أشرطة متشابكة ، أما الجدار فقد وجد أنه يحتوي على رسوم عبارة عن تشكيلات وأزهار يظهر أنها احدث من سابقتها عهداً[2] ، لا يختلف نظام حمام القصر عن الحمامات الشعبية المنتشرة في المدينة وارباضها ، ولقد جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر حمامات مدينة الزهراء قسمين ، قسم خصص للضباط والحاشية وقسم آخر للخدم والعامة[3].

ويروى أنَّ عبد الرحمن الناصر أنشا حوضاً لاستحمامه أقيم عليه تماثيل من الذهب بشكل متناسق تمثل الاهتمام بالفنون المتنوعة .[4]

1- خلاف ، قرطبة في العصر الاسلامي ، ص32.

2- مورينو ، الفن الاسلامي ، ص199.

3- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص103.

4- م.ن ، ص294.

المبحث الرابع
الحرفيون وأثرهم في ازدهار العمران في الأندلس

أسهم الصناع والحرفيون إسهاماً بارزاً في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية من خلال ما قدّموه من جهود في مختلف الميادين ، وفي شتى المجالات ، ومنهم الفلاح والبنّاء والنسّاج والنجّار والخزّاف والحدّاد ، وان الصنائع كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران ، وقد عرفها الإنسان منذ أن أدرك الحياة وانتظم في مسيرتها ،وان ملازمته لها قديمـــة وبراعته فيــها

متميزة [1] ، وأكد القران الكريم على العمل بقوله تعالى : ((**لِيَــأْكُـــلُوا مِـــــن ثَمَـرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**))[2] ، وكان لذلك ابلغ الأثر في نفوس المسلمين فاقبلوا على العمل والإنتاج وإتقانه وتطويره والتفوق فيه .

كما يظهر ذلك من خلال ما قدّمه الحرفيون العرب المسلمون مما كان له الأثر الكبير في ازدهار العمران ، ويعد البناء أول صنائع العمران الحضري وأقدمها ويحتاج الملوك وحكام الدول الى البناء عند تأسيس المدن العظيمة والهياكل المرتفعة مع الإتقان والإحكام لتبلغ هذه الاعمال مبالغها من الرقي والتطور ويبقى أثرها .[3]

1- ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت ، 2010 ، ص329.

2- سورة يس : الاية 35.

3- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص328.

واعتمد الملوك على المهندسين والفعلة الماهرين في بناء المساجد والمدن والقصور والدور الرسمية والعامة والتي هي من مظاهر الحضارة ، كما كانت النجارة من ضروريات العمران ومادتها الخشب التي فيه من المنافع مالا ينحصر مما هو معروف لكل احد ، ولا تكون بالصورة الخاصة بها إلا بالصناعة والقائم عليها هو النجار وهو ضروري في العمران ، وان لهذه الصناعة أهمية في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح حيث يكون

لها شكلاً يساعدها على مواجهة المياه ، وان معلم هذه الصناعة هو نوح عليه السلام وبها أنشا سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان [1] .

كما كانت الحياكة والخياطة ضروريتان في العمران لصناعة المنسوجات على اختلاف أشكالها للناس في الحر والبرد حيث الحاجة اليها[2].

كما يعد الخط والكتابة من الصنائع الإنسانية وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ، ويطلع بها على العلوم والمعارف ومعرفتها يكون بالتعليم[3] ، كما أدت صناعة الوراقين الى كثرة التأليف في المجالات المختلفة وحرص الناس على تناقلها فاستنسخت

1- ابن خلدون ، المقدمة ، ص332.
2- م.ن ، ص336.
3- م.ن ، ص335.

وجلدت وانتشرت في الأمصار وكانت على غاية من الإحكام والإتقان هدفها تحصيل العلوم ومعرفة أمور الدين وهذه كلها تنظم حياة الإنسان[1] .

وكانت الدولة تراقب مصنوعاتهم وإنتاجهم عن طريق الحسبة التي تمثل السلطة الحكومية وتشرف على ذلك ، وكانت مهام المحتسب واسعة وشملت النواحي الدينية والاقتصادية والاجتماعية والصناعية ، والذي يهمّنا ما يتعلق بالصناع

والحرفيين ، ومن وظائفه الإشراف على الصناعات وتحديد الهدف وإتقان العمل والإخلاص فيه وحماية الصانع والمستهلك ، ومنع الغش ومراقبة الأسواق والمواد الأولية التي تدخل في الصناعة مما كان لها الأثر الكبير في تقدمها ونضوجها ، حيث أدى ذلك الى العمران وتقدم البلدان .

وكان للدين الإسلامي وتعاليمه والهدف الأسمى للفن الإسلامي إن تقدمت الفنون الصناعية الإسلامية وتطورت الى درجة التحفة الفنية والأمثلة كثيرة وواضحة من خلال القطع الأثرية المتنوعة التي تحتفظ بها المتاحف ، والتي استأثرت بإعجاب العالم كونه فن صناعي بارز المعالم.[2]

1- ابن خلدون ، المقدمة ، ص342.

2- ابن بسام ، محمد بن احمد ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بغداد 1968م ، ص130.

وقد انشات في قرطبة داراً لصناعة الآلات والتحف المعدنية ، وقد أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بصناعة (12) تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس تمثل اسداً وغزالاً وتمساحاً وثعباناً وعقاباً وفيلاً وحمامةً وشاهيناً وطاووساً ودجاجةً وديكاً وحداةً ونسراً ،لكي تنصب حول الحوض الرخامي الذي جلبه من القسطنطينية ،وهي تمج الماء من أفواهها [1].

ولم تتمكن هذه الصناعة من إنتاج ما يفي بتزيين المنشات ، بعد التوسع في أعمال البناء والعمران في الزهراء ، لذلك تم إنشاء داراً ثانية في مدينة الزهراء لصناعة آلات السلاح للحرب والحلي والزينة وغير ذلك من التحف.[2]

كما ظهرت في قرطبة صناعات أخرى كالنسيج والتحف الزجاجية والبلورية والخزفية والجلود ، ولكل حرفة أمين يسمى أحياناً العريف يتولى تمثيلها أمام المحتسب ، وكان لكل منها مواضع للصناعة او للبيع خصصت في كل مدينة في داخلها او في أطرافها ، وهناك العديد من الحارات الضيقة والطرق خصص كل منها لحرفة كالحدادين والفخاريين والرقاقين والطرازين وغيرهم .[3]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص104 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص244 .

2- المقري المصدر السابق ، ج2 ، ص112.

3- Provencal , levi , Historie de Espagne musulmane , 3tomes , (Leyiden , 1950),p.304.

يتمثل الفن الأندلسي في التحف المصنوعة من العاج التي كانت تصنع في دار الصناعة بمدينة الزهراء لزوجات الخلفاء وجارياتهم أما لحفظ العطور ، او لصيانة حليهن و أداوت الزينة ، وتحتفظ معظم العلب التي تنسب الى دار الصناعة بقرطبة او مدينة الزهراء بأسماء من صنعت لهم وأسماء الصناع الذين قاموا بصناعتها واسم المدينة مما يرفع من قيمة هذه التحف وتؤدي الى انتشار هذا الفن الصناعي وتطوره [1] ، وتتخذ هذه العلب شكلين مختلفين ، علب اسطوانية الشكل ذات غطاء مدبب ، وصناديق مستطيلة لها أغطية على شكل هرم او مسطحة ، وتقسم من حيث الزخرفة الى ثلاثة أنواع : الأول يشتمل على زخرفة من التوريقات التي تختلط أحياناً برسوم حيوانات ، والثاني تنحصر زخارفه داخل جامات مستديرة تطوق رسوماً آدمية او حيوانية محفورة ، والثالث تمثله زخارف لأشخاص او حيوانات بين توريقات [2] ، ومن أمثلة هذه الصناعة التي اختصت بها قرطبة والزهراء صندوقان من العاج صنعا في مدينة الزهراء بأمر الخليفة الحكم المستنصر في سنة 355هـ

للسيدة صبح ام هشام ولي عهده ، احدهما محفوظ اليوم في متحف بلنسية والثاني في كنيسة فيتروبنبرة ، ويحتفظ الأخير باسم الصانع (خلف).[3]

1- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج2 ، ص132.
2- م . ن ، ص133.
3- مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت1972م، ص187.

أنّ قرطبة اختصت بصناعة الآلات والتحف المعدنية كالتماثيل والأقداح والأباريق والمباخر والثريات ، إضافة الى شهرتها في صياغة الحلي من أقراط وأساور وعقود ، كما اشتهرت بالصناعات المعدنية حيث يكثر الحديد في المناطق القريبة منها [1] ، وكذلك في غرناطة ، بينما يتوافر كل من الحديد والنحاس في المرية.[2] وفي طليطلة [3] ، وقد استخدم الحديد في صناعة آلات السفن المختلفة والمسامير ، وكانت قرطبة مركزاً هاماً لصناعة الآلات والعدد الحديدية خاصة ، ما يتعلق منها بأعمال البناء ، وقد عثر في آثار الزهراء على قطع عديدة من الأدوات الحديدية .[4]

وكانت أبواب مسجد قرطبة مصفحة بصفائح النحاس وفي كل باب منها حلقتان في غاية الإتقان[5] ، وان هذه الأبواب كانت مخرمة تخريماً عجيباً يبهر الإنسان[6] ، وإنها مخرمة بخطوط متقاطعة تؤلف أشكالاً مسدّسة تتناوب في وضع أفقي وراسي ، وتتخللها أشكال نجمية بداخلها أشكال هندسية مثمّنة، وقد عثر في مدينة الزهراء على قطعة من مصراع خشبي لأحد الأبواب عليها آثار حرق ويستدل من ذلك على ازدهار صناعة التحف النحاسية في قرطبة .[7]

1- ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص21.

2- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص197.

3- الحميري ، الروض المعطار ، ص133.

4- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص135.

5- الادريسي ، المصدر السابق ، ص210.

6- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص96.

7- سالم ، المرجع السابق ، ص136.

واشتهرت دار الصناعة في قرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل برونزية لحيوانات وطيور كانت توضع حول البرك والأحواض ، وان الخلفاء الأمويين أوصلوا الى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص من جبال قرطبة[1] ، ومن التحف المصنوعة من النحاس الثريات ، وكان جامع قرطبة يحتوي على مائتين وثمانين ثرية ، فيها أربع ثريات كبيرة معلقة في البلاط الأوسط ، أكبرها التي تتدلى في قبة المحراب ، ولعلها كانت تشبه الثريات البرونزية التي كانت في بيت الصلاة بجامع البيرة وعددها ستة أكبرها على شكل طبق مستدير مخرم كانت توضع فيها الكؤوس التي تضاء بالزيت ومحيطها مزوداً بحلقات تعلق منها .[2]

كما وجدت الفضة في قرطبة [3] والتي استخدمت كصفائح رقيقة تكسو باب مقصورة جامع قرطبة ، او لترصيع بعض حشوات المنبر بدلاً عن المسامير ، او في صناعة بعض ثريات الجامع ، او لصناعة بعض الصناديق التي تحفظ فيها الحلي ، وكانت مقصورة جامع قرطبة من الفضة[4] ، كما ان أوصال منبر جامع قرطبة من الفضة[5] ، وان وصلات المنبر ثبتت بمسامير الذهب والفضة .[6]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص12.

2- م.ن ، ص89.

3- البكري ، جغرافية الاندلس واوربا، ص129.

4- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص85.

5- ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص29.

6- المقري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص89.

وحظيت قرطبة بشهرة كبيرة في الحفر على الخشب ، واشتهرت في صناعة المنابر ، وقد وصف المؤرخون العرب جامع قرطبة ومقصورته الخشبية وكرسي المصحف العثماني ، فضلاً عن وصف منبر جامع الزهراء ، وان منبر جامع قرطبة كان من الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس وأوصاله وحشواته من الفضة[1] ، وان عدد حشواته (36) ألف حشوة تم تثبيتها بمسامير من الذهب والفضة[2] ، أما مقصورة الجامع فقد نصبت حول المحراب ، وكانت تتوجها شرفات ، وفتح فيها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة ، عجيبة النقش[3] ، وظلت قرطبة في زمن الخلافة الأموية تحتفظ بشهرتها في صناعة المنابر[4] .

كما تميزت بلاد الأندلس بتوافر البلور الصخري بكثرة وفي مناطق عديدة منها ، في قرطبة ، وفي بطليوس ، وفي ناحية لورقة من كورة تدمير[5] ، ومن هذا البلور الصافي صنعت أعمدة تقوم عليها حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس في مدينة الزهراء ، كذلك اشتهرت قرطبة بصناعة الأواني الزجاجية والأباريق ، أما الأواني الفخارية والخزفية فقد اشتغل الفخاريون بقرطبة في هذه الصناعة كما اشتهرت غرناطة ومالقة فيها .[6]

1- ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص28.

2- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص8.

3- المقري ، نفح الطيب ، ج2، ص88.

4- ابن غالب ، المصدر السابق ، ص40.

5- بطليوس: هي مدينة ازلية من قواعد الاندلس ، تقع غرب الاندلس ، مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص102.

6- مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص105.

وكانت قرطبة من مدن الأندلس الغنية بمقاطع الرخام ، ففي جبلها الرخام الأبيض والخمري[1] ، ومن مواضع هذه المقاطع (فريش) التي اشتهرت برخامها الناصع البياض الشديد الصفاء[2] ، وانه (بحصن فريش مقطع الرخام الرفيع الجليل وانه أكثر الرخام بياضاً ، وأحسنه ديباجاً ، وأشده صلابة).[3]

وقد اهتم الخلفاء الأمويون ممن ولعوا بالبنيان كعبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بهذه المقاطع الرخامية في استخراج مايلزم لصناعة الأعمدة وتيجانها وقواعدها واللوحات التي تكسو الجدران والأرضيات ، فضلاً عن عمل أحواض السقايات والوضوء ، كذلك استخدم الرخام القرطبي في كسوة جدران الزهراء وجوف المحراب وجانبيه وأرضية المقصورة[4] ، أما الأحجار فكانت تستقطع من جبل قرطبة[5] ، ثم تنقل الى مواقع البناء ، ومعظم الأحجار التي استخدمت في كسوة جدران قاعات الزهراء من النوع الرملي الصلب ، وحفرت فيها زخارف نباتية وتوريقات ، وظهرت في أطلال قصور الزهراء الآلاف من القطع الحجرية التي كانت تؤلف في الماضي كسوة الجدران ، كذلك استخدم الحجر الجيري اللين المائل الى الاصفرار في بناء المسجد الجامع في قرطبة .[6]

1- المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص187.

2- ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص21.

3- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص207.

4- المقري ، المصدر السابق ، ج2، ص92.

5- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص349.

6- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص154.

الــخـا تــمـــــــــــــــــــــــة

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال قرون عديدة ، وانتشرت مآثرها في معظم أنحاء العالم ، وقد استوعبت تراث الأمم القديمة في الأدب والعلوم والفنون ، وطورته وأضافت إليه ،وابتكرت عناصر جديدة ، وكانت لها آثار متميزة وفاعلة حققتها في بناء ورقي المجتمعات الإنسانية ، فالإسلام بمبادئه وتعاليمه قد حرّر الإنسان من قيود كبلته وعرقلة دوره في التطور وحرّرت أفكاره من أساطير وعقائد مختلفة ، ونجد ذلك واضحاً في البلدان التي فتحها العرب المسلمين ، وقد انتقلت معالم الحضارة العربية الإسلامية بطرق متعددة الى شعوب العالم أدت الى انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية والعلوم والفنون ، وقد تأثرت المجمعات بما كان سائداً من تطور حضاري في العالم العربي الإسلامي.

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة التي تمثل اثر المشرق العربي الإسلامي على تطور قرطبة العمراني الى النتائج الاتية لإيضاح بعض معالم هذا المجهود وهي :

1/ أصبحت بلاد الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي طريقاً لانتقال الحضارة العربية الإسلامية الى أوربا ، إذ كان للعرب حضارة تمتد جذورها الى العصور القديمة ، وتزخر بأنواع العلوم والمعرفة ، وان بناة الحضارة العربية الإسلامية قد أسهموا في تطور الحضارة الإنسانية .

2/ ومن خلال عملية تحليل عوامل نشأة المدن الإسلامية في بلاد الأندلس ، نجد أنّ الأمراء والخلفاء اهتموا بتشييدها ويتوسطها المسجد الجامع وتنتشر فيها الدور الرسمية والعامة ، وذلك لإظهار عظمة الإسلام وقوة السلطة والشهرة وتمجيدهم ، لان العمران يبقى شاخصاً لزمن طويل ،واعتمدوا الصخور والأخشاب والمواد الأولية من البيئة المحلية في البناء ،

واستعانوا بالعرفاء (المهندسين) الماهرين ، ويلاحظ التأثير الشامي في المنشات العمرانية لتجديد مظاهر الخلافة الأموية في المشرق ، حتى تكون استمرارا ً لها ومن أشهر المدن التي شيدت هي مجريط ، الزهراء ، سالم ، المرية ، وغيرها ، لان العمران يشكل أهم المعالم الحضارية التي لازالت شاهدة على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، وكان فتحها حدثاً حضارياً وعمرانياً وامتد أثره الى أوربا .

3/ اعتمد الفاتحون سياسة التسامح وحرية العقيدة الدينية مع السكان النصارى واليهود (لا إكراه في الدين) وشاطروا نصارى قرطبة كنيستهم وبنو مسجداً وتكييف بناءه حسبما يتطلبه الدين الإسلامي ، وكان كل منهم يؤدي شعائره الدينية ، وقد دخل كثير من سكان البلاد الى الدين الإسلامي بعد تعرفهم على مبادئه التي كانوا يجهلونها .

4/ ويعلل الباحث سعي عبد الرحمن الداخل لإتمام بناء المسجد الجامع في قرطبة والذي بدأ به عام 169هـ/785م ، في أسرع وقت ممكن لأنه شعر بما يعانية المصلون من ضيق في المسجد وعدم استيعابه لهم ، وان الانجاز السريع له عام 170هـ/786م ، يعود الى الحصول على العناصر الأساسية لهذا العمل من أعمدة وتيجانها وأحجار منحوتة جاهزة من مباني قوطية ورومانية ، وكان يمثل مرحلة من مراحل النضج الفني والمعماري العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية بعضها انتقل الى الغرب الإسلامي من المشرق عن طريق العرب المسلمين الفاتحين ،وكان من

الناحية الفنية رمز شامخ للدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، أما من الناحية العلمية فانه يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية ، وقد اجتمع المال والفن في بناءه ، وقد زاد فيه الأمراء والخلفاء زيادة بعد أخرى حتى بلغ الغاية في الاتساع والإتقان وكان شبيهاً بجامع دمشق حيث يمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من المسجد الأموي من حيث المئذنة والعقود المزدوجة والممر الذي يصل بقصر الإمارة

5/ التأقلم السريع للمسلمين مع البيئة الأندلسية والذي يعود الى الطبيعة الجغرافية المتنوعة ، وقربها من المغرب العربي ومناخها المتأثر بالبحر الأبيض المتوسط الذي لا يختلف كثيراً عن المناخ في المشرق العربي الإسلامي ، فضلاً عن الحقبة الزمنية الطويلة للدولة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس .

6/ ومن خلال تتبع حركة الفتح العربي الإسلامي ، اتضحت فاعليته في اختلاط القبائل العربية من جهة وبينهم والبربر من جهة أخرى في ظل الإسلام .

7/ كانت للفنون العربية الإسلامية في المشرق أثراً في تصميم الوحدة المعمارية في بلاد الأندلس ، وظهرت بأوضح مظاهرها في العمارة (فن البناء) وتخطيط المدن وبناء المساجد والقصور والمدارس والجسور والقناطر وفي المستشفيات والحمامات والقلاع والحصون وغيرها .

8/ أدى ازدهار الزراعة والتجارة والحرف الى تطور المدن والتحول من المراكز العسكرية الى مجتمعات حضرية تمارس مختلف الفعاليات المدنية .

9/ إنّ الغزوات التي يشنها أعداء الدولة العربية الإسلامية على سواحلها ، كانت دافعاً لتحصين الثغور للدفاع عن الحدود ، وجعلوا للمقاتلين المستقرين عطاء كبير .

10/ ان استقرار الدولة وقوتها وازدهارها الاقتصادي قد ادى الى توجه الوفود والسفارات الى الأندلس تطلب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها .

11/ كانت رسوم الدولة الأموية في الأندلس امتداداً لرسوم دار الخلافة الأموية في المشرق الإسلامي ، ففي ولاية العهد مثلاً اتخذت الطابع الوراثي .

12/ أنّ الصراع على السلطة وقلة كفاية الخلفاء وقوة الممالك الاسبانية وتعاونها في الشمال والمساعدات التي تحصل عليها من الدول المجاورة ، دون تفكير من الحكام بالذي سيلحق بهم ، أدى كل ذلك الى خسارتهم حكمهم في تلك البلاد .

يقترح الباحث التوسع في الدراسات التاريخية عن بلاد الأندلس لاطلاع شعوب العالم عن حضارة العرب المسلمين ، وما أبدوه من تسامح ديني وحرية العبادة ، مما كان له أثره في دخول الكثير من أهل البلاد الأصليين في الإسلام.

وكذلك الاهتمام بالطابع الإسلامي والتراثي أثناء التوسع العمراني في البلدان العربية ، كما ينبغي المحافظة على البنايات القديمة التي تشمل على الفنون المعمارية المتمثلة بالمآذن والأقواس والزخارف والعقود والكتابات المتنوعة كونها تشكل تراثنا الحضاري عبر التاريخ الطويل وهي بصماته في ذاكرة الزمان .

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاي نحو ما قصدت إليه في دراستي المتواضعة هذه لإبراز اثر الحضارة العربية الإسلامية على بلاد الأندلس ، والله ولي التوفيق .

المصادر والمراجع

*** القران الكريم**

أولا : المصادر الأولية

*** ابن الآبار ، ابو عبد الله محمد القضاعي البلنسي (ت658هـ/1259م)**

1- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، 1963 .

*** ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ /1232 م).**

2- الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، بيروت ، 2006م

*** الادريسي ، الشريف ابو عبد الله بن محمد (ت560هـ/1153م) .**

3- نزهة المشتناق في اختراق الافاق ، بيروت ، 1989م.

*** الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت343هـ/957م).**

4- المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد العال ، القاهرة ، 1961م.

*** ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ /1270م) .**

5- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق ، نزار رضا ، بيروت ، 1965م.

*** ابن بسام ، ابو الحسن علي (ت524هـ)**

6- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، 1975م.

*** ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت578هـ)**

7- الصلة ، نشر ، عزت العطار ، القاهرة ، 1955م.

*** البكري ، ابو عبيدة بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م)**

8- المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، بيروت ، 1968م.

*** البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)**

9- فتوح البلدان ، تحقيق ، عبد الله انيس الصباغ ، بيروت ، 1957م.

*** ابن جبير ، محمد بن احمد (ت614هـ/1217م)**

10- الرحلة ، بيروت ، 1979م.

*** ابن حزم الاندلسي ، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/1063م)**

11- جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1962م.

*** الحميدي ، ابي عبد الله محمد بن عبد الله (ت488هـ/1095م)**

12- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس واسماء رواة الحديث واهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، نشر مكتبة الثقافة الاسلامية ، القاهرة ، 1972م.

*** الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت710هـ/1310م)**

13- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، 1980م.

*** ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ/977م)**

14- صورة الارض ، بيروت ، 1992م.

*** الخشني ، ابو عبد الله محمد (ت361هـ/971م)**

15- قضاة قرطبة ، القاهرة ، 1966م.

*** ابن الخطيب الغرناطي ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت776هـ/1374م)**

16- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام (اسبانيا الاسلامية) ، نشره ليفي برفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، 1960م.

17- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، 1975م.

*** ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت808هـ /1405م)**

18- العبر ، وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، بيروت ، 1997م.

19- المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر (د.ت).

*** ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ/1281م)**

20- وفيات الاعيان وانباء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، 1948.

*** ابن دحية الكلبي ، الحافظ مجد الدين (ت633هـ)**

21- المطرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري واخرون ، القاهرة ، 1954م.

*** الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)**

22- دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، القاهرة ، 1974م.

*** ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (ت310هـ/922م)**

23- الاعلاق النفيسة ، ليدن ، 1906م.

*** الرقيق القيرواني ، ابراهيم بن القاسم (ت في ق5 هـ)**

24- تاريخ افريقة والمغرب ، تحقيق ، محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة ، 1994م.

*** الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت بعد 545هـ)**

25- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ، 1968م.

*** ابن سعيد المغربي ، نور الدين ابو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1286م)**

26- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، 1964م.

*** صاعد ، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت467هـ/1074م)**

27- طبقات الامم ، نشره الاب لويس شيخواليسوعي ، بيروت ، 1912م.

*** الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد (ت299هـ/1203م)**

28- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، بيروت ، 1989م.

*** الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/933م)**

29- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1966م.

*** ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/871م)**

30- فتوح افريقيا والاندلس ، تحقيق: عبد الله انيس الطباع ، بيروت ، 1987م.

*** ابن عبد ربه الاندلسي ، ابو عمر احمد بن محمد (ت328هـ/939م)**

31- العقد الفريد ، تحقيق: احمد امين واخرون ، القاهرة ، 1962م.

*** ابن عذاري المراكشي ، ابو عبد الله احمد بن محمد (ت بعد 712هـ)**

32- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج.س.كولان وليفي بروفنسال ،ط3، بيروت 1983م.

*** العذري ، احمد بن عمر بن انس الدلائي(ت393هـ/1085م)**

33- ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى الممالك ، تحقيق : عبد العزيز الاهوائي ، مدريد 1969م.

*** العمري ، شهاب الدين احمد بن فضل الله (ت742هـ/1341م)**

34- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق ، احمد زكي باشا ، القاهرة ، 1924م.

*** ابن غالب الاندلسي ، محمد بن ايوب الغرناطي (من اهل ق6 هـ)**

35- فرحة الانفس في اخبار الاندلس ، تحقيق ، لطفي عبد البديع ، مصر 1956م.

*** ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت732هـ/1331م)**

36- المختصر في اخبار البشر ، بيروت ، 1960م.

*** ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)**

37- الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، القاهرة ، 1967م.

* القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م)

38- اخبار العلماء باخبار الحكماء ، لينبرك ، 1903م.

*** القلقشندي ، ابو العباس محمد بن علي (ت 821هـ/1418م)**

39- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، 1913م.

*** ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت367هـ/977م)**

40- تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، بيروت ، 1958م.

*** ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك (ت بعد 573هـ)**

41- الاكتفاء ، تحقيق احمد مختار العبادي ، مدريد ، 1971م.

*** مؤلف مجهول .**

42- تاريخ الاندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2007م.

*** المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م)**

43- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، شرحه واعتنى به ، صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط1 ، بيروت ، 2006م.

*** المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت346هـ/957م)**

44- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف البقاعي ، ط2 ، بيروت ، 2011م.

*** المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت375هـ/985م)**

45- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، 1906م.

*** المقري ، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م)**

46- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1995م.

47- ازهار الرياض في اخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا واخرون ، القاهرة ، 1941م.

*** ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)**

48- لسان العرب ، تحقيق يوسف خياط ، بيروت 1988م.

*** ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت378هـ/988م)**

49- الفهرست ، تحقيق :محمد عوني عبد الرؤوف وايمان السعيد جلال ، القاهرة 2006م.

*** النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/1331م)**

50- نهاية الارب في فنون الادب ، القاهرة ، 1923م.

*** ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م)**

51- معجم البلدان ، بيروت ، 1960م.

*** اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ/987م)**

52- البلدان ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، النجف ، 1957م.

ثانياً : المراجع العربية

*** ارسلان ، شكيب**

1- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

*** الالفي ، ابو صالح.**

2- الفن الاسلامي ، (اصوله ، فلسفته ، مدارسه) ، القاهرة ، 1969م.

*** امين ، احمد.**

3- ضحى الاسلام ، ط1 ، بيروت ، 1993م.

*** باقر ، طه.**

4- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط2 ، بغداد ، 1956م.

*** بدر ، احمد .**

5- تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) دمشق ، 1974م.

*** بيضون ، ابراهيم.**

6- الدولة العربية في اسبانيا ، بيروت ، 1980م.

*** بيهم ، محمد جميل.**

7- قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، لبنان، 1948م.

*** ثويني ، علي.**

8- معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، بغداد ، 2005م.

*** الجزري ، عبد الله بن العباس**

9- تقدم العرب في العلوم واستاذيتهم لاوربا ، القاهرة ، 1961م.

*** جلوب ، السير جون**

10- امبراطورية العرب ، تحقيق خيري حمادة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1966م.

*** الجندي ، انعام.**

11- الرائد في الادب العربي ، بيروت ، 1979م.
*** الجيوسي ، سلمى الخضراء.**
12- الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، بيروت ، 1998م.
*** حتي ، فيليب.**
13- تاريخ العرب (مطول) ، ط4 ، دار الكشاف ، بيروت ، 1965م.
*** الحجي ، عبد الرحمن علي.**
14- التاريخ الاندلسي ، دمشق ، 1987م.
15- اندلسيات ، المجموعة الثانية ، دار الارشاد ، بيروت 1969م.
16- الحضارة الاسلامية في الاندلس ، بيروت ، 1969م.
*** حسن ، حسن ابراهيم**
17- تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي (4 اجزاء) ، ج1 ، ج2 ، القاهرة 1964م ، ج3 ، 1965 ، ج4 ، 1967م.
*** خالد ، طارق .**
18- اثار الاندلس ، الكويت ، 1985م.
*** خلاف ، عبد الوهاب.**
19- قرطبة الاسلامية في القرن الخامس الهجري ، الدار التونسية ، 1984م.
*** الدفاع ، علي عبد الله.**
20- لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، مصر ، 1981م.

*** ابو دياك ، فياض صالح محمد.**
21- الوجيز في تاريخ المغرب والاندلس من الفتح الى بداية عهد المرابطين وملوك الطوائف ، عمان ، 1988م.
*** الراشد ، عبد الجليل**
22- التاثيرات العراقية في الاندلس واوربا ، بغداد، 2001م.
*** راضي ، علي محمد.**

23- الاندلس والناصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1962م.
*** الزركلي ، خير الدين زكريا محمد**
24- الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979م.
*** زكريا ، زكريا هاشم .**
25- فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، تحقيق محمد احمد بن المهدي ، القاهرة ، 1970م.
*** زيدان ، جرجي.**
26- تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ، 1958م.
*** ابو زيدون ، وديع شامخ.**
27- تاريخ الاندلس من الفتح العربي الاسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، عمان ، 2008م.
*** سالم ، السيد عبد العزيز.**
28- قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، مصر ، 1997م.
*** السامرائي , خليل ابراهيم**
29- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس , جامعة الموصل , 1986م.

*** سوسه ، احمد.**
30- حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، بغداد ، 1979.
*** شلبي ، احمد**
31- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، القاهرة ، 1982م.
*** الشيخ ، محمد مرسي.**
32- دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي، ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، 1981م.

*** الصبحي ، محمد ابراهيم**

33- الحضارة العربية واثرها في اوربا ، بيروت ، 1984م.

*** الصوفي ، خالد.**

34- تاريخ العرب في الاندلس (عصر الامارة) منشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، 1971م.

*** طرخان ، ابراهيم**

35- دولة القوط الغربيين ، القاهرة ، 1958م.

*** طوقان ، قدري حافظ.**

36- العلوم عند العرب المسلمين ، نابلس ، 1961م.

*** طه ، عبد الواحد ذنون.**

37- دراسات في التاريخ الاندلسي ، الموصل ، 1978م.

38- دراسات اندلسية ، الموصل ، 1986م.

39- الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والاندلس ، بغداد ، 1983م.

*** عاشور ، سعيد عبد الفتاح واخرون.**

40- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ، الكويت ، 1986م.

*** العبادي ، احمد مختار .**

41- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، 1997م.

42- معالم تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة ، 1980م.

*** العبادي ، عبد الحميد.**

43- المجمل في تاريخ الاندلس ، القاهرة ، 1982م.

*** عباس ، احسان .**

44- تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) بيروت ، 1960م.

*** عبد البديع ، لطفي.**

45- الاسلام في اسبانيا ، دار الطباعة الحديثة ، مصر ، 1958م.

*** عبد الحق ، محمد توفيق.**

46- تاريخ العمارة (العصور المتوسطة والاوربية والاسلامية) القاهرة ، 1969م.

*** عبد الحميد ، سعد زغلول.**

47- العمارة والفنون في دولة الاسلام ، مصر ، 1986م.

*** العسلي ، بسام.**

48- عبد الرحمن الناصر ، دار النفائس ،ط2،بيروت ، 1983م.

*** العقاد ، عباس محمود .**

49- اثر العرب في الحضارة الاوربية ، مصر ، 1946م.

*** علي ، محمد كرد .**

50- الاسلام والحضارة العربية ، دمشق ، 1961م.

*** العميد ، طاهر مظفر .**

51- اثار المغرب والاندلس ، جامعة البصرة ، 1988م.

*** عنان ، محمد عبد الله**

52- دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، 1969م.

53- الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، 1966م.

*** فروخ ، عمر.**

54- تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، 1970م.

*** فريحات ، حكمت عبد الكريم.**

55- مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، عمان ، 1999م.

*** فكري ، احمد.**

56- قرطبة في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ،(د.ت).

* **فهد ، بدري محمد.**

57- تاريخ الفكر والعلوم العربية ، بغداد ، 1988م.

* **القاسمي ، خالد محمد.**

58- تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، الشارقة ، 1998م.

* **كاظم ، ماهر صبري.**

59- دراسات في التاريخ الاندلسي ، بغداد ، 2009م.

* **الكروي ، ابراهيم سلمان.**

60- المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، الكويت ، 1987م.

* **الكريزي ، سلمى الحفار.**

61- في ظلال الاندلس ، دمشق ، (د.ت)

* **الكيالي ، سامي.**

62- في الربوع الاندلسية ، سلسلة الرحلات -3- ، حلب ، 1963م.

* **ماجد ، عبد المنعم .**

63- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، 1966م.

مرزوق ، محمود عبد العزيز .

64- الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ، 1972م.

* **المعاضيدي ، خاشع.**

65- الدولة العربية في الاندلس ، بغداد، 1988م.

66- امير الاندلس عبد الرحمن الداخل او صقر قريش، بغداد، 1989م.

* **معروف ، ناجي.**

67- المدخل في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، بغداد ، 1984م.

*** مؤنس، حسين.**

68- موسوعة تاريخ الاندلس ، المكتبة الاندلسية ، القاهرة ، 2006م.
69- فجر الاندلس ، القاهرة ، 1959.
70- معالم تاريخ المغرب والاندلس ، القاهرة ، 1980م.
*** ناجي ، عبد الجبار .**

71- دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، جامعة البصرة ، 1986م.

*** هيكل ، احمد .**

72- الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، مصر ، 1970م.

*** يوسف ، شريف .**

73- المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية ، بغداد ، 1980م.

*** اليوسف ، عبد القادر احمد.**

74- العصور الوسطى الاوربية ، بيروت ، 1967

ثالثاً : المراجع المترجمة الى العربية

*** بروفنسال ، ليفي.**

1- الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ، 1956.

*** بيرك ، جاك.**

2- العرب تاريخ ومستقبل ، ترجمة خيري حماد ، مصر ، 1971م.

*** خودابخش ، صلاح الدين.**

3- حضارة الاسلام ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، بيروت ، 1971م.

*** دوزي ، رينهرت.**

4- المسلمون في الاندلس ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ،1994م.

*** الدوميلي.**

5- العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ، بيروت ، 1962م.

*** ديماند ، م . ن .**

6- الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ، 1958.
*** لنتون ، رالف.**
7- شجرة الحضارة ، ترجمة احمد فخري ، القاهرة ، 1955م.
*** لوبون ، غوستاف.**
8- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مصر ، 1964م.

*** متز ، ادم.**
9- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، بيروت ، 1967م.

*** مورينو ، مانويل ، جومت.**
10- الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، القاهرة ، 1968م.
*** هونكه ، زيغريد.**
11- شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت ، 2002م.
*** وات ، مونتغمري.**
12- تاثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبود ، جامعة الموصل ، 1982.
*** يونغ ، لويس.**
13- العرب واوربا ، ترجمة ميشيل ازرق ، بيروت ، 2000م.

الاطروحات الجامعية

*** الخالدي ، خالد يونس عبد العزيز .**

1- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1420هـ/1999م .

*** السلطاني ، غانم هاشم خضير.**

2- رسوم دار الخلافة الأموية ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1410هـ/1990م.

*** االكبيسي ، خليل ابراهيم .**

3- دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس ، في عصري الإمارة والخلافة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1400هـ/1980م.

الــدوريــات (بـحـوث ودراسـات)

*** الباقي ، عبد الكريم**

1- العلم والتعليم في الحضارة الاسلامية ، مجلة الجامعة الاسلامية ، العدد 1 ، لندن ، 1994م.

*** خطاب ، محمود شيت.**

2- الاندلس وما جاورها ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج2،ج3، بغداد ، 1987م.

*** رشيد ، نهاد عبد الستار.**

3- مسجد قرطبة وفن العمارة الاندلسية ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 1 ، العراق ، 1979م.

*** زعبلاوي ، يوسف.**

4- مسجد قرطبة اكبر مساجد الاندلس وأعرقها ، مجلة العربي ، العدد 168 ، الكويت ، 1972م.

*** سالم ، السيد عبد العزيز.**

5- قرطبة في العصر الاسلامي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 13 ، بغداد ، 1980م.

*** عباس ، رضا هادي.**

6- دور الترجمة في الحوار الحضاري ، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد 25 ، بغداد ، 2010م.

7- اللقاء الحضاري في الاندلس ، صور التسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين في الاندلس ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 33 ، بغداد ، 2009م.

*** العبيدي ، صلاح الدين.**

8- اثر الاسلام في نضوج الحرف اليدوية الفنية ، مجلة جمعية المؤرخين والاثاريين ، دراسات في التاريخ والآثار ، العدد 7 ، العراق ، 1987م.

*** عوض الله ، رجاء صبري.**

9- الموسيقى في الأندلس ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 26 ، بغداد ، 2010م.

*** محسن ، عبد حمزة.**

10- المستشارون مؤهلاتهم العلمية ودورهم في الحياة السياسية والإدارية في الاندلس ، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد 24 ، بغداد ، 2010م.

*** ابن محمود ، نور الدين.**

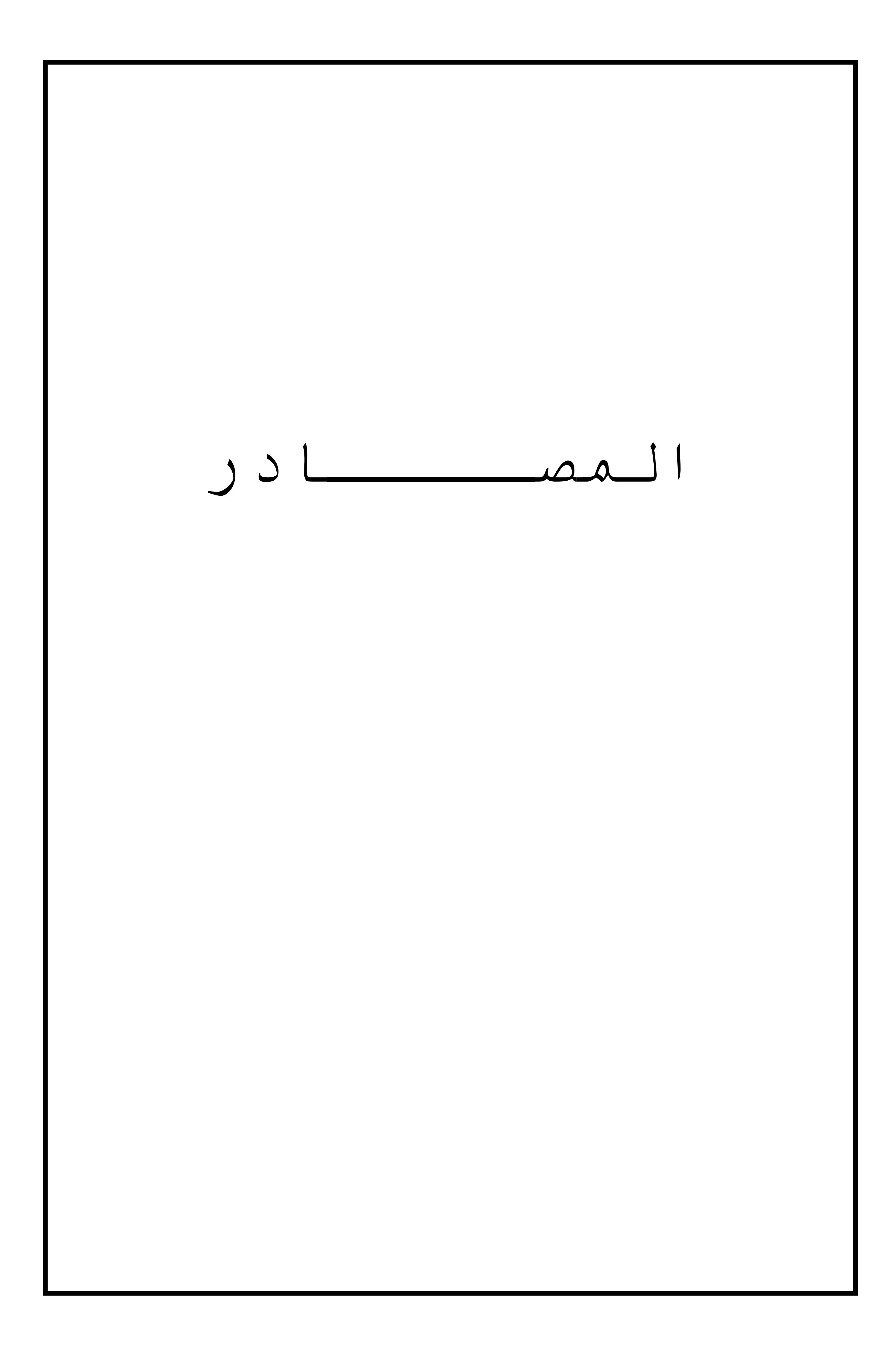
11- فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد 122 ، الكويت ، 1969م.

*** مؤنس ، حسين .**

12- مساجد الاسلام والمسلمين في شتى العصور ، مجلة العربي ، العدد 156 ، الكويت ، 1977م.

*** المياح ، علي محمد .**

13- العوامل السوقية والتعبوية وأثرها على الفتوح العربية الاسلامية في فرنسا ، بحث منشور في مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد الخامس ، بغداد ، 1969م.



المصـــــــــادر

المصادر الأجنبية

1- Aguado , Bleye , manuel de La historia de Espana ,t , I .(Madrid 1947) .

2- Amador de los pios ,inscripciones arabes de cordoba (Madrid,1892) .

3- Bermejo ,vallve ,La conquista Arabe de Espana ,(Madrid ,1989) .

4- Bosco , Ricardo , medina Azzhra ,y Alamiriya ,(Madrid 1912) .

5- Bradly , Henry , The Goths (London 1887).

6- Campsy cazorla , moduios ,proporcones composicion ,en ia arquitecture califal de cordoba (Madrid 1953).

7- Dihl Charles, G, Marcais , Histoire du moyen Age , iii (Paris 1936) .

8- Dozy ,R.P.A, Histoire des musulmans d'Espane (Leyden ,1861).

9- Edaward ,G, Browne, Arabian medicine , (Cambridge , 1921).

10-Edwyn ,Hole , Andalus (spain under the muslims) .(London ,1958).

11-Enwar , chijne ,muslim spain its history and culture (London,1975).

12- Jose Angel Tapia Garrido histora general de Almeria y su provincia, (Vitoria 1976).

13- Painters ,s , A history of the middle Age (284-1500),(London, 1963).

14- pavou ,Basilia , las excavaciones dele Mazquita de madinat Al-Zahra (Madrid ,1967).

15- Provencal , levi ,Histoire de Espange musulmane (Leyden ,1950).

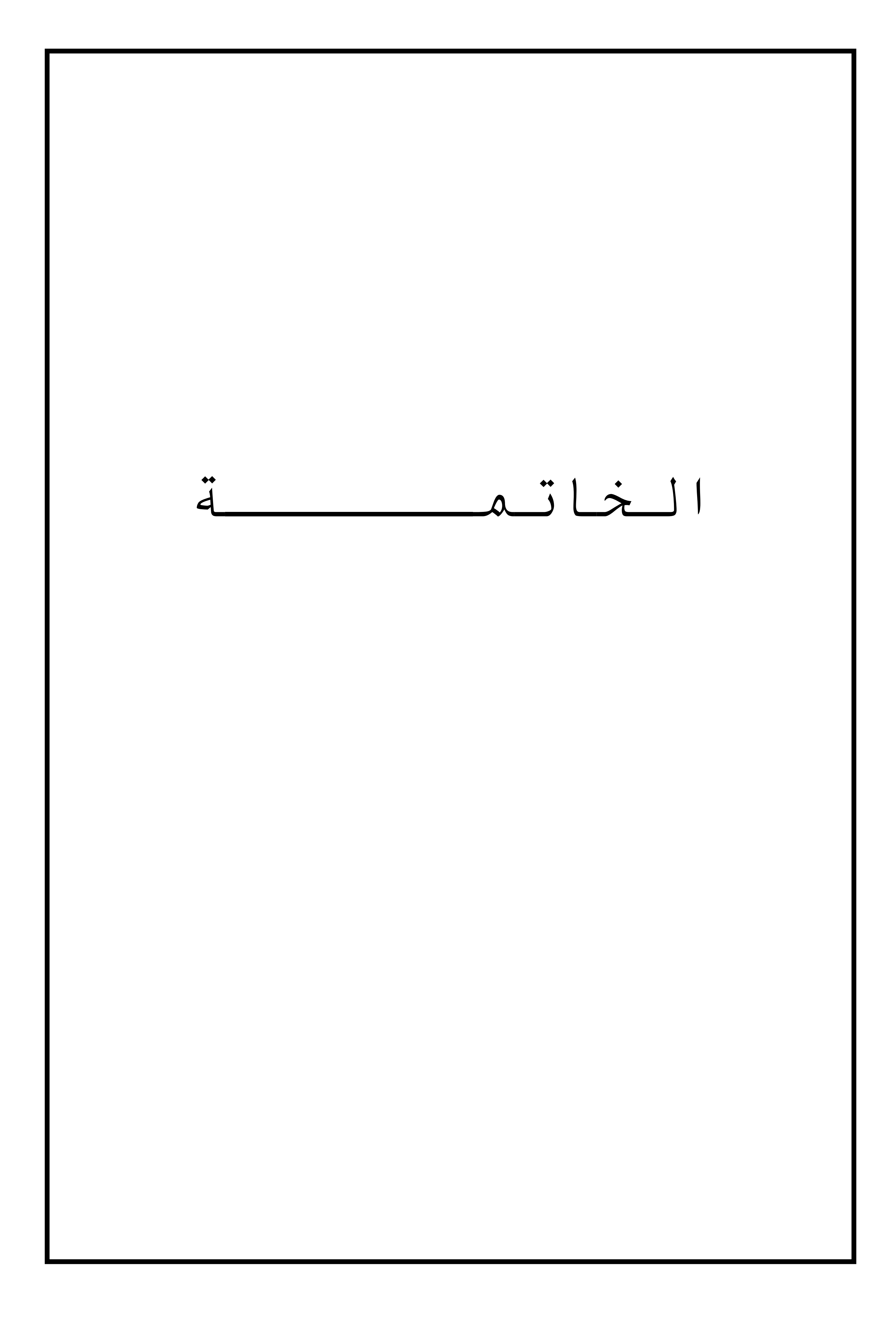
16- Gres well, k,A,C,Early Muslim Architecture ,(London , 1968).

17- Rafael , casstejon , Guia de cordoba (Madrid ,1930).

18- Ricardo , pour , compendre l'art musulman , (paris, 1924) .

19- Sanchez , Albornoz ,Historia de la Espana Musulnana , (Buenos Aires 1946) .

20- Torres Balbas , Arte Hispana musulm en la coleccion, Historia de Espana (Madrid , 1957).



الخاتمة

خلاصـــــــة الأطروحة

تأثيرات بلاد الشام الحضارية على نهضة قرطبة العمرانية في عصري الامارة والخلاقة الاندلسية (138-422هـ/756-1031م)

تناولت هذه الدراسة الأحداث التاريخية التي امتدت من الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة (92-422هـ/711-1031م) وتسليط الضوء على تأثيرات بلاد الشام الحضارية كونها احد مراكز الحضارة العربية الإسلامية على مدينة قرطبة ، إذ يمكن مشاهدة الطابع الشامي بوضوح في المنشات العمرانية التي أُقيمت فيها، وان الامتداد الزمني للدولة العربية الإسلامية قد أدى إلى تطور الحضارة التي تعددت أشكالها وتنوعت بين المعارف والعلوم والأدب والعمران.

ويشكل العمران أهم المعالم الحضارية وتمثل في العمارة الدينية والمدنية ، وهو استجابة للحياة اليومية من جهة والتراكم الحضاري من جهة أخرى ، والمسجد الجامع يعني أساس العمران الديني ، ويُعد مسجد قرطبة من ابرز ما خلفه الأمويون من آثار وهو يمثل مرحلة من مراحل النضج والتطور الفني والمعماري من الطراز العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء والزخرفة ، وبذلك فانه من الناحية الفنية رمز شامخ ومن الناحية العلمية يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم المختلفة ، ويمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من الجامع الأموي بدمشق مثل العقود ووضع المئذنة وفي الممر الذي يصل المسجد بقصر الإمارة ، كما كان للكنائس والأديرة ارتباطاً بالعمارة الدينية .

إذ تمتع المسيحيون بالحرية الدينية ، وكانت لهم كنائسهم لإقامة شعائرهم ، لقد ازدهرت قرطبة في عهد الإمارة ، حيث زينتها القصور والمتنزهات ، ومن تلك القصور التي شيدت هي قصر الكامل ، والحائـــر ،

والمبارك ، والمعشوق ، وكانت تحيطها الأسوار ذات الأبواب الكبيرة ، وبنى عبد الرحمن الداخل في شمال قرطبة قصراً صيفياً على سفح جبل سماه الرصافة محاكياً في ذلك قصر

جده هشام بن عبد الملك الذي بناه خارج دمشق في بادية الشام عام (110هـ) ، حيث كان الأمراء في بلاد الشام لا يحبذون البقاء في قصورهم طويلاً لذلك كانوا يتخذون لهم قصوراً ريفية يخرجون إليها للراحة بعيداً عن الحياة الرسمية وأمور الحكم .

لذلك نجد إن أمراء الأندلس قد تأثروا بهم ، إذ كان لبلاد الشام آثاراً واضحة على نهضة قرطبة العمرانية التي أصبحت زاهية بمنشاتها ومبانيها ، وقد حرص الأمراء والخلفاء الأمويون أن يشيع نمط العمارة الإسلامية فيها ، وعاشت الأندلس حياة متحضرة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إذ اتصلت مباني قرطبة والزهراء والزاهرة ويستطيع الإنسان المشي فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال ، حيث تميزت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من الدور المحاذية ، ولقد شهدت الدولة الأموية في الأندلس الفن العربي الإسلامي المعماري الذي جاء مصاحباً لمظاهر الترف التي أحاط الأمراء الأمويين فيها أنفسهم ، وقد بدأت الحركة العمرانية في عهد عبد الرحمن الداخل ونشطت وتوسعت بعد ذلك .

كما اهتم الأمراء والخلفاء في الأندلس ببناء المدارس في كل مدينة ، اذ انتشرت في قرطبة المدارس والجامعات مما أدى الى اتساع النشاط الحضاري فيها ، وتعد المدرسة المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي فضلاً عن العلوم الأخرى، وانتشر التعليم في الأندلس في حين ظلت أوربا متأخرة في ذلك الزمن.

إن قرطبة أصبحت في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر عروس الغرب ، وإنها تألقت في مكانتها العلمية فضلاً عن نهضتها العمرانية، حيث بلغت في عهدي الإمارة والخلافة الغاية في العمران واتسعت رقعتها بما انضم اليها من الارباض ويدور بها سور شامل وخندق لم تشهد له قرطبة نظير في عصورها السابقة، ومازالت تحتفظ بتراث كبير من ماضيها العربي الإسلامي المجيد الذي عجزت معاول الهدم وحوادث الأزمان أن تنتزع جذوره العميقة من ارضها، حيث أنّ آثار الإسلام فيها واضحة كل الوضوح في سائر مناحي حياتها ، ومع كونها من الآثار التي يفد لأجلها السياح الى اسبانيا من مختلف أنحاء العالم فهي

سجل خالد لتراث العرب المسلمين في بلاد الأندلس، وأكد علماء أوربيون على فضل العرب المسلمون على أوربا في مختلف جوانب الحضارة وقد ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال قرون عديدة وانتشرت مآثرها في معظم أنحاء العالم ، واحتلت دراستها مكانة بارزة في كتابات المؤرخين والباحثين لما حققته في بناء ورقي المجتمعات الإنسانية، وما أحدثته من تطورات في الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية ، وان أثرها في الشرق كان في الدين والفنون واللغة

أما أثرها في الغرب فكان في العلوم والعمران والفنون ، وحينما كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت المدارس والمكتبات منتشرة في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة كانت أوربا تعيش عصورها المظلمة ، فالإسلام بمبادئه وتعاليمه حرّر الإنسان من قيود كبلته وعرقلة دوره في التطور وحرّرت أفكاره من أساطير وعقائد مختلفة ، وذلك واضحاً في البلدان التي فتحها العرب المسلمين.

إن الدراسات التاريخية ارتبطت بتطور الوعي الذي يقوم على إدراك أهمية العناصر الرئيسة في صنع أحداث التاريخ وبناء الحضارة وهي الإنسان والزمان والمكان ، وكان للتاريخ العربي الإسلامي في الأندلس أثراً كبيراً على أوربا ، وقد أصبحت بلاد الأندلس قاعدة حضارية جديدة للعرب المسلمين بعد أن انتشرت في بلدان المشرق.

كان الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية له صدى وأهمية في نشر الإسلام بين الشعوب ، وقد شغل المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً، لما يمثله من التقاء الشرق بالغرب وكانت العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية لها أثرها في تحريك الأحداث ، وان هذا الفهم كان له أثره في صياغة المنهج ، وقد فرضت طبيعة هذه الدراسة أن أُمهد لها من الناحية الجغرافية والتاريخية ثم الدخول في اثر بلاد الشام الحضاري في تطور قرطبة العمراني .

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة التي تمثل اثر المشرق العربي الإسلامي على تطور قرطبة العمراني الى النتائج الاتية لإيضاح بعض معالم هذا المجهود وهي :

1/ أصبحت بلاد الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي طريقاً لانتقال الحضارة العربية الإسلامية الى أوربا ، إذ كان للعرب حضارة تمتد جذورها الى العصور القديمة ، وتزخر بأنواع العلوم والمعرفة ، وان بناة الحضارة العربية الإسلامية قد أسهموا في تطور الحضارة الإنسانية .

2/ ومن خلال عملية تحليل عوامل نشأة المدن الإسلامية في بلاد الأندلس ، نجد أنّ الأمراء والخلفاء اهتموا بتشييدها ويتوسطها المسجد الجامع وتنتشر فيها الدور الرسمية والعامة ، وذلك لإظهار عظمة الإسلام وقوة السلطة والشهرة وتمجيدهم ، لان العمران يبقى شاخصاً لزمن طويل ،واعتمدوا الصخور والأخشاب والمواد الأولية من البيئة المحلية في البناء ، واستعانوا بالعرفاء (المهندسين) الماهرين ، ويلاحظ التأثير الشامي في المنشات العمرانية لتجديد مظاهر الخلافة الأموية في المشرق ، حتى تكون استمرارا ً لها ومن أشهر المدن التي شيدت هي مجريط ، الزهراء ، سالم ، المرية ، وغيرها ، لان العمران يشكل أهم المعالم الحضارية التي لازالت شاهدة على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ، وكان فتحها حدثاً حضارياً وعمرانياً وامتد أثره الى أوربا .

3/ اعتمد الفاتحون سياسة التسامح وحرية العقيدة الدينية مع السكان النصارى واليهود (لا إكراه في الدين) وشاطروا نصارى قرطبة كنيستهم وبنو مسجداً وتكييف بناءه حسبما

يتطلبه الدين الإسلامي ، وكان كل منهم يؤدي شعائره الدينية ، وقد دخل كثير من سكان البلاد الى الدين الإسلامي بعد تعرفهم على مبادئه التي كانوا يجهلونها .

4/ ويعلل الباحث سعي عبد الرحمن الداخل لإتمام بناء المسجد الجامع في قرطبة والذي بدأ به عام 169هـ/785م ، في أسرع وقت ممكن لأنه شعر بما يعانية المصلون من ضيق في المسجد وعدم استيعابه لهم ، وان الانجاز السريع له عام 170هـ/786م ، يعود الى الحصول على العناصر الأساسية لهذا العمل من أعمدة وتيجانها وأحجار منحوتة جاهزة من مباني قوطية ورومانية ، وكان يمثل مرحلة من مراحل النضج الفني والمعماري العربي الإسلامي من حيث التخطيط وأساليب البناء وظهور عدة عناصر معمارية وزخرفية بعضها انتقل الى الغرب الإسلامي من المشرق عن طريق العرب المسلمين الفاتحين ،وكان من الناحية الفنية رمز شامخ للدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، أما من الناحية العلمية فانه يعد جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية ، وقد اجتمع المال والفن في بناءه ، وقد زاد فيه الأمراء والخلفاء زيادة بعد أخرى حتى بلغ الغاية في الاتساع والإتقان وكان شبيهاً بجامع دمشق حيث يمكن رؤية المؤثرات الشامية المقتبسة من المسجد الأموي من حيث المئذنة والعقود المزدوجة والممر الذي يصل بقصر الإمارة.

5/ التأقلم السريع للمسلمين مع البيئة الأندلسية والذي يعود الى الطبيعة الجغرافية المتنوعة ، وقربها من المغرب العربي ومناخها المتأثر بالبحر الأبيض المتوسط الذي لا يختلف كثيراً عن المناخ في المشرق العربي الإسلامي ، فضلاً عن الحقبة الزمنية الطويلة للدولة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس .

6/ ومن خلال تتبع حركة الفتح العربي الإسلامي ، اتضحت فاعليته في اختلاط القبائل العربية من جهة وبينهم والبربر من جهة أخرى في ظل الإسلام

7/ كانت للفنون العربية الإسلامية في المشرق أثراً في تصميم الوحدة المعمارية في بلاد الأندلس ، وظهرت بأوضح مظاهرها في العمارة (فن البناء) وتخطيط المدن وبناء المساجد والقصور والمدارس والجسور والقناطر وفي المستشفيات والحمامات والقلاع والحصون وغيرها .

8/ أدى ازدهار الزراعة والتجارة والحرف الى تطور المدن والتحول من المراكز العسكرية الى مجتمعات حضرية تمارس مختلف الفعاليات المدنية .

9/ إنّ الغزوات التي يشنها أعداء الدولة العربية الإسلامية على سواحلها ، كانت دافعاً لتحصين الثغور للدفاع عن الحدود ، وجعلوا للمقاتلين المستقرين عطاء كبير .

10/ ان استقرار الدولة وقوتها وازدهارها الاقتصادي قد ادى الى توجه الوفود والسفارات الى الأندلس تطلب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها

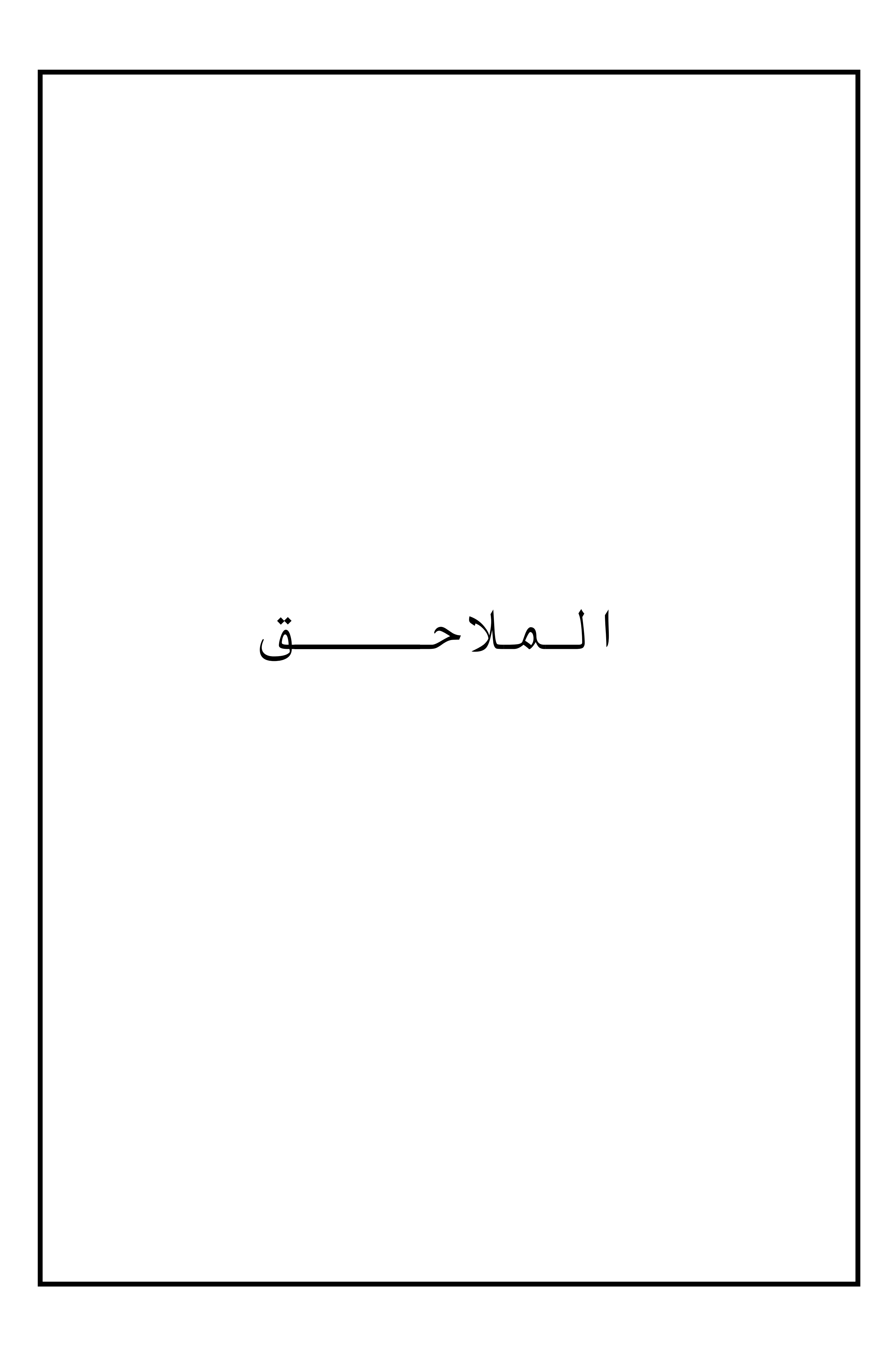
11/ كانت رسوم الدولة الأموية في الأندلس امتداداً لرسوم دار الخلافة الأموية في المشرق الإسلامي ، ففي ولاية العهد مثلاً اتخذت الطابع الوراثي .

12/ أنّ الصراع على السلطة وقلة كفاية الخلفاء وقوة الممالك الاسبانية وتعاونها في الشمال والمساعدات التي تحصل عليها من الدول المجاورة ، دون تفكير من الحكام بالذي سيلحق بهم ، أدى كل ذلك الى خسارتهم حكمهم في تلك البلاد .

يقترح الباحث التوسع في الدراسات التاريخية عن بلاد الأندلس لاطلاع شعوب العالم عن حضارة العرب المسلمين ، وما أبدوه من تسامح ديني وحرية العبادة ، مما كان له أثره في دخول الكثير من أهل البلاد الأصليين في الإسلام.

وكذلك الاهتمام بالطابع الإسلامي والتراثي أثناء التوسع العمراني في البلدان العربية ، كما ينبغي المحافظة على البنايات القديمة التي تشمل على الفنون المعمارية المتمثلة بالمآذن والأقواس والزخارف والعقود والكتابات المتنوعة كونها تشكل تراثنا الحضاري عبر التاريخ الطويل وهي بصماته في ذاكرة الزمان .

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاي نحو ما قصدت إليه في دراستي المتواضعة هذه لإبراز اثر الحضارة العربية الإسلامية على بلاد الأندلس ، والله ولي التوفيق .



الملاحق

توزيع القبائل العربية في الأندلس [1]

بعد فتح الأندلس ، استقر العرب المسلمون بها وأورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان ، وسنذكر بعض القبائل العربية على سبيل المثال لمعرفة صلة هذا التوزيع بالحياة الأندلسي.

القبائل العربية	المناطق التي نزلوا بها
بنو هوازن	**اشبيلية وبلنسية**
المعافر	**بلنسية وجيان ومنهم العامريون بقرطبة**
جذام	**شذونة والجزيرة الخضراء واشبيلية**
بنو عذرة	**دلاية وجيان وسرقسطة**
بنو صخر بن غطفان	**قرمونة**
بنو عوف بن مرة	**البيرة واشبيلية**
بنو منذر بن الحارث من ثقيف	**باجه**
لخم	**شذونة واشبيلية**
كنانة	**طليطلة**
هذيل	**اربولة من كورة تدمير**
بنو زهرة	**اشبيلية**
همدان	**البيرة وغرناطة**
خثعم	**شذونة والبرة**
خولان	**قرطبة والجزيرة الخضراء واشبيلية**
طي	**مرسية**

---

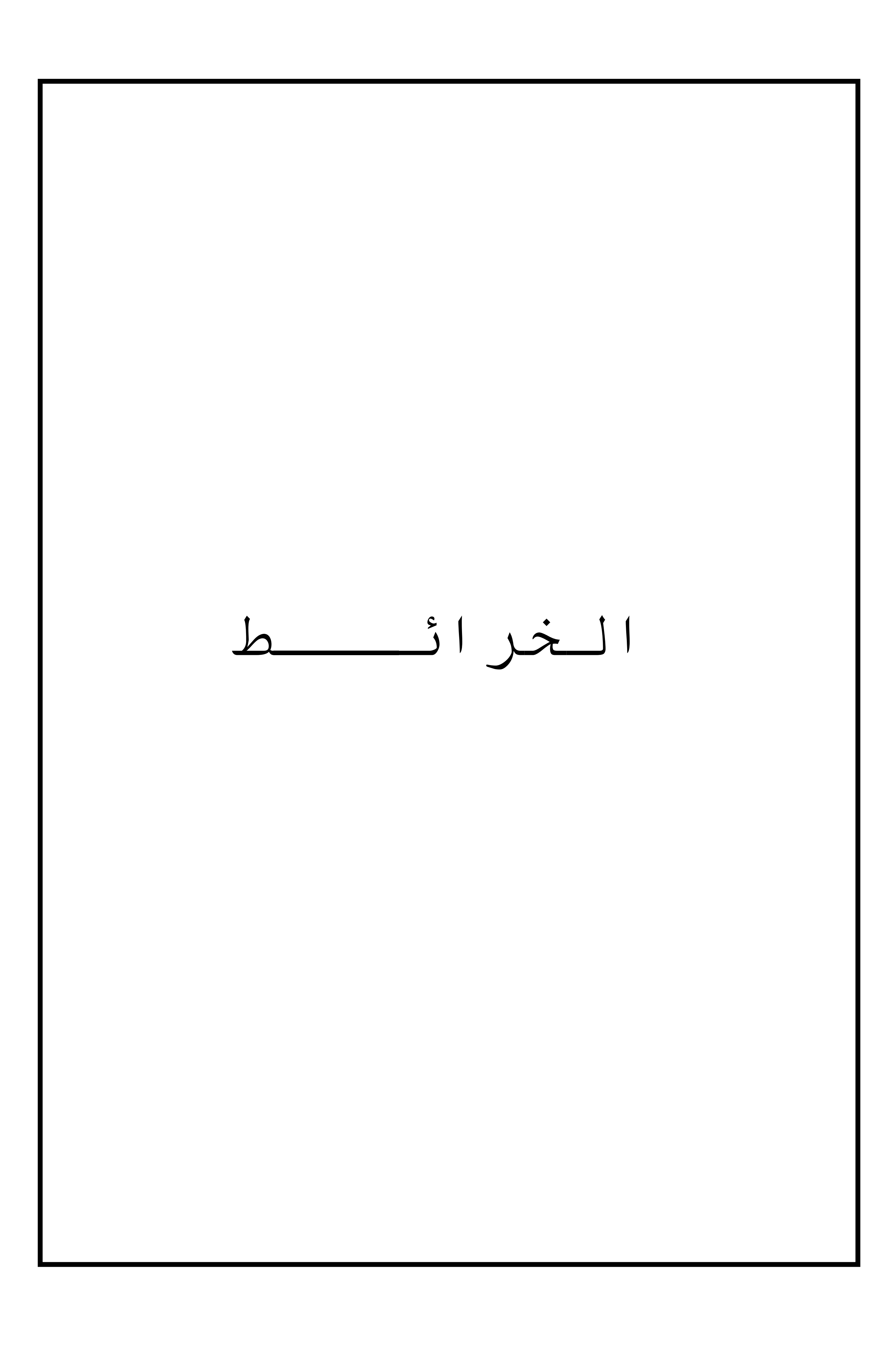
(1) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص278ومابعدها ؛ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب،ج2،ص127 .

بجيلة	اربونة
عك	الجوف شمالي قرطبة
بنو نمير	غرناطة
بنو قشير	جيان والبيرة
عنس	قلعة يحصب
النمر بن قاسط	حصن وضاح من عمل رية
ذو رعين	بالفحص المنسوب اليهم برية
بنو خشين	جيان والبيرة ولبله
بلي	شمالي قرطبة

الإهــــــــــــــــداء

إلى والديّ ومعلمي ...

إجلالاً ووفاءً وعرفاناً بحقِّهم



الــخرائـــــــط

بسم الله الرحمن الرحيم

{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ }

صدق الله العلي العظيم

- آل عمران ، الآية 19-